مصر في الأدب العبري الحديث

تأليف

الدكتور زين العابدين محمود حسن
كلية الآداب - جامعة القاهرة

١٩٨٨

دار الثقافة للنشر والتوزيع
القاهرة - ت . ٩٠٤٦٩٩٦

إهداء

الى ولدى الحبيب : محمد

اول من اعلن فى صمت نبا أبوتى

مقـــــــدمة

قام الكثير ممن سبقونى الى مضمار الأدب العبرى باجراء العديد من البحوث والدراسات التى تلقى الضوء على صورة « العرب » فى الأدب العبرى فى عصوره المختلفة ، فأبلوا فى ذلك بلاء حسنا ، وحفلت دراساتهم بالعديد من أوجه الكمال والرقى التى تفخر بها مكتبنا العربية. الا أن أحدا لم يول صورة مصر ــ فى هذا الأدب ــ دراسة خاصة يليق بدورها القيادى والريادى لأمتها العربية ، وهو الدور الذى لم ينقطع فى أى فترة من فترات التاريخ ، بل هو الدور الذى أدى الى ظهور مصر بشكل دائم ومتصل فى الأدب العبرى عبر مراحله المختلفة ، ولذا رأينا أن نطرق هذا المجال ، يحدونا فى ذلك أمل الاسهام فى اجلاء هذه الصورة والوصول الى ملامحها وذرائعها ونتائجها .

وربما يرمينا أحد بالاقليمية . وكأن الاقليمية باتت جريمه ، أو كأنه من المحتم علينا ــ حين نتعاون مع أشقائنا ــ أن نبرز ذواتهم وننسى ذاتنا أو نتناساها ، وهو ما نأباه لمصر بتاريخها الطويل وشخصيتها المتفردة وتجارب أبنائها العديدة مع المكان والزمان منذ فجر التاريخ الانسانى ، بل هو ما تأباه عروبتنا التى تسرى فى الدماء ... فنحن حين نتحدث عن مصر فانما نتحدث عن زعامة الأمة العربية وقلبها ، وهذه الزعامة ما هى الا تكليف وتقليد ، تكليف فرضه عليها موقعها الجغرافى فى قلب أمتها العربية ، وتقليد رصدته صفحات التاريخ وتعددت فصوله ، وما زالت تتعدد حتى الآن ، ولذا فان الحديث عن مصر يجب أن يحسب لنـــا لا علينا .

ونظرا لكثرة المؤلفات الأدبية العبرية التى تتناول صورة مصر ــ سلبا أو ايجابا ــ فقد قسمنا الكتاب الى بابين ، اشتمل كل منهما على

ثلاثة فصول . تحدثنا فى الباب الأول عن صروة مصر القديمة : حيث أفردنا الفصل الأول للمؤلفات التى لا تنظر الى مصر الا من خلال صفاتها التى وردت فى كتاب العهد القديم ، وهى صفات تتسم — فى مجملها — بالسلبية والافتراء ، وفى الفصل الثانى تحدثنا عن مصر الفرعونية ، حيث ألقينا الضوء على صورة الحضارة المصرية القديمة عند أدباء العبرية ، وهى صورة تتسم — فى الغالب — بالايجابية : حسبهم فى ذلك ما شهد به علماء التاريخ من أن مصر هى قبلة العالم حضاريا وتاريخيا ، أما الفصل الثالث فقد أفردناه لذلك الاتجاه الذى ينظر الى أية كارثة تحل باليهود — فى أية بقعة من بقاع العالم — على أنها تكرار لما حدث لبنى اسرائيل فى مصر ابان عصر موسى ، ولذا باتت مصر رمزا للتفاهم التاريخى .

أما الباب الثانى فقد تناول صورة مصر الحديثة فى الأدب العبرى ؛ حيث تناول الفصل الأول صورة مصر فى عيون أدباء العبرية الذين زاروها فى أى فترة من فترات حياتهم ، وتراوحت الصورة فيه بين السلبية والايجابية وفقا لطبيعة الزيارة . وعما اذا كانت طردا وملاذا أو رحلة واستمتاعا ، وأفردنا الفصل الثانى للحديث عن صورة مصر عند بعض أدباء العبرية الذين نشأوا فيها وخطوا خطواتهم الأولى فوق ثراها ثم هاجروا بعد ذلك الى فلسطين وبقيت مصر فى وجدانهم باعتبارها موطن الميلاد . أما الفصل الثالث فقد أفردناه لصورة مصريى الأرض المحتلة فى الأدب العبرى الحديث ، وهى صورة تتسم — فى الغالب — بالسلبية والاجحاف انطلاقا من الفكر العنصرى القائم على ثنائية يهود الشرق ويهود الغرب (السفارديم والاشكنازيم) التى تهدد المجتمع الاسرائيلى من أساسه .

وتبقى — فى النهاية — كلمة ؛ وهى أنه من السهل أن نسقط الجانب الأدبى والفنى والفكرى من دائرة الصراع العربى الاسرائيلى ؛ ولكننا بذلك نرتكب خطأ فادحا فى حق أنفسنا وحق أمتنا . لأننا نسقط — من طرفنا فقط — جانبا هاما من جوانب الصراع . قطعوا هم فيه شوطا كبيرا فعرفوا عنا الكثير ، وما علمنا عنهم الا القليل . ان الاطلاع على كتاب يساهم فى

تشكيل عقلية الفرد الاسرائيلى ووجدانه خير – ألف مرة – من الوقوف أمام مكبر صوت نهتف لأنفسنا ونصب لعناتنا عليهم وعلى اليوم الذى قدموا فيه الى المنطقة ! فهولاء يذهبون الى عن عن طيب خاطر وبقوة الدفع الذاتى ، ذلك أن الأدب العبرى يركز – أكثر ما يركز – على ربط هؤلاء الناس بالأرض واقناعهم بالتفانى فى الدفاع عن هذه الأرض . وهذا هو الوجه الآخر من الصراع . وما علينا الا أن نقتحمه لنؤكد أننا قادرون على خوض الصراع من كافة اتجاهاته ، وكتابنا هذا ما هو الا خطوة فى هذا الطريق ، وهى خطوة لاقت تأييدا كبيرا من أستاذتى الجليلة الدكتورة زاكية محمد رشدى – أستاذة اللغات السامية بجامعة القاهرة – بما تجشمته من مئونة مراجعة الكتاب وما أبدته من آراء قيمه أفدت منها أعظم افادة ، فكانت نبعا عظيما أتزود من فيض علمه ، ونموذجا يقتدى به فى كريم الصفات ..

وبعد .. فان هذا الكتاب لا يمكن له أن يدعى الأسبقية أو بلوغ حد الكمال فى هذا الموضوع . فالكمال لله وحده . عليه التوكل ومنه التوفيق والسداد .

المؤلف
القاهرة فى ١٩٨٧/٣/٢٥

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيــــــد

الارتباط الدائم بين مصر الأدب العبرى

تتبوأ مصر مكانة أدبية هامة فى الأدب العبرى ، قديمه ووسيطه وحديثة ، فرضها تاريخها الذى ارتبط به بنو اسرائيل قبل عصر موسى وأثناءه وبعده ، كما فرضتها حضارتها القديمة التى شكلت نقطة ارتكاز أساسية فى مراكز الأبحاث العلمية المتعلقة بعلوم المصريات والحضارات القديمة فى العالم ، كما يفرضها وضع مصر فى منطقة الشرق عبر مختلف العصور ، وقيادتها لشعوب المنطقة العربية بأسرها ثقافيا وحضاريا ، حربا وسلما ، تصديا ومقاومة لاستعمار جثم فوق صدور هذه الأمة ردحا طويلا من الزمن ، ناهيك عن علاقة مصر القديمة قدم التاريخ بفلسطين من ناحية ، وتصديها لدعاوى الصهيونية — من حيث علاقتها بفلسطين أيضا — من ناحية أخرى ، مما جعل مصر فى محور الصراع الدائم والمستمر بين أمتها العربية والصهيونية ، حتى باتت — كما يقول بعض اليهود — « عدوا تاريخيا للصهيونية » [1] ، كما فرض هذه المكانة أيضا سماحة مصر وتعايش الأديان فيها ، مما جعلها — فى كثير من العصور التاريخية — ملاذا لكل مضطهد أو مظلوم من اليهود أو من غيرهم .

فمصر هى المكان الذى نزل اليه يعقوب وبنوه هربا من مجاعة قاسية اجتاحت فلسطين . فأقاموا فيها ، وطاب لهم المقام ، وحظوا بما شاؤوا من خيراتها ، بل — هى أيضا — المكان الذى انقلب — فيما بعد وفقا لما يقوله أحد أنبيائهم — « سجنا » أو « بيت العبيد » أو كور الحديد » [2] ، وهى « المنفى الأول » الذى « نفى » اليه بنو اسرائيل ، حتى باتت — فيما بعد — رمزا « للنفاهم التاريخى » بوجه عام ، وهى المكان الذى أعد

فيه بنو اسرائيل عدتهم للخروج الى فلسطين واقامة مملكة داود وسليمان ، حيث تلقى موسى الوحى أثناء الرحلة وعلى سيناء المصرية أيضا .

وهكذا ظلت مصر حية فى ذاكرة بنى اسرائيل ، مهيمنة على أفئدتهم بالرغم من ذلك الانقطاع الطويل بينهما .. وبالرغم من ذلك العـــداء الذى دببينهما منذ قرون طويلة من عمر الزمن ، الا أن مصر بقيت ــ بالنســبة لهم ــ مكانا ذا أبعاد رمزية ، مكانا يرمز الى القتل والنفى والتعذيب والعبودية ، واقتصرت معارفهم العقلية ومشاعرهم النفسية عن مصر عند هذا الرمز ، ولذا ظلت مصر لديهم مجهولة الحقيقة ، ولم يـــدر بخاطرهم ــ ربما عن قصد أو عن غيرقصد ــ أن مصر منطقة ذات حدود جغرافية معينة يعيش فيها مجموعة من البشر لهم سلوك انسانى ، وأنهـــا ليست سجنا تحيطه الأسلاك الشائكة ويمتلىء بالعتاة والمجرمين ، أو جبا سحيقا يبيد كل من يهدى اليه ..

وبالرغم من أن بنى اسرائيل قد قاموا باتصالات مباشرة بينهم وبين مصر فى فترات متقطعة عبر مختلف العصور التاريخية ، الا أن عدد من أقام فيها منهم . وعرفها عن قرب كان قليلا ، وبالتالى فان عدد الأدباء العبريين الذين عايشوها فى هذه الفترات كان من الندرة بحيث لم تذكر مصر فى الآداب التى خلفتها هذه الاتصالات الا لمـــاما .

بيد أن الأدوار تبدلت مع مطلع القرن التاسع عشر ، فقد غزت مصر الأدب العبرى من أربعة محاور ، يبدأ المحور الأول بعد أن حلت رموز حجر رشيد ، حيث بدأت الحضارة المصرية القديمة تفصح بجلاء عن أسرارها ومكنوناتها ، ووفد العديد من علماء الآثار الأوروبيين الى مصر ، تحدوهم الآمال العريضة فى الوصول الى بعض هذه الأسرار ، كما أرسلت مصر العديد من أبنائها الى أوروبا كى ينهلوا من معين العلوم الحديثة ، وهو ما أسماه المؤرخون الانفتاح المصرى على أوروبا ، وقد كان لهـــذه البعثات ــ الاوروبية والمصرية ــ الأثر الكبير فى غزو مصر للمؤلفات الأوروبية (٣) ، فحين عادت الوفود الأوروبية الى بلادها عبرت عما رأت ووصلت اليه من نتائج ، كما كتبت البعثات العلمية المصرية الى أوروبا

بدورها عن بلادها وحضارتها وتاريخها . ولذا فاضت الآداب الأوروبية — على اختلاف أنواعها — بالمعلومات القيمة عن مصر قديما وحديثا ... ولما كان الأدب العبرى يعيش آنذاك فى كنف الآداب الأوروبية — ينهل منها ما يشاء — فقد غزته المعارف الجديدة عن مصر فطفق يعبر عنها بكل أنواع الانتاج الأدبى من شعر ونثر . وهذا لا يعنى أن اتصال الأدب العبرى الحديث بالحضارة المصرية كان يقتصر على ما تقدمه الآداب الأوروبية ؛ بل ان مجموعات كبيرة من اليهود كانت تنظم العديد من الرحلات الى مصر لمشاهدة تلك الحضارات التى بهرت العالم كله ؛ وكان لهذه الرحلات — بلا شك — انعكاس كبير على نفوس الأدباء الذين شاركوا فيها ؛ فأخذوا يعبرون عن ذكرياتهم التى حملوها معهم .

أما المحور الثانى فاننا نعثر عليه فى أدباء عبريين نشأوا فى مصر — طوعا أو كرها — وعرفوا عنها الكثير ، ثم هاجروا الى فلسطين ؛ وهناك سجلوا سيرة حياتهم وما ترسخ فى أذهانهم عنها ؛ فمنهم من ذكرها بالخير والتقريظ ، ومنهم من ذكرها بالسلبية والتجريح ؛ وسواء حدث هذا أو ذاك ؛ فان المحصلة النهائية هى أن مصر استمرت محافظة على مكانتها فى الأدب العبرى الحديث . وبات العديد من أدباء العبرية — وخاصة ذوو النشأة المصرية — يلقون الضوء على مصر وطبيعتها وحضارتها وتاريخها وأهلها وكل ما ينتمى اليها . مصر كما عرفوها فى طفولتهم وشبابهم . وبالرغم من أن كل أديب من هؤلاء الأدباء يكتب انتاجه بشكل فردى ؛ الا أنهم يلتقون جميعا حول هدف واحد هو البحث عن الأصل والجذور ؛ فازدواجية الموطن — التى يعانى منها المجتمع الاسرائيلى — أدت بكثير من الأدباء والكتاب العبريين أن يتحدثوا باسهاب — فى انتاجهم الأدبى والعلمى — عن موطنهم الأول الذى هاجروا منه ؛ وكأنهم فى حلبة صراع أو تنافس . أيهم يبين موطنه الأول أكثر ويلقى الضوء عليه . على أنه من الحق أن نقول ان الأوصاف التى ترد فى مثل هذه المؤلفات لا تتسم دوما بالايجابية ، بل ان السلبية أحيانا ما تسيطر عليها وتشكل خطها الرئيسى ؛ ربما ليثبت كل اديب من هؤلاء أنه لاقى من العنت والاضطهاد أكثر مما لاقى غيره ؛ أو أنه خاض الطرق الوعرة ؛ ثابتا على دينه وعقيدته متحديا أشق الصعاب ليصل فى النهاية الى « أرض الآباء !! » ؛ وعلى أية

حال فلا يكاد يكون هناك أديب من أدباء العبرية فى العصر الحديث غير حريص على ابراز مواطن القوة والضعف فى موطنه الأصلى ، وأصبح هذا الأمر طبيعيا ومنتشرا فى المجتمع الاسرائيلى بشكل كبير حتى اليوم .

والمحور الثالث تشكله تلك الحروب التى خاضتها مصر قائدة لأمتها العربية ودفاعا عنها وحماية لمقدساتها وحفاظا على الأرض والعرض والولد ، ونضالها ضد الصهيونية والاستعمار وما يحيكانه من مؤامرات تستهدف المنطقة العربية فى ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، تلك الحروب التى كان لها أكبر الأثر فى مجال الانتاج الأدبى العبرى بشكل عام ، حيث شغلت مصر — بأوصافها التوراتية السلبية — حيزا لا بأس بـه من هذا الانتاج ، فأخذ الأدباء العبريون يصورونها باعتبارها قاتلا بربريا متعطشا لسفك الدماء دونما دافع ! بينما يصورون بنى اسرائيل باعتبارهم أناسا مسالمين طيبين محبين للخير ولكنهم مضطرون لخوض الحروب دفاعا عن حياتهم ووطنهم التاريخى ضد ذلك القاتل !! ومن عجب أن تسـود هذه النغمة اذا ما حققوا نصرا أو لحقت بهم هزيمة !! .

وأما المحور الرابع فاننا نلمسه بوضوح فى السنوات الأخيرة حيث عاود الاسرائيليون اتصالهم بمصر عن قرب ، وخاصة بعد توقيع معاهدة السلام المصرية الاسرائيلية ، تلك المعاهدة التى أتاحت لهم الفرصـة كى يقوموا بزيارة مصر ، ويروا — رؤيا العين — ما كان يراود خيالهم وأحلامهم فى بلدان الشتات ، وباتوا يحكمون على ما ترسخ فى ذهنهم عن مصر ، وبات الواقع الملموس هو الفيصل بين الحق والظلم ، وكـان لذلك كله أثر كبير على وضع مصر فى الأدب العبرى ، فقد سجل الأدباء الزائرون ذكرياتهم عن هذه الزيارات بحلوها ومرها ، وكان النثر — فى ذلك — أسبق من الشعر وأكثر منه تعبيرا ، ذلك ان تحرر النثر من قيود الوزن او التفعيلة يعطيه القدرة على وصف الطبيعة وتصوير المكان بدقـة أكبر وتفصيلات أكثر اسهابا ، وولد لقاء أدباء العبرية بمصر فى العصر الحديث قدرا لا بأس به من وصف الطبيعة المصرية من منطلق الواقع الملموس بعد أن كانت — عند الكثيرين منهم — خيالا يداعب الجفـون ، وتوفرت — لدى الاسرائيليين — العديد من التحقيقات الصحفية بالاضافة

الى انطباعات السياح الاسرائيليين الذين يزورون مصر زيارات خاطفة، فحظى المواطن الاسرائيلى بذلك على العديد من المعلومات والمعارف عن مصر بالرغم من أنه لم يزرها ، ولذا بات أثر مصر جليا فى الأدب العبرى الابداعى بوجه عام نتيجة لهذه الاتصالات .

وهكذا نجد مصر مرتبطة بالأدب العبرى الحديث ــ منذ بدايته وحتى الآن ــ ارتباطا شديدا ، أو قل بدءا من نفتالى هيرش فيزل(٤) נפתלי הרץ ויזל ١٧٢٥ ــ ١٨٠٥ ــ الذى يضعه بعض نقاد الأدب العبرى فى مقدمة الأدباء العبريين فى العصر الحديث ــ وحتى أيامنا هذه ، ولما كان وجود مصر فى الأدب العبرى أكبر من أن نحصيه اجمالا أو أن نقدره من النظرة الأولى ، لذا رأينا أن نصنف هذا الوجود الى عدة صور ، سنحاول فيها أن نؤكد على وجود الصلة وتتابع العلاقة بين هذه الصور وبين المرحلة الزمنية التى ظهرت أثناءها وأثرت فيها .

* * *

الباب الأول

صورة مصر القديمة فى الأدب العبرى الحديث

١ ــ صورة مصر التوراتية .

٢ ــ صور لمصر الفرعونية .

٣ ــ مصر رمز للمنفى .

الفصـــل الأول

مصر فى صورتها التوراتية

ظهرت مصر فى هذه الصورة بشكل واسع ودائم فى الأدب العبرى فى مرحلة الهسكالا(*) השכלה ، وخاصة فى تلك المنظومات الشعرية التى تستعرض تاريخ بنى اسرائيل فى عصورهم القديمة ، والتى تشكل عملية خروجهم من مصر(٥) أساسا محوريا وركيزة أساسية تدور حولها هذه المنظومات ، حتى باتت مصر مقترنة باسم موسى ــ قائد الخروج ــ الذى لم يعد يذكر تقريبا دونها ، بل كثيرا ما اقترن ذكـرها أيضا بذكر بعض الأسماء الأخرى التى تنطوى على دلالات تاريخيـة ودينية عند بنى اسرائيل مثل يعقوب ويوسف وأسنات ابنة فوطيفـار واخناتون وغيرهم •

وبالرغم من أن حركة الهسكالا هدفت الى ادخال المعارف العلمانية الى المجتمع اليهودى وانقاذه من جمود الجيتو (**) وسلبيته وتعصبه الدينى ، الا أن المؤثرات الدينية ظلت تمارس ضغوطها عليها وتوجـه مسيرتها فترة طويلة من الزمن ، ذلك أنه لم يكن فى مقدور هذه الحركة أن تتخلص من هذا الارث الجامد دفعة واحدة ، ولو فعلت لانفض كل اليهود من حولها ولما أمكنها أن تتقدم فى سبيل تحقيق أهدافها خطـوة واحدة ، ولذا نجدها تلتزم بمنهاج تدريجى هادىء يتيح للعقل الانسانى امكانية العمل وسط هذا الخضم الهائل من المشاعر الدينية المتعصبة والدافقة التى تربت فى أحضان الجموع اليهودية فى الجيتو ، وقد أتـاح

(*) الهسكالا هى حركة الاستنارة اليهودية فى العصر الحديث ، وسنتحدث عنها فى صفحتى ٢٣ ، ٢٤ •

(**) الجيتو كلمة تطلق على الاحياء التى كان يقطنها اليهود فى أوروبا.

هذا المنهاج لحركة الهسكالا أن تحقق بعضا من أهدافها التى رمت اليها ، من أهمها أنها أخرجت كما هائلا م نهذه الجموع الى الشارع الأوروبى ليتفاعلوا به ومعه ، كما خلقت حيزا معقولا لاعمال العقل الانسانى ، وربما يفسر لنا هذا محاولة الهسكالا ايجاد صيغة للتكامل والتعايش بين العلم والدين ، كما يفسر لنا عودتها لتدوين ما خلفته العصور القديمة من معجزات وخوارق ، بل يفسر العودة الى التوراة ليستلهموا منهـــا تاريخهم ، كما يفسر أيضا — وهو ما يهمنا فى المقام الأول — السبب فى ظهور مصر — بأوصافها السلبية التى وردت فى التوراة — فى هذه الفترة من فترات الأدب العبرى الحديث • فكأنهم بذلك وصلوا ما انقطع منــذ العصور الغابرة ، عــاد الشعر الملحمى التوارتى وبداخله شخصية موسى التى ترتبط ارتباطا قويا بمصر،من منطلق قيادته القبائل الاسرائيلية وخروجه بهم الى سيناء ، ثم تلقيه الوحى ، وما تبع ذلك من أحداث شكلت شخصية موسى فيها أحد العناصر والأركان الأساسية ، والتى يكثف بنو اسرائيل جهودهم للتركيز على أن خروجه مع قومه كان خروجا من « منفى » امتهن فيه « الشعب المقدس » الذى ظل — منذ ذلك الوقت — يقضى معظم تاريخه متنقلا من منفى الى منفى حتى صارت بلدان الشتات — فى العصر الحديث — وكأنها امتداد لمصر فى العصر القديم • ان خروج بنى اسرائيل من مصر يشكل نقطة ارتكاز أساسية فى فكرهم العام وفلسفتهم القومية والدينية ، بل أنه يشكل مع فكرة « الخلاص » قطبى هذا الفكر ، فكلاهما يقع خارج التاريخ وفى دائرة المطلق،كما أنهما نقطتان متوازيتان — فالخروج هو بداية التاريخ « وعودة المسيح هى « نهاية التاريخ » ، وهما نقطتان تسيطران على الأدب العبرى كله سيطرة كاملة ••

ومصر التوراتية حين تذكر فى الأدب العبرى الحديث فانها تذكر بأوصاف سلبية ، هى بالتقريب ذات الأوصاف التى وردت عنها فى كتاب العهد القديم • ولما كان الأدب العبرى فى مرحلة الهسكالا مقلا فى وصف مناظر الطبيعة بشكلها التفصيلى : فان مناظر الطبيعة المصرية — التى أثارت مشاعر الأدباء فى كل العصور فطفقوا يصفونها فى ابداعهم — لم تحظ بالقدر الكافى من اهتمام أدباء العبرية فى تلك المرحلة ؛ وحتى حين كانوا يضمنون انتاجهم وصفا لهذه الطبيعة فانما كانوا يستندون فى

ذلك على الخيال الأدبى المحض ، أو قل هو الوصف النظرى المجرد الذى يبتعد ــ الى حد كبير ــ عن الواقع ، فكل ما كان يذكر لم يكن يتجاوز الطبيعة الجغرافية العامة مثل الوديان والجبال والهضاب والسهول والصحارى والبحار والأنهار وما شابه ذلك ، وحين تذكر هذه الأشياء فانها تذكر فى خطوط عامة مستمدة من كتاب العهد القديم ، ولكن من الحق أن نقول ان اقتصار أدباء الهسكالا على استخدام الخطوط العامة عند وصفهم لم يكن خاصا بمصر وحدها ، وانما كان ذلك هو أسلوبهم فى الوصف بشكل عام ، وما كان وصف مصر آنذاك الا جزءا من الكل .

وتجدر الاشارة الى أن مصر تظهر فى تلك الفترة بشكل خاص فى الملاحم الشعرية الكبيرة ، بينما يقل ذكرها فى النثر[٦] .

على أن وصف مصر فى العصر الحديث بنفس الصفات التى ذكرت فى التوراة يتسم بالسلبية والاجحاف ، ذلك أن الأدباء الذين ذكروها بهذه الصفات لم يستندوا الا الى كتاب العهد القديم ، فهم لم يزوروها ولم يخالطوا أهلها ولم يعيشوا تحت سمائها ، ولكنهم اكتفوا بهذا الكتاب الذى يصف مصر بأنها « بيت العبيد » ، بل ان الههم « يهوا » يستهل وصاياه العشر بقوله : « أنا الرب الهك الذى أخرجك من مصر ، من بيت العبودية ... »[٧] وهى عبارة لم يكتف بذكرها مرة واحدة ، بل رددها عشرات المرات « أنا الرب الهكم الذى أخرجكم من مصر من كونكم عبيدا وقطع قيود نيركم وسيركم قياما »[٨] « واذكر أنك كنت عبدا فى أرض مصر فأخرجك الرب الهك من هناك بيد شديدة وذراع ممدودة[٩] وغير ذلك من العبارات التى تصف مصر بأوصاف سلبية ، والتى يصر بعض أدباء العبرية على ذكرها والنظر اليها بمنظار أسود تسيطر عليه أوهام « الحسيدية »[*] وخرافاتها .

الرد على سلبية الصفات التوراتية :

وعلى الرغم من أن المجال هنا ليس مجال الخوض فى قصة الخروج وما تبعها من أحداث ، الا أن طرح أدباء العبرية لها واستلهامها

(*) انظر هامش رم ٢٧ .

حديثا يفرض علينا أن نتناولها ــ ولو بايجاز ــ حتى تتبدد الشكوك ، وتنقشع ظلمات أراد لها محرفوا التاريخ الضلال والاضلال .

حقا لم تكن قصة خروج بنى اسرائيل من مصر خرافية كما قد يرى البعض ، وانما هى حادثة تاريخية حقيقية تنطوى على خروج جماعة من مصر فى عهد معين ، وتوجه هذه الجماعة نحو أرض كنعان المجاورة . وقد شاءت الأقدار أن يسدل الستار على حقيقة هذه الجماعة أو أسباب خروجها ، اذ لم يعثر حتى الآن على مصدر قديم من المخطوطات الأثرية معاصر لخروج هذه الجماعة من مصر ــ يشرح لنا هويتها على حقيقتها ، أو الدوافع التى اضطرتها الى الخروج من مصر . والمصدر الوحيد الذى بين أيدينا هو التوراة التى كتبها مجموعة من اليهود فى الشتات بعد موت موسى بما يقرب من أربعة وعشرين قرنا ظل اليهود أثناءها يتناقلونها شفهيا ، مما أفقدها الدقة وسنح ليد التحريف والاقحام أن تمتد اليها ، ولذا جاءت القصة ــ قصة الخروج ــ مشوهة ومحورة بالشكل الذى يخدم مقاصد خاصة وأهدافا معينة ، ولاحقتها الشكوك من هنا وهناك(١٠) ، وأصبحت فى نظر الكثيرين أشبه بالأساطير الخيالية منها بالحقائق التاريخية ، بيد أن الشكوك لم تقتصر على التوراة وحدها ، بل أن هناك من شك فى شخصية موسى ذاته(*)، وعما اذا كان عبرانيا أم مصريا ، بل أرجع ديانة موسى نفسها الى أصل مصرى(١١) ، وما دام الشك قد حام حول التوراة ونبى التوراة فان كان ما يذكر فيها لا يمكن أن يكون محل ثقة أو مصداقية من اللحظة الأولى ، وينطوى تحت ذلك أسباب قصة الخروج وما تبعها من أساطير وتخيلات وتهويمات وادعاءات ، ربطوا بينها وبين شخصية دينية عالمية لها جلالها هى شخصية موسى عليه السلام .

ومن عجب أن توراتهم ذاتها ــ على ما بها من شكوك ــ تذكر ما لا يتفق مع العبودية أو مظاهر اضطهاد فرعون لبنى اسرائيل .

فهل صادر فرعون الخروج أرض جاسان ــ التى كان يقطنها بنو اسرائيل والتى أعطاها فرعون يوسف لجاليتهم حين لاذو بمصر فرارا من

(*) على سبيل المثال سيجموند فرويد .

المجاعة ؟ ان التوراة ذاتها تروى أنهم لبثوا فيها الى اليوم الذى خرجوا فيه ، وكانت هذه الأرض أفضل من غيرها وتشهد على ذلك العبارة التوراتية القائلة « ضرب البرد جميع عشب الحقل وكسر جميع شجر الحقل الا أرض جاسان حيث كان بنو اسرائيل فلم يكن هناك برد »(١٢).

ثم هل كان بنو اسرائيل فى عهد فرعون الخروج هذا يشكون العوز والحرمان ؟ كلا ، فقد خرجوا من مصر وهم يسوقون أمامهم قطعانا كبيرة كثيرة من الماشية « وصعد معهم لفيف كثير أيضا مع غنم وبقر ومواش وافرة جدا »(١٣) .

وتوراتهم ذاتها تشهد كذلك أنهم أكلوا على مائدة مصر وشربوا ، ونالوا من رزق العيش فيها رغدا : حتى أنهم ندموا على تلبيتهم دعوة موسى وهارون لمسيرة الخروج « وقال لهما بنو اسرائيل ليتنا متنا بيد الرب فى أرض مصر اذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزا للشبع(١٤)، ثم يخاطبون موسى نفسه قائلين « أقليل انك أصعدتنا من أرض تفيض لبنا وعسلا لتميتنا فى البرية »(١٥) ، ثم ألم يترددوا فى قبول دعوة موسى للخروج « فكلم موسى هكذا بنى اسرائيل ولكن لم يسمعوا لموسى(١٦) فأى عبودية تلك التى يقصدون وقد ترددوا فى قبول دعوة للافلات منها، ألا يلقى هذا بظلال من الشك على زعم توراتهم بأن مصر هى أرض العبودية ؟ !! وقبل هذا كله ، ألم تكرم مصر وفادة يعقوب وأبنائه من مجاعة اجتاحت فلسطين آنذاك(١٧) ؟ وألم يتزوج سليمان من أميرة فرعونية ؟ ألم يلجأ الكثيرون من بنى اسرائيل الى مصر التماسا لخيرها وعطائها وطلبا لودها وبحثا عن حمايتها وخاصة فى عصر يهوياقيم (أحد ملوك مملكة يهوذا)(١٨) ؟

واذا ما نحينا التاريخ التوراتى جانبا ، وقرأنا التاريخ العام سنجد أن أقدم ما وصل الينا من معلومات عن قصة الخروج — بعد التوراة — يرجع الى عهد يوسيفوس — المؤرخ اليهودى الشهير (القرن الأول الميلادى) — الذى ينقل عن ما نيثون — المؤرخ المصرى الذى عاش فى القرن الثالث قبل الميلاد — قوله : ان سبب خروج جماعة موسى من مصر

هو رغبة المصريين أن يتقوا شر وباء انتشر بين بنى اسرائيل [١٩] . كما أننا نجد روبر تسون Robertson يقول : « لقد تعلم بنوا اسرائيل صناعة السفن وعادات شعوب البحر منذ دخولهم الى مصر بعد أن عاشوا أعواما طويلة يسكنون الخيام ويعملون بالرعى » [٢٠] ثم يقول : « كذلك مارس بنو اسرائيل الأعمال الحرفية المختلفة وأتقنوها ، كما أنهم كانوا يشغلون مناصب لا بأس بها ، فكان منهم الضباط ، والكتبة والنظار والمشروعون [٢١] ويقول بونتيت Pontet « لو كانت هناك عبودية ما أتاح المصريون لبنى اسرائيل ممارسة هذه الوظائف » [٢٢] ونحن نستطيع أن نقول ان العلاقة بين الامبراطورية الفرعونية ومملكة داود وسليمان لم تكن دوما سيئة ، كما أنها لم تكن يوما طيبة طول الوقت ، فكثيرا ما فر اليهود من الاضطهاد ولاذوا بمصر لتحميهم ، وكثيرا ما انضمت جماعات من بنى اسرائيل الى جيش مصر كمرتزقة ، وقبل سقوط الهيكل كانت هناك فى مصر مستوطنة يهودية يقوم سكانها — من الجنود المرتزقة بحماية حدود مصر الجنوبية [٢٣] .. وعلى الجانب الآخر نجد الأقلية الاسرائيلية فى مصر قد تحالفت مع الهكسوس ضد مصلحة البلاد وأمنها ، كما أن كثيرا من الفراعنة قاموا باحتلال فلسطين حماية لحدود مصر الشرقية ، أو فرضا لحكومة تابعة لهم ..

وبعد هذا كله الا يمكننا القول : اذا جاز أن يحسب علينا خطأ فرعون واحد — هو فرعون موسى — أليس من العدل أن يحسب لنا أمجاد فراعين آخرين وضعوا النواه الأولى لحضارة الانسان ، ويكفى الواحد منهم أمة بأسرها فى باب التفاخر [٢٤] ؟ !! .

لقد دار التاريخ بين مصر وبنى اسرائيل — فى العصر القديم — دورته الطبيعية ، وكانت العلاقة بينهما علاقة عادية تتسم بالصداقة أحيانا وبالعداوة أحيانا أخرى . فما قصد المصريون ببنى اسرائيل عنفا ولا تنكيلا ، وما أراد محرفوا التوراة ومن سار على دربهم بمصر الا عنتا وشططا وافراطا ، وما كانت حادثة الخروج سوى حدث عادى نظر اليها التاريخ العام نظرة عادية خالية من أى استثناء خاص أو قيمة فريدة ، خاصة وأنه لم يعثر على مصادر تاريخية موضوعية يمكن التحقق منها

أو اثباتها : بينما ينظر التاريخ الدينى اليهودى الى تلك الحادثة باعتبارها معجزة الهية ، حتى باتت تمثل ركيزة أساسية من ركائز العقيدة الدينية عند اليهود ، وبذلك اختلط التاريخ بالدين ، واتخذت الحادثة طابعا تاريخيا دينيا سيطر على وجدان بنى اسرائيل جيلا بعد جيل ، وعبروا عنه فى انتاجهم الأدبى والفنى بشكل عام ، وأصبحت مصر فى الوجدان اليهودى — وبفضل هذه الأوهام — رمزا للعبودية والنفى والقتل ، وتحول المصريون رمزا للاغيار الذين يجب أن تلاحقهم يد الانتقام ••• ولنقطف بعض النماذج التى تتضمن هذه النظرة التوراتية السلبية لمصر •

« قصائد المجد » / שירי תפארת التى كتبها نفتالى هيرتز فيزل / נפתלי הרץ וייזל (١٧٢٥ — ١٨٠٥) :

ملحمة كبيرة تتكون من ستة أجزاء وثمانى عشرة مقطوعة شعرية ، نظمها فيزل حين بلغ من العمر ستين عاما ، وقد استغرق صدورها أربعة عشر عاما من ١٧٨٨ حتى ١٨٠٢ (٣٥) ، وتوفى فيزل دون أن يكمل الجزء السادس ، فأكمله ابنه سليمان فيزل / שלמה וייזל عام ١٨٢٩ •

وتدور هذه الملحمة حول حياة اليهود فى مصر قبل الخروج ، كما تتناول حياة موسى منذ مولده : ثم حياته فى قصر الفرعون ، ثم قيادته القبائل الاسرائيلية وخروجه معهم الى سيناء ، وتنتهى على أثر صعوده الى الجبل وتلقيه الوحى ثم وفاته • ويجدر بنا — قبل أن ندرس هذه القصائد — أن نعطى لمحة سريعة عن الحياة اليهودية والأدب العبرى ابان نظم هذه القصائد ، والتى يصعب فهمها وادراك أهدافها دونهما •

فقد نظمت هذه القصائد فى مرحلة مبكرة من الأدب العبرى الحديث ، وهى مرحلة « الهسكالا » التى تعنى التنوير أو الاستنارة ، وهى تعبر عن تيار اجتماعى فكرى ، اجتاح مجتمعات اليهود منذ القرن الثامن عشر ، بهدف اخراج اليهود من عزلتهم ، وتكيفهم مع الظروف المتغيرة ، التى استجدت من حولهم فى العصر الحديث وذلك دون أن يفقدوا هويتهم

اليهودية وطابعهم المميز ، فقد عاش اليهود ــ قبل ذلك ــ منغلقين على أنفسهم فى الجيتو ، يميزهم الترمت الشديد لتراثهم ومقدســاتهم ونظرتهم المتعالية الى أبناء الشعوب الأخرى واضعين فى اعتبارهم أنهم «شعب الله المختار» وأن ما عداهم هو الباطل، فحرموا أنفسهم من تعلم اللغات الأجنبية والعلوم العامة ، بل رفضوا أن تكون اللغة العبرية ذاتها لغة للحديث ، فهى ــ فى نظرهم ــ لغة مقدسة ، كما كان التعليم يرتكز على أسس دينية عقيمة ، وكان العلم الوحيد المسموح لهم بالاشتغال فيه هو التلمود وشروحه ، بل كان من المحرم عليهم دراسة بعض أجزاء من كتاب العهد القديم منها ــ على سبيل المثال ــ الكثير من اسفار الأنبياء ، وسائر الكتب الحكمية والنبوءات كما حرموا على أنفسهم دراسة الفلسفة العبرية التى وضعت فى العصور الوسطى[٣٦] ، وابان ذلك الجمود والتخلف الذى يعيشه اليهود كان رقى العلم والثقافة قائما على قــدم وساق فى أرجاء القارة الأوروبية ، وتألقت نظريات الحرية الفــردية وحقوق الانسان ورفض أشكال الحكم القائم على الاستبداد، وهو ما أطلق عليه اجمالا ــ حركة التنوير الأوروبية ، ونتيجة لهذه التطورات تغيرت نظرة المجتمع الأوروبى الى اليهود ، فقد ألغيت القوانين المقيدة لحرياتهم، وأصبح من الممكن أن يمارسوا نشاطهم داخل بلدانهم كمواطنين عاديــين لهم نفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات ، وما أن جاء القرن الثامن عشر حتى ضاق مجموعة من شباب اليهود بتلك التقاليد البالية والطبــاع اللاانسـانية التى شكلت حاجزا من الغرابة بين اليهود وبقية الشــعوب فتحولوا الى «متنجديم» أى معارضين لذلك التيار المترمت الذى كان يسود المجتمعات اليهودية ، واتجهوا الى الثقافة الأوروبية الحديثة ينهلون من معينها ، وكان فيزل أحد هؤلاء اشباب الثائرين ضد ترمت أهليهم ، وقد أطلق على المرحلة الجديدة مرحلة « الهسكالا » أى التنوير والثقافة ، وكأى حركة جديدة كانت بداية الهسكالا من الضعف بمكان ثم ما لبث أن اشتد عودها بعد ذلك .

أقول هذا فى معرض حديثنا عن « قصائد المجد » التى تخاطب ابن تلك المرحلة والتى يدعو فيزل ــ من خلالها ــ الى خروج اليهودى الى الشــارع الأوروبى والأخذ بالعلوم الحديثة ، والتى يركز [illegible]

علي موسى باعتباره « المسكيل » أي المثقف أو المتنور ، الذي يحمل لواء الثقافة ويقود أبناء شعبه نحو التنوير ، بينما يقف على الجانب المضاد فرعون مصر مع المماليق والرعاة ــ بجهلهم وجهالتهم وكراهيتهم للعلم ــ ليحاربوا الثقافة . ويحولوا دون انتشارها، فكأنما أراد فيزل أن يستقي نعوتا من مرحلة حديثة ــ وهي مرحلة الهسكالا ــ ليضفيها على مرحلة قديمة من التاريخ وهي مرحلة وجود بني اسرائيل في مصر . فموسى هو قائد الهسكالا والتنوير ، يتبعه في ذلك شعبه ، بينما يحاربه المصريون القدماء ويقفون حجر عثرة أمام الثقافة والمعرفة،ومن يعارض «الهسكالا» من اليهود ــ فكأنما يقف مع المصريين والرعاة ضد شعبه وضد « سيد أنبيائهم » موسى ، فيحق عليه آنذاك ما يحق على المصريين من صفات وويلات .. وهكذا أبقى فيزل على أدوار القصة القديمة كما هي ، فالمصريون يشجعون الجهل ، يقودهم في ذلك فراعينهم ، بينما يشجع بنو اسرائيل العلم والثقافة ويقودهم في ذلك « موسى » !! بيد أن الممثلين هذه المرة كلهم من بني اسرائيل ، دعاة الهسكالا ومعارضيهم . ــ لقد استلهم فيزل ــ في هذه الملحمة ــ شخصية « سيد أنبياء بني اسرائيل » لتكون ذات تأثير قوي على الجموع اليهودية ، في وقت كانت هذه الجموع تفتقد الى قائد يهودي قوي شجاع يقف في مقدمة الصفوف ليواجه المترمتين من أبناء شعبه رافضا لأفكارهم الحسيدية(٣٧) المترمتة ومنطلقا بشعبه الي حيث المعارف الانسانية العامة .

وقد احتدم جدل كبير حول اقدام فيزل على نظم هذه الملحمة ، وحول الدوافع التي أدت به الى هذا العمل ، وهو الذي لم يقدم على نظم أية قصيدة دينية طيلة حياته قبل هذا (٣٨) ، وأجمع معظم نقاد الأدب العبري الحديث ــ وعلى رأسهم جريتس ، ان كلمات هيردر في هذا الشأن كانت بمثابة دعوة صريحة لفيزل كي يؤلف قصائد المجد(٣٩) ، فنحن نجد هيردر يقول في كتابه عن روح الشعر العبري « كم ادهش حين أعلم انه ليس لدينا حتى الآن عمل عن موسى ، وعن انقاذه للأمة من العبودية ، وتحويلها الى أمة تعبد الرب ، واني أرى أن عملا كهذا يعتبر أكثر قيمة وسموا من سائر القصص الواقعية التي تدور حول الحروب والرحلات ، فموسى هو أقدم مشرع نعرفه قام بسن القوانين التي تلقى

منا المهابة والاجلال :حياته المليئة بالمتغيرات المدهشة ، ميلاده وتعلمه فى مصر ، ثم خروجه منها محبة لشعبه . ودعوة الرب له فى الصحراء ، والصراع بين اله آبائه وبين الفرعون وكهنة مصر ، والخروج بقومه عبر البحر ، وعمود النار والسحاب ، ونزول التوراة ، والمعجزات التى حدثت فى صحراء سيناء ، وتطلعه إلى أرض كنعان ، كل هذه الأحداث تشكل مادة ثرية للشاعر .. انني لا آمل أن أثير بكلامي هذا شاعرا ألمانيا ، انما أملى أن أثير شاعرا عبريا من يهود ألمانيا يمكنه أن يخرج هذا العمل الى حيز التنفيذ ، باعتباره موضوعا قوميا »[٣٠] بينما يرى كلوزنر أنه تأثـر فيها الى حد بعيد بقصيدة المسيح لكلوبشتوك (*) ، ولا سبيل لأن نعثر فيها على نظرية جديدة عن تلك الأحداث التاريخية أو حتى على خيال مجنح أو متانه لغوية[٣١] ، وكلوزنر يقول ذلك من منطلق أن قصائد المجد عند فيزل تنتهى بصعود موسى للجبل وتلقيه الوحى ، وهو بالضبط ما حدث فى قصيدة المسيح عند كلوبشتول حيث تنتهى بصعود المسيح وجلوسه بجانب الرب .

بيد أن كلوزنر — فى هذا الرأى — يتناقض مع الرأى السائد بأن الجزء السادس قد أكمله ابنه بعد وفاته ، فهذا الجزء يتضمن عمليـة صعود موسى للجبل ، ولذلك فان التناقض قد بات واضحا وشديدا بين رأى كلوزنر ورأى أغلبية النقاد ، فاذا كان فيزل متأثرا بكلوبشتوك فلابد أن نسلم أيضا بأن فيزل نفسه هو الذى كتب الجزء السادس وليس ابنـــه .

وعلى أية حال فان الملحمة قوبلت بنقد شديد حيث انتهى النقـاد الى أنها تفتقر الى مقومات الطابع الملحمى وقوة الخيال ، ووصفوها بأنها ليست سوى قصص من الكتاب المقدس فى أبيات ، وبأنها شروح للتوراة معدة فى صورة شعرية[٣٢] ، أو كما قال جريتس « هى تاريخ بنى اسرائيل مكتوب فى اطار شعرى »[٣٣] .

(*) كلوبشتوك هو شاعر المانى معاصر لفيزل .

وبالرغم من أن « قصائد المجد » هذه تتناول قصة دارت أحداثها كاملة على أرض مصر وتحت سمائها ، وهى قصة الخروج التى جعلها اليهود ركيزة أساسية فى فكرهم الدينى والاجتماعى والسياسى ، نقول انه بالرغم من ذلك كله الا أنها لا تعكس لنا شيئا عن المسرح الذى جرت عليه الأحداث ، عن الطبيعة المصرية سـواء فى وادى النيل ــ قبـل الخروج ــ أو فى صحراء سيناء بعد الخروج ، لم نعثر حتى على مجرد تلميح ولو من بعيد ، وهو أمر كان ميسورا فى عصر فيزل ، ذلك العصر الذى تعددت فيه الرحلات الفردية والجماعية ، والتى تمخض عنها فيض هائل من كتب الرحلات على اختلاف أنواعها ومصادرها ، بل ان فيزل لم يعمل خياله ــ ليصف هذه الطبيعة ــ كما فعل غيره من الأدباء فيما بعد .
واذا سلمنا أن هذه الملحمة تفتقد الى وصف طبيعة المنطقة التى دارت عليها الأحداث فعلينا أن نسلم أيضا بضعف الخيال الأدبى واضمحلاله.
ويبدو أن فيزل كان يهدف الى جعلها ملحمة فكرية فلسفية يعبر فيهـا عن نظرته الخاصة فى الأحداث المعاصرة له وعن شخصية تاريخيـة هى شخصية موسى ، ليربط فيها بين ماضى اليهود وحاضرهم ، فتحدث عن كل شيىء عدا الوصف ، ولكن هذا لا يغنى عن القول بأن الوصـف والخيال كانا من الضعف بمكان فى تلك المرحلة المبكرة من الأدب العبرى الحديث ، ليس عند فيزل فقط بل عند معاصريه من الأدباء .

ويتحدث فيزل عن قدوم بنى اسرائيل الى مصر فيقول :

לִקְרַאת יִשְׂרָאֵל מִצְרַיִם שָׂמְחוּ,
אֶת כָּל שַׁעֲרֵי עִירָם לָהֶם פָּתְחוּ, –
וּבְמֵיטַב הָאָרֶץ שַׁאֲנָן יָשְׁבוּ.
שָׁם הִרְבּוּ בָּנִים כִּדְגֵי יָם שָׁרְצוּ,
שָׁם חֵילָם וְאָשְׁמָם לָרֹב פָּרָצוּ

(٣٤)

الترجمة :

سعد المصريون بمقدم بنى اسرائيل
فتحوا لهم كل أبواب مدينتهم
وأقاموا فى أكثر مناطق الأرض سكينة
هناك تزايد الأبناء وتكاثروا كأسماك البحر
هناك نمت قوتهم وفاضت صوامع غلالهم

فالشاعر فى الأبيات السابقة يتحدث عن قدوم بنى اسرائيل الى مصر ابان حكم يوسف ، وكيف استقبلهم المصريون بصدور منشرحة، وكيف أكرموا وفادتهم ، ثم كيف عاش القادمون فى مصر فى جو من الهدوء والسكينة فتناسلوا وتكاثروا وزاد عددهم ، فالمصريون هنا كرماء ومرحبون ومغدقون ، وفجأة يقول الشاعر :

(٣٤)

פִּתְאֹם נֶהְפַּךְ יוֹמָם אֶל חֶשְׁכַּת לֵיל
וִידֵיהֶם לֹא מָצְאוּ כָּל אַנְשֵׁי חָיִל
וּמִדַּאֲבוֹן נֶפֶשׁ, מִכֹּבֶד צָרָה
כִּי הָפַךְ לֵב סָם לִשְׂנֹא צֹאן יָדָהּ,
חָרְשׁוּ רָעוֹת, הִתְנַכְּלוּ בַּעֲבָדֶיהָ,

الترجمة :

وفجأة انقلب نهارهم الى ليل بهيم
لم تعثر اياديهم على من يدافع عنها
ومن هول الأزمة ومن أسى النفس
تحول قلب دافىء وأصبح يكره أغنامك
ربضت الوحوش واحتالت بعبيدك

فهنا أصبحت مصر فجأة دارا للعبيد ، قطعت على بنى اسرائيل سكينتهم ، فشعروا تجاهها بالمرارة ، وطفقوا يكرهونها ويمقتونها ،

والغريب أن فيزل لم يذكر السبب فى تحول سلوك المصريين تجاه بنى اسرائيل فجأة وعلى هذا النحو . ومن الواضح أن الشاعر تناول فى الأبيات السابقة أيضا مصر حكومة وشعبا ، ولكنه لم يتناولها كأرض مثلت مسرح الأحداث فى القصة .

ثم يتحدث فيزل عن قيادة موسى للعبريين فى الخروج من مصر ، وكيف أنه زهد فى خيرها لأنه لاسعادة فى خير يصاحبه ألم ، ولا انبهار بعجائب يصاحبها انحلال !! .

ויברח איש האלהים מארץ מצרים
אנה פנה העלים עקבותיו לא הודיע
כי אויבו עז כי ידלוק אחריו ישיגנו
לעזוב כל טוב מצרים לא הוסיף בו עצב
התעצב עוזב טוב לעד לא ישביעהו ?
יתעצב יורד מגדולות לא חפץ בהנה ?
איש לא הלך בגדולות לא ישב בשפל (٣٦)
איש לא עמל לאסוף עושר לא ידע עוני

الترجمة :

وهرب رجل الله من أرض مصر
ناح وهرب ، يخفى أثره دون أن يعلن
أن عدوه الجبار سيتتبعه ويهاجمه
ولم يتألم حين ترك مصر وخيرها
وهل يتألم من يعزف عن خير لن يشبعه ؟
وهل يتألم من يهجر عجائب لا يبتغيها ؟
وشخص لا يكدح ليحقق ثراء ، هو شخص لا يعرف الفقر
وشخص لا يكدح ليحقق ثراء ، هو شخص لا يعرف الفقر

ومن الواضح أن فيزل فى « قصائد المجد » كان متأثرا الى حد كبير بالاسلوب التوراتى الكلاسيكى وهو أسلوب ساد أدب الهسكالا كله حيث كانت عملية احياء اللغة العبرية ما زالت فى مهدها ، فالألفاظ

والمصطلحات ـــ بل كثير من العبارات ـــ مستمدة بالكامل من التوراة ، ولم يكن الاسلوب فقط هو الذى استمد من التوراة ، بل ان المضمون ذاته لم يكن الا سردا لما ورد بين سطورها ، وهكذا أصبحت الملحمة خلوا من كل فكر خاص أو خيال أدبى ذاتى وهما من الأسس الرئيسة فى فن الشعر ، بل فى الفنون الأدبية كلها •

أما النموذج الثانى فهو قصيدة אסנת בת פוטיפרע أسـنات بنت فوطيفار[٣٧] التى كتبهـا يهـودا ليف جـوردون[٣٨] יהודה לב גורדון : (١٨٣٠ ـــ ١٨٩٢) :

وردت هذه القصيدة فى ديوان שירי יהודה قصائد يهودا الذى نشر عام ١٨٦٨ ، وهو ديوان يتخذ من أساطير حكماء اليهـود وكهنتهم موضـوعا أساسيا له[٣٩] • وطبقـا للقصيدة فان فوطيفار يعتبر أبا لاسنات التى تزوجهـا يوسف ، كما اعتبرت زليخة ـــ زوجة فوطيفار ـــ أما لها • وقد استند جوردون فى ذلك الى التقاليـد القديمة القائلة بأن يوسف تزوج من ابنة زليخة أمرأة فوطيفار التى لم تنجح فى اغراء الشاب العفيف والانحراف به عن جادة الصواب ، فانبرى الشاعر يصف ذلك الحب الطاهر الذى يكنه يوسف لابنة سـيده الرائعة الجمال التى كانت تبادله الحب • وفى الوقت الذى تتهم فيـه زليخة يوسف بأنه حاول أن يحملها على الانحراف عن جادة الصواب ـــ مما أدخله السجن ـــ تنشب فى صدر الصبية حرب عنيفة بين ثقتهـا القوية بصدق أمها التى تقدرها وبين حبها ليوسف ، وهذه الصبية ـــ التى أصبحت صبية البلاط لدى ملكة مصر ـــ هى التى تذكر لملك مصر ـــ حسب ابتكار الشاعر ـــ العبد يوسف حاكما للبـلاد المصرية بأسرها وزوجا لأسنات ابنة زليخه عدوه اللدود •

وهكذا فان الأم التى حاولت أن تراود فتاها يوسف عن نفسه لم تستطع أن تحقق ما عقدت العزم عليه ، ولم تفز بيوسف بل فازت به ابنتها •• وهكذا تدور القصيدة حول التهمة التى حاقت بالمصريين : رغبات ، وشهوات متمثلة فى زليخة ومنافستها لأسنات ابنتها ، وفى

المقابل نجد موقفا آخر ، نجد عفة وطهارة يتسم بها يوسف الذى تذكـــره القصيدة باعتباره ممثلا لبنى اسرائيل ، وبالتالى فان المصريين القدماء تحكمهم الشهوات والرغبات ، بينما تحكم بنى اسرائيل الطهارة والعفة • ومن عجب أن نوريت جوبرين נורית גבגרין — وهى ناقدة شهيرة فى اسرائيل يقول : « يجب أن نفهم هــذه القصيدة ونستوعبها فى اطار كفاح الفرد ضد المجتمع ، ونضاله ضد الاتفاق الاجتماعى العام »(٤٠) فكأن المجتمع المصرى القديم كله كان فاسقا وزنديقا ، وكأن بنى اسرائيل مجموعة من الأطهار والملائكة !! فهل ينسحب خطأ زليخة وما اقترفت من ذنوب وآثام على شعب بكامله ، وهل كل الفراعين وعامة الشعب «زليخة»؟ وهل كان كل بنى اسرائيل « يوسف » ؟ ولم لا ينظر الى الواقعـــة كحدث فردى لا يرتبط بالأمة كلها ؟ وهل من الضرورى أن ينسحب فسق زليخة على مصر ، وطهارة يوسف على بنى اسرائيل ؟ أم هو تصيد وتحريف لحقائق التاريخ ؟ !! اننا لا يمكننا أن نصدر حكما عاما بالانحلال على مجتمع عثرنا فيه على فرد أو عدة أفراد يتسمون بالانحلال ، كمـــا أنه لا يمكننا أن نطلق حكما عاما بالطهارة والعفة على مجتمع لمجرد أننا عثرنا فيه على فرد أو عدة أفراد يتسمون بالعفة والطهارة ، ولكننا يمكننا أن ننظر الى كلتا الحالتين باعتبارهما الفردى وليس الجماعى •

واذا كانت « قصائد المجد » التى نظمها فيزل تفتقر الى التصوير والخيال ، فاننا نجد جوردون يحاول أن يضمن قصيدته ــ اسنات بنت فوطيفار ــ مناظر الطبيعة والبيئة المصرية ، ولكن فى اطار من أحكام وسمات أدب الهسكالا الذى كان يلتزم بالخطوط العامة فى الوصف دون الاغراق فى التفاصيل ، فهو يصف مصر فى القصيدة باعتبارها « سوق العبيـــد » ، وهو مكان يضم العديد من الأجناس والألوان من أبنـــاء الشعوب جميعا ، كما يصور المصريين وقد احتشدوا فى هذا السوق لاختيار ما أرادوا من عبيد وهو يتفق مع ما ورد فى التوراة من أن مصر هى « بيت العبيد » ، حيث يقول الشاعر :

שם כושים חמים ולהבים יעמדו,
מלוד ומסוט דמשק ובבל,
משבא מערב מאשור ומהדו;
מהם גדלי קומה עומסים בחבל,
מהם נמרים בבית יעבדו,
שרים ומחוללים ופורטים על נבל,

והמון קונים שונים שמה נקהלו
יבחנום ויבקרום למחירם ישאלו. (٤١)

الترجمة :

هناك يقف الزنوج السود المتحمسون
من اللد ومن تخوم دمشق وبابل
من سبأ ، من العرب ، من أشور ومن الهند
منهم شرفاء (طويلو القامة) تحملوا الشقاء
ومنهم أقزام يشتغلون فى البيت
يغنون ويرقصون ويعزفون على القيثارة
واحتشد هناك مختلف العملاء (الزبائن)
ليفحصوهم ويختبروهم ويسألوا عن ثمنهم •

ثم ينتقل الى بلاط فوطيفار وزير الشرطة ، فيصفه بشكل أكثر دقة وتفصيلا ، مستخدما المجاز والاستعارة ، فيصفه بأنه « جنة عدن » فى مقابل ما يعانيه الشعب من ضغوط الحياة وآلامها ، وهو — أى فوطيفار — لا يعبأ بهذه الضغوط ولا يعير آلام الشعب انتباهها

פרדס נחמד שתול על פלגי מים,
בו ישל כל עץ נחמד לעינים,
שם ינץ השקד תפרח הגפן,

(٤٢)

الترجمة :

بستان بديع مغروس على ضفات البحر
اثمرت فيه كل شجرة تعجب الناظرين
هناك يتهدم اللوز ويثمر الكروم

لقد أسهب جوردون فى اطلاق أطيب الصفات على قصر فوطيفار ، بيد أنه لم يطلقها حبا فى اظهار الجمال والابداع ، بل ليعقد المقارنة بين حياة الحكام وحياة عامة الشعب ، وليصل فى النهاية الى أن هؤلاء الحكام كانوا شديدى الظلم لا يعبأون بما يقاسيه الشعب ، ومن المثير للدهشة ان كاتبة مثل نوريت جوبرين تقول عن هذا الوصف « ان من لا يدرك ما يتحدث عنه جوردون — منذ الوهلة الأولى — سيعتقد أنه يصف بيتا فى أرض اسرائيل ، وربما لا يخطر له أنه يدور حول بيت من بيوت مصر » (٤٣) وكأن الابداع والجمال سمة خاصة من سمات بنى اسرائيل لم يقدر للآخرين أن يحظوا منها بالقليل ، أو كأن أدباء العبرية لا يصفون جمالا وابداعا الا اذا كان ينطبق على بنى اسرائيل فقط ! ونسيت نوريت — أو ربما تناست أن الشاعر يوظ فكل ملكاته الفنية ليبرز انصراف حكام مصر الأقدمين عن معاناة شعبهم •

ولقد استمر وصف فناء فوطيفار فى مواضع متعددة من القصيدة أظهر خلالها بعضا من خصائص مصر الفرعونية مثلما قال :

סביב נצבו כל אלהי מצרים:
שם פסל אמון בדמות איל קרנים,
פיתום ובעל־צפון בדמות צפע. (٤٤)

الترجمة :

وقفت آلهة مصر محلها ملتفة
هناك تمثال آمون فى صورة تيس ذى قرنين
وساحر وواحد من (أهل الباطن) السحرة فى صورة أفعى

وقد ورد فى القصيدة أيضا ذكر « فيضان النيل » الذى كان يشكل عيدا بالنسبة للمصريين . يوم يتعلقون فيه بأطيب الآمال بعام سعيد من الخصوبة والنماء فيقول :

יום הלולים וחג לבני מצרים!
לשפת שיחור כל הארץ הולכת:
יום עלות היאר, כי נאו המים
ויבשרו שנה טובה ומברכת .
(٤٥)

التر جمة :

يوم بهجة وعيد لبنى مصر
تذهب الأرض كلها الى نهر شيحور
يوم يفيض النيل وتصلح مياهه
فتبشر بعام مبارك من الخير

أما مربية اسنات . فتسمى تحفينس وهو أحد الأسماء المصرية القليلة التى تظهر فى كتاب العهد القديم ، والذى ظهر أول ما ظهر اسما لامرأة فرعون مصر فى عهد سليمان ، ثم صار اسما لمدينة فى مصر (ارميا ٢ : ١٦ ، ٤٣ : ٧ — ٩ ، ٤٤ : ١ ، ٤٦ : ١٤ ، حزقيال ٣٠ : ١٨) . وهى مدينة التجأ اليها اليهود هربا من انتقام البابليين بعد قتل جدليا(*) ، ويبدو أن بنى اسرائيل كانوا قد اتخذوها مسكنا دائما لهم ، وتحفنيس من الأسماء التى يمكن أن نعثر عليها تقريبا فى كل انتاج يحكى عن مصر(٤٦) .

وقبل أن ننهى حديثنا عن يهودا ليف جوردون يجدر بنا أن نشير الى ما ورد فى كتابه (משלי יהודה أمثال يهودا) عن مصر ، وقد نشر هذا الكتاب عام ١٨٦٥ ، واستمد معظم هذه الأمثال من أمثال لافونتين الفرنسى وكريلوف الروسى وغيرهما ، وأما الأمثال الأخرى فقد كانت من وضعه حيث استمدها من الأحداث المأساوية التى مر بها اليهود فى تجمعاتهم فى أوربا(٤٧) .

(*) احد ملوك المملكة الجنوبية « يهوذا » .

وامتازت هذه الأمثال بأسلوبها التوراتى حتى أن القرائين وضعوها فى كتب القراءة العبرية المقررة على تلاميذ المدارس [48] .

والمثل الذى يهمنا فى هذا الكتاب هو הצפרדע אשר ביאור أى الضفادع التى فى نيل مصر [49] وهو مثل كان اليهود يطلقونه فى عصر جوردون — وفى منطقته ذاتها — على زعماء الشعب ، ويشير المثل الى أن قادة الضفادع وكبارها عادة ما يتسمون بالنهم والشراهة عند تناولهم الطعام دون النظر الى صغارهم . وكذلك زعماء الشعب — فى عهده — ينصرفون الى مصالحهم الذاتية دون النظر الى مصالح عامة الشعب .

أما لماذا الضفادع فى نيل مصر ؟ فانها تتعلق — طبقا لما ورد فى التوراة خروج ٨ : ١ — ١٥ — بالمصائب التى حاقت بمصر والمصريين ابان عصر موسى من جراء رفض فرعون مصر طلب موسى بأن يطلق شعبه ليعبدوا يهوا ، والا فان الرب سوف يرسل الضفادع فى كل أرجاء مصر فتلتهم خيرها وينتشر الجوع ويفتك بالشعب ، ثم صارت الضفادع عند اليهود — بعد ذلك — رمزا للنجاسة . ولكن الفرعون تراجع عن رفضه فصلى موسى للرب ، فماتت الضفادع جميعها وزكمت رائحتها النتنة الأنوف ، ولذا صارت الضفادع اشارة الى الرائحة الكريهة . وجدير بالذكر أن « ضربة الضفادع » هى الضربة الثانية التى لحقت بمصر وأهلها أثناء عصر موسى والتى سنتناولها فى الفصل الثالث من هـذا الباب ، فالاشارة الى مصر بالضفادع هى اشارة سلبية أستمدهـا جوردون من التوراة كما استمد غيرها من الصفات السلبية .

« موسى » ومصر عند آحادها عام [50] אחד העם ١٨٥٦ ، ١٩٢٧ :

يعتبر مقال משה موسى أطول مقالات أحادها عام ، ويتناول فيه علاقة موسى بمصر والمصريين والأحداث التى وقعت له أثناء خروجه من مصر الى سيناء ، كما يدلى بدلوه فى قضية جدلية تتناول تأثير أبطال التاريخ على مسار حياة الجنس البشرى ، حيث يقرر « البعض أن

الابطال هم صناع التاريخ ، وأن الشعب ليس الا مادة من خلقهم ، بينما يرى آخرون أن الشعب هو القوة الأصلية ، وليس أبطاله الا نتاجا ضروريا له »[٥١]. ثم يحول الموضوع كله للتطبيق على شخصية موسى ، وعما اذا كان « موجودا حقا ؟ وهل حقا عاش وعمل بصورة تتفق مع ما تقبله أمتنا اليهودية ؟ وهل هو حقا مخلص اسرائيل ، وواهب التوراة بصورتها المحفوظة لدينا ؟[٥٢] ويرد على ذلك أن « موسى » عند هؤلاء يختلف عن « موسى » عند اليهود ، وحتى اذا توصلوا الى أن موسى الرجل لم يكن له وجود مطلقا ، فان ذلك لن ينقص شيئا من « الواقع التاريخى لموسى المثالى الذى صار أمامنا فى صحراء سيناء ، ليس أربعين عاما فقط ، بل آلاف السنين وفى كل الصحارى التى سرنا فيها بدءا من مصر وحتى الآن »[٥٣] ..

وهكذا فان صحراء سيناء لم تعد تدل — فى الأدب العبرى الحديث — على تلك المنطقة الشمالية الشرقية من حدود مصر ، بل على بلاد الشتات الكثيرة التى عاش فيها اليهود والتى خلعوا عليها صفات العذاب والقحط والاقفار ، أصبحت صحراء سيناء رمزا لكل الصحارى التى سار فيها اليهود منذ عصر موسى وحتى الآن ، وهو رمز واضح للاضطهاد والعبودية ، ومن المعروف أن مفهوم بنى اسرائيل لعملية الخروج ، أنهم تحولوا فى صحراء سيناء من « مجموعات من العبيد » الى « شعب » ، وهى الصحراء التى تلقى فيها موسى التوراة .. فحين تذكر الصحراء لا مناص من ذكر مصر .

ويلتقط أحاد هاعام احدى عبارات التوراة التى تصف المصريين بالعنف والجبروت وتصور بنى اسرائيل بالوداعة والمسالمة فيقول : «رجل مصرى يضرب رجلا عبريا ، القوى يركل بقدمه الضعيف ، وهذه هى الرؤية الأولى وقصة كل يوم ، يتذمر النبى ويقف الى جانب الضعيف »[٥٤] ، فالمصريون يتصفون بالعنف والظلم لأن أحدهما اختصم مع عبرانى ، أما اذا اختصم عبرانى مع عبرانى آخر فكلاهما ضعيف ، أما العنيف فهو فرعون الذى يمثلان عنده « اثنان من العبريين يختصمان انهما شقيقان ، وكلاهما ضعيف وكل منهما عبد لدى فرعون[٥٥] فالسماحة

ودمامة الخلق — فى رأى احاد هاعام — هو صفات اليهود ، وأما العنف والظلم والجبروت فهى صفات المصريين !! • ومصر أيام موسى — فى نظر احاد هاعام — هى أرض المتاعب التى لم يعرف بنو اسرائيل الراحة فيها « يذهب موسى مع أغنامه الى الصحراء ، ويأتى الى جبل السرب حوريب ، ولكن مازالت الراحة بعيدة المنال »(٥٦) ؛ ومصر عنده — كما فى التوراة — أذلت بنى اسرائيل فيقول : « انى رأيت مذلة شعبى الذى فى مصر •• والآن هلم فأرسلك الى فرعون وتخرج شعبى بنى اسرائيل من مصر »(٥٧) لأنها بيت العبودية الذى رزخ فيه بنو اسرائيل تحت وطأة الظلم(٥٨) •

صحراء مصر عند حاييم نحمان بياليك(٥٩) חיים נחמן ביאליק ١٨٧٣ — ١٩٣٤ :

واذا كان حديثنا عن « موسى » عند آحاد هاعام قد أدى بنا لتناول « صحراء مصر » بمعناها المجازى فى الأدب العبرى ، فان هذا من شأنه أن يدفعنا للحديث عن الصحراء بمعناها الجديد هذا عند حاييم نحمان بياليك ، باعتباره أكثر أدباء العبرية استخداما لها بهذا المعنى ، فقد نظم فى ذلك قصيدتين تحملان عنوان מתי מדבר האחרונים موتى الصحراء المتأخرون عام ١٨٩٧ ، מתי מדבר موتى الصحراء، عام ١٩٠٢ • فقد أدرك بياليك أن الجموع اليهودية متقاعسة عن عماية الهجرة الى فلسطين واعادة احياء ما أسماه « أرض الآباء » ، فكتب القصيدة الأولى ليؤجج فى قومه الحماس للهجرة الى فلسطين تحت قيادة المنظمة الصهيونية التى عقدت مؤتمرها الأول فى نفس العام الذى نظمت فيه القصيدة • ويقول فيخمان פיכמן عن هذه القصيدة « لقد وجه بياليك فى هذه القصيدة نداء مشجعا الى تائهى الصحراء يستحثهم أن يعبروا ويتخطوا ضحايا العبودية فى طريق الهجرة الى العالم الواسع الذى تشع فيه شمس الأمل الجديد »(٦٠) • فبياليك يقول فى قصيدته •

קומו, תעי מדבר, צאו מתוך השממה;
עוד הדרך רב, עוד רבה המלחמה.

רב־לכם לתע, לנד בערבה –
ולפניכם פרושה דרך גדולה, רחבה.

רק ארבעים שנה נתע בין ההרים –
ובחול טמנו ששים רבוא פגרים.

פן־צעדכם ירגיז מדבר ונרדמיו –
איש ואיש בלבבו ישמע הד פעמיו! (٦١)

الترجمة :

قوموا أيها الشاردون فى الصحراء ، اخرجوا من وسط القفر
فالطريق لا يزال طويلا ، والمعركة ما تزال مديده
وكفاكم تجوالا وترحالا فى البيداء
وأمامكم الطرق العظيمة الرحيبة ممتدة
أربعون عاما مكثنا تائهين
ودفنا فى الرمال آلافا مؤلفة
وحتى لا يقلق خطوكم فى الصحراء نائميها
فعلى كل فرد منكم أن يسمع وقع خطواته فى قلبه[٦٢]

فالصحراء هنا هى صحراء العالم وليست صحراء مصر ، كما أن النائمين هنا ليسوا اليهود الخارجين من مصر تحت قيادة موسى ، ولكنهم شعوب العالم ، وقد أشار لاحوفر להובר الى ذلك بقوله « لقد جرد بياليك الصحراء — فى هذه القصيدة — من مضمونها المعروف، ووسع معناها فصارت صحراء الشعوب ، وكان هذا الأمر مألوفا ابان جمعيه أحباء صهيون ، حيث استخدمت صحراء مصر — التى شرد فيهما اليهود — رمزا للدول التى تشتتوا فيها بعد ذلك »[٦٣] .

ولم تكن الهجرة اليهودية الى فلسطين قوية فى مهدها ، فقـد كانت استجابة اليهود أنفسـهم لنداء الهجرة ضعيفا ، ولذا انتاب بياليك الأسى ونظم فى مرارة قائلا :

וּכְבָר תָּקְעוּ בַחֲצֹצְרוֹת לַמַּסָּע, וּכְבָר
יָרַד מִפִּסְגַּת נְבוֹ גַּם־הַשָּׂר –
וּמַדּוּעַ לֹא־יִסַּע יִשְׂרָאֵלִי עַל־מָה
נִצָּב דּוֹמֵם כְּסוּף־רֹאשׁ מוּל הָהָר?

אֶת־מָה יֵצַר עֲזֹב לוֹ בַּמִּדְבָּר הַזֶּה?
מַה־מְּשׁוֹטְטוֹת עֵינָיו בַּגַּיְא?
לָמָּה דוּמָם תִּבְכֶּינָה, תְּטַפְנָה? אֶת־מִי
תְּבַקֵּשְׁנָה עַל רֹאשׁ הַר־נְבוֹ? (٦٤)

التـرجمة :

لقد دقت الطبول للرحيل
ونزل القائد من قمة جبل نبو (*)
فلم لم يشد اليهود رحالهم ؟ ولمـاذا ؟
يقف صامتا منكس الرأس أمام الجبل ؟
ماذا يحزنه لو أنه ترك هذه الصحراء ؟
ماذ تتأمل عيناه فى الوادى ؟
لماذا تبكيان فى صمت وتنهملان ؟ وعم
تبحثان على رأس جبل بنو ؟

(*) جبل نبو هو احد جبال مؤاب ، وقف عليه موسى قبل وفاته واخذ يراقب فلسطين (التثنية ٣٤ : ١) وربما كان هو جبل « النبا » شرقى الاردن بثمانية أميال .

بل ان ربط بياليك بين خروج اليهود من مصر ، وبين خروج اليهود من الدول التى يعيشون بين ظهرانيها يتجلى بشكل أوضح حين يقول :

יִרְקְבוּ בְקְלוֹנָם סוֹרְחִים עַל־צְרוֹרוֹתָם,
שֶׁבְּכִתְפָם נָשְׂאוּ מִמִּצְרַיִם אוֹתָם.

יִמְתַּק לָמוֹ חֲלוֹמָם, חֲלוֹם רֹב בְּצָלִים, שׁוּמִים,
דְּוָדִים מְלֵאֵי בָשָׂר רַבִּים וַעֲצוּמִים. (٦٥)

الترجمة :

ليتعفنوا فى عارهم وهم متمردون على صررهم
التى حملوها من مصر على أكتافهم •
ليحلو لهم حلمهم ، حلمهم بالكثير من البصل والثوم
وبالقدور الكثيرة العظيمة المملوءة لحما

فبياليك يشير ضمنا فى البيتين الأخيرين الى ما كان اليهود يتمتعون به فى مصر من نعم تنكروا لها بعد ذلك ، وبالرغم من أنه نعت موتى الصحراء بالصفات السابق ذكرها ، الا أننا نجده يمجدهم ويصورهم بأنهم عمالقة عظماء راقدون بجوار خيامهم ، ورابضون كالأسود فوق رمال الصحراء ، وذلك فى قصيدة موتى الصحراء حيث أضفى عليهم قوة خارقة يفزع منها النسر القوى ، والحية الرقطاء والأسد الهصور ، ويقول لاحوفر « أن النسر والحية والأسد يرمزون الى مصر وبابل وروما على التوالى ، تلك الدول التى أرادت أن تقضى على اليهود وتمحو كل ذكر لها ولكن لم تستطع »(٦٦) •

وهناك قصيدة أخرى لبياليك يتحدث فيها عما لاقاه اليهود فى مصر من « أهوال » ، عنوانها אכן גם זה מוסר אלוהים حقا ان هذا عقاب الرب ، يقول بياليك •

וּשְׁפַכְתֶּם אֶת־רוּחֲכֶם עֲלֵי כָל־שִׂישׂ נֵכָר
וּבְחֵיק אֶבֶן זָרָה אֶת־נַפְשְׁכֶם תְּשַׁקְּעוּ!
וּבְעוֹד מִבְּשַׂרְכֶם מְטַפְטֵף דָּם בֵּין שִׁנֵּי זוֹלְלֵיכֶם –
תַּאֲכִילוּם גַּם־אֱכוֹל אֶת־נִשְׁמַתְכֶם.
וּבְנִיתֶם אַתֶּם לִמְעַנֵּיכֶם אֶת־פִּיתֹם וְאֶת־רַעְמְסֵס
וְהָיוּ יַלְדֵיכֶם לָכֶם לִלְבֵנִים! (٦٧)

الترجمة :

استغرقت أرواحكم فى كل ما هو أجنبى
كما تلقون بأنفسكم فى أحضان كل صخرة غريبة
وبينما تقطر الدماء من أجسادكم بين أسنان مفترسيكم من النهمين
فانكم تطعمونهم أرواحكم أيضا !
انكم تشيدون لمضطهديكم مدن فرعون بيتوم (*) ورعمسيس (**)
وانكم لتتخذون أبناءكم حجارة لهما

فهو يستسلم التاريخ التوراتى فى هذا الجزء من القصيدة ، فمدن فرعون هى مدن مصرية وصفها بياليك بأنها مدن ظالمة متجبره . وقد نظمت هذه القصيدة عام ١٩٠٥ . أثناء قيام حركة التحرر فى روسيا واندفاع معظم شباب اليهود للقيام بحراسة « حدائق الأجانب » (٦٨) ، فهو يشبه

(*) بيتوم : مدينة مصرية قديمة كانت تقع على الفرع الشرقى للنيل ، ومعناها « بيت الاله آمون » ، وهى احدى مدينتين كبيرتين استخدمتا فى تخزين الحبوب والغذاء فى مصر قديما .

(**) رعمسيس : هى كذلك مدينة مصرية قديمة كانت تسمى احيانا (بر — رعمسيس) أى بيت الاله رعمسيس ، ويقال أنها مدينة الشمس المحرقة ، وأنها نسبة للاله رع ، وأن الذى شيدها هو رمسيس الثانى .

المدن الروسية آنذاك بالمدن المصرية القديمة ، كلاهما ظالم ؛ وكلاهما يستغل شباب اليهود لصالحه الذاتى دون النظر الى أولئك « العبيد » المسخرين للبناء ، وما يلاقيه اليهود فى روسيا ، هو ما لاقاه بنو اسرائيل فى مصر ابان حكم الفراعنة • وهكذا يعنف بياليك قومه ويواصل زجره الشديد لهم ، فلعل صراخه يجد صاغيا ، وتعنيفه يجد تائبا أو نادما من أولئك اليهود الذين اندمجوا فى الشعوب الأوروبية ونسوا « قضية شعبهم » •

وفى قصيدة קראו לנשרים نادوا الأفاعى يصرخ الشاعر صرخة شعب « استؤصل من أرضه » ورمى به فى مجاهل الصحراء الجدباء ، وهى صحراء ملبدة بالغيوم ؛ عارية قاحلة ، لا رحمة فيها للانسان الاسرائيلى ، فتمنى الأخير أن يموت ويفارقها ، يقول بياليك :

תבלו חייכם בשממון בעירם וביבש כל,
ושאלתם את־נפשכם למות ובחבלי חייכם תזעקו.

קראו לנשרים ישאו זעקתכם עד־לב השמים. (٦٩)

כי הנה נפקד מדברכם, נפקד בנשיאים ורוח,

الترجمة :

ذبلت فى البيد حياتكم فى عرى وجفاف بغى كل شىء
فتمنيتم لو متم ؛ وصرختم من ألم طاغ
نادوا النسور فتحمل صراخكم الى كبد السماء
فلقد ذكرت صحراؤكم وامتلأت غيما ورياحا

فالشاعر يخاطب قومه بأنهم لا بد خارجون من « صحراء العالم » التى لاقوا فيها الأهوال ، كما سبق لأجدادهم أن خرجوا من « صحراء

سيناء » بعد أن ذاقوا الأمرين ، والصحراء فى الحالتين قاحلة مقفرة ملبدة بالغيوم • ومما تجدر الاشارة اليه أن تشبيه عالم الشتات وأهواله ــ بأنه امتداد لأهوال صحراء سيناء ــ لا يقتصر على آحاد هاعام وبياليك فقط ، بل امتد الى العديد من الأدباء العبريين ، حتى كاد لفظ « الصحراء » يفرغ من مضمونه الحقيقى فى الأدب العبرى ، ليكتسب دلالة جديدة تتعلق بمعاناة بنى اسرائيل فى صحراء سيناء ، فها هو شاؤول تشــير نيحوفسكى(٧٠) שאול צרניחובסקי ١٨٧٥ — ١٩٤٣ •

يواصل استخدام « الصحراء » بدلالتها الجديدة فيقول فى قصيدة بعنوان מנגינה معزوفة :

מַנְגִּינָה לִי וּנְגִינָה לִי
מִיָּמִים מִשֶּׁכְּבָר,
מִמִּדְבַּר יָם, מִקֶּרֶן אוֹר,
מִמַּחֲווֹת עַל נְהַר כְּבָר.

וְעוֹלָה הִיא וּפוֹרְצָה הִיא
עַד סָגוּר הַלֵּב הַתָּם;
שִׁיר דָּמַי הוּא, שִׁיר נִצְחִי הוּא,
שִׁיר מָלֵא עֹז וָרָם.
מִי אַתֶּם דָּמַי רוֹתְחִים בִּי?
דְּמֵי דוֹר הַמִּדְבָּר? כֵּן!

الترجمة :

معزوفة ولحن لى
منذ أيام قد خلت
من صحراء مترامية ، من شعاع نور
من مشاهد كانت على نهر
تخرج منفجرة
فتدخل الى كل قلب طاهر
شعر يقطر دما ، شعر خالد
شعر يفيض جرأة وسموا
من أنت أيتها الدماء التى تغلى فى عروقى ؟
هل أنت دماء جيل الصحراء ؟

فالشاعر يشير الى أن الغضب الذى اندلع فى صدور جيل الصحراء من بنى اسرائيل يتوارثه أبناؤهم جيلا بعد جيل ، وأن هذه الأجيال لن تنسى ما حدث لأجدادهم فى صحراء مصر ، مهما تجولوا وطافوا فى صحارى أخرى .. ولم ينس الشاعر أن يصف الانسان اليهودى بأنه ذو « قلب طاهر » ولكنه يقطردما من هول ما رأى منذ بدء التاريخ .

واذا كانت الصحراء قد اتخذت شكلا سلبيا دائما عند كل من أحاد هاعام وحاييم نحمان بياليك وغيرهما ، الا أنها اتخذت عند ــ أورى تسفى جنينبرج[١٧] אורי צבי גרינברג ــ الشكلين معا : السلبى الذى سبق الحديث عنه ــ والايجابى الذى يعبر عن « نور » هــــذه الصحراء « وبهائها » حين هبط فيها الوحى على موسى ، وهو نور الهى

أضاء الكون وبين طريق الحياة أمام بنى اسرائيل ، فالصحراء — فى معناها الايجابى عند جرينبرج — بقعة طاهرة شهدت تحول مجموعات من العبيد الى شعب حين تجلى نور السماء لموسى . يقول جرينبرج فى قصيدة על דעת לסוף عن معرفة الطريق .

האויר בדורי הרי נס כלפני מתן דת
לא סיני זה ההר לפניך הפורע ועשן
כי אם הגורל העליון הבוער ומתאר

الترجمة :

الأجواء فى جيلى حبلى بالمعجزة كقبيل نزول الوحى
ليس ما أمام جيلى هذا طور سيناء المضطرم بالنار والدخان
بل القدر الأعلى المتأجج المرسوم

فطور سيناء — الذى يضطرم « بالنار والدخان » فى القصيدة السابقة — لا يضطرم قتلا وابادة لليهود . ولكنه يضطرم نورا وحقا حين تجلى الله على موسى ، فهى نار اليه تجلت على اليهود بالشريعة والاستقامة (٧٢) ، ولكن هناك صورة أخرى « لسيناء » التى تضطرم فيها نار الشيطان وأهواله ، تتخذ فيها سيناء صورة نار المحرقة وأفران معسكرات الموت ؛ ففى قصيدة « مسالك النهر » يقول جرينبرج .

شيب وشبان ، أمهات وكنات
وكذا أطفال رضع يتهيئون كى يصعدوا
الى سيناء الأهوال
والى غيابة الجب ينزلون
كى يرقدوا مع الجميع وبذا ينتهى الموت

ان صعود الشعب قديما على طور سيناء أيام موسى ، حيث تجلى الله وأنزل التوراة ، كان موقف الخلود للامة ، ومصدر كل خير لها ، أما الكارثة والابادة فكانت صعودا على « سيناء الاهوال » التى أصبحت موقف الخزى والانكسار للامة مما يتناقض مع الموقف القديم •

وخلاصة القول أن أدباء العبرية فى العصر الحديث أخذوا يصمون مصر بسيل من الصفات السلبية التى استمدوها من موروثاتهم الدينية فقط ، وهى صفات تنطوى على تناقض كبير مع بعض الأحداث الواردة فى تلك الموروثات ذاتها ، ولذا فهى تفتقد الى أسانيد ودلائل من التاريخ العـــام •

وقد دارت هذه الصفات جميعها حول محورين أساسيين :

أولا : اذا اتصف فرد أو عدة أفراد بصفة معينة ، فان هــذه الصفة تنسحب تلقائيا على الشعب الذى ينتمى اليه هذا الفرد أو هؤلاء الأفراد ، فلم يكن هؤلاء الأدباء ينظرون الى الأحداث فى شكلها الفردى المحدود ، فما يتسم به يوسف من عفة وطهاره ، وما يتسم به موسى من جلال ووقار ينسحب بدوره على بنى اسرائيل ، وما تتصف به « زليخة » من كريه الصفات ، وما يتسم به « فرعون موسى » من ظلم وجبـــروت ينسحب أيضا على مصر والمصريين •

ثانيا : ان ادباء العبرية كانوا يميلون غالبا الى عقد المقارنة بين المصريين وبنى اسرائيل فى هذه الصفات ، ومن البديهى أن تكـــون الصفات السلبية كلها من نصيب مصر ، بينما تكون الصفات الايجابية من نصيب بنى اسرائيل ، فمصر هى أرض الجهل والجهالة بينما بنو اسرائيل هم شعب الثقافة والنور ، ومصر هى العنف والظلم ، بينما بنو اسرائيل هم الوداعة والمسالمة ، ومصر هى بيت العبيد ، وبنو اسرائيل هم الشعب المقدس ، ومصر هى القحط والاقفار ، وبنو اسرائيل هم الخصب والنماء ، ومصر هى الرائحة الكريهة ، وبنو اسرائيل هم شذى الورد وعبيره ،

وغير ذلك من الصفات والصور التى تنطلق جميعها من عقيدة واحدة تسببت فيما لحق بهم ــ من العالم كله ــ عبر العصور ، بل تسببت فيما حدث للانسانية كلها من أهوال ، وهى عقيدة « شعب الله المختار » ...

أما آن لهؤلاء القوم أن ينظروا الى ما تحــت أرجلهم من أديــم الأرض وما فوق رؤوسهم من رجوم السماء فيقبلوا العالم حتى يقبلهم العـــالم ؟ !! .

* * *

الفصـــل الثـــانى

مصر الفرعونيه

تظهر مصر فى هذه الصورة فى أوائل القرن التاسع عشر حين فرغ العالم الفرنسى الشهير شمبليون من فك رموز حجر رشيد عام ١٨٠٢ ، فقد بدأت الحضارة المصرية تفصح بجلاء عن مكتوناتها التى ظلت حبيسة آلاف السنين ، وعلى اثر ذلك توالت البعثات العلمية الأثرية الأوروبية الى مصر عساها أن تساعد فى الوصول الى أسرار هذه الحضارة التى بهرت العالم كله .

وفى تلك الفترة كان الشعب المصرى قد ولى محمد على حاكما فى البلاد ، فقام بالعديد من الانشاءات والاصلاحات ، وأرسل العـــديد من أبناء مصر الى أوروبا لينهلوا من معين الثقافة الحديثة وعلومهـــا العامة ، وهو ما يطلق عليه المؤرخون « الانفتاح المصرى على الغرب » . وكان لهذه الأمور الثلاثة ـــ فك رموز حجر رشيد ، والبعثات الأوروبية الى مصر ، والبعثات المصرية الى أوروبا ـــ الأثر الكبير فى تعريف العالم كله بالحضارة المصرية القديمة وعمقها ومعارفها وفكرها ، فحين عادت البعثات الأوروبية الى بلادها دونت ما وصلت اليه فى عدة مؤلفات ، كما دونت البعثات المصرية الى أوروبا العديد من المؤلفات التى تتحدث عن هذه الحضارات .وكان لهذا الفيض الهائل من المؤلفات آثر كبير فى انفتاح العالم على الحضارة المصرية وسعيه لمعرفة المزيد عنها .

وقد انعكس ذلك كله على الآداب الأوروبية ، وما فتئت الروايات والمنظومات والمسرحيات وشتى فروع الأدب ـــ التى تتناول حياة الفراعين وحضارتهم ـــ أن غمرت الساحات الأدبية فى أوروبا ، وبات فى مقدرة

العديد من القراء ان يغوصوا فى أعماق وأسرار هذه الحضارة عن طريق المؤلفات العلمية تارة ، والمؤلفات الابداعية الأدبية تارة أخرى •

ولما كان الأدب العبرى — فى تلك الفترة — يعيش فى كنف الآداب الأوربية ، ينهل منها اتجاهاتها وأساليبها ومضامينها ، يتأثر بما تتأثر ، ويحاكيها محاكاة كاملة ، فقد غزته تلك المؤلفات بنوعيها العلمى والأدبى ، ولم يكن فى مقدوره أن يتجاهل هذه الحضارة ، وهى التى بهرت العالم كله وجذبت اليها العين والقلم • فبدأ أدباء العبرية يتناولونها فى مؤلفاتهم ، وهم فى تناولهم لها لم يشذوا عن أدباء العالم وكتابها حين تناولوها تقريزاً لها ، وانبهاراً بقوم كانت صنعتهم الأولى الحضارة •

واذا كانت مصر التوراتية قد ظهرت جلية فى المرحلة الأولى من الأدب العبرى الحديث وهى مرحلة التنوير (الهسكالا) فان مصر الفرعونية تجلت بشكل واضح فى المرحلة الثانية من ذاك الأدب وهى التى أسماها النقاد « مرحلة الأحياء القومى »[1] والتى تمتد من تسعينات القرن المصرم وحتى الحرب العالمية الأولى ، حيث أخذت الكفة ترجح بين اليهود لصالح التيار القومى الذى أخذ يتبلور ويشتد عوده تدريجيا فى شرق أوربا نتيجة لعدة عوامل من بينها :

١ — تعاظم قوة التيار القومى لدى الأمم الأوروبية حتى أطلق على القرن التاسع عشر « قرن القوميات » •

٢ — انتكاس دعوة الهسكالا التى فشلت فى خلق اليهودى المثالى الذى يجمع بين الثقافة العامة والانتماء القومى •

٣ — تصاعد موجات العداء لليهود فى أوروبا الشرقية وخاصة فى روسيا القيصرية •

وقد أدت هذه العوامل وغيرها الى سريان التيار القومي بين جماهير اليهود ، وباتوا يعملون على انشاء وطن خاص بهم يحميهم من كل اضطهاد ويدرأ عنهم الاتهامات والشبهات .

واذا كانت مصر الفرعونية قد بدأتتظهر مع بدء مرحلة الاحياء القومي ، الا أنها لم تنته بنهايتها ، بل اننا نعثر عليها في فترة ما بين الحربين ، وخاصة عند الشاعر يعقوب كاهان[٢] : יעקב כהן
١٨٨١ — ١٩٦٠ .

ورب قارىء يحدث لديه شيء من الخلط والتشويش بين مصر التوراتية ومصر الفرعونية على اعتبار انهما تنتميان الى العصر القديم، بيد أن هذا الخلط يزول ويتلاشى اذا ما علم أن المقصود بمصر التوراتية هو ما ورد عن مصر والمصريين في التوراة ، بينما المقصود بمصر الفرعونية هو ما يتعلق بفروع الحضارة المصرية القديمة والتى أجمع العلماء على أن وصفها يجل عن وصف أية حضارة أخرى في أية بقعة في العالم[٣] .. ولا بد لمن يكتب عن مصر بهذا الوصف أن يكون ملما بقدر واف من المعرفة عن تاريخ مصر القديم وعقيدتها ورموزها وعاداتها وأعرافها ، فاذا ما أضاف الكاتب الى هذا العنصر الواقعي عنصره الذاتي متمثلا في الفلسفة والفكر والأسلوب ، لأخرج لنا عملا أدبيا متكاملا ذا مذاق خاص .

وعلى سبيل المثال نجد آحاد هاعام [٤] ١٨٥٦ — ١٩٢٧ يكتب مقالا تحت عنوان |בין קודש לחול بين المقدس والعلماني[٥] ، ليفند فيه مبررات الاصلاحيين[٦] في دعوتهم أن تتم الصلاة اليهودية باللغة الألمانية بدلا من العبرية ، فعقد مقارنة بين الأشياء المقدسة والأشياء العلمانية ، وتوصل الى أن الأشياء المقدسة تكسب كلا من مظهرها وجوهرها القدسية والاجلال والبقاء ، بينما تكسب الأشياء العلمانية هذه القدسية لجوهرها فقط فيقول : « في الشيء العلماني نحتفظ بالقشرة من أجل ما بقلبها ، فاذا أكلنا ما في هذا القلب ألقينا بالقشرة ، أما في الشيء المقدس فاننا نرفع من قيمة القشرة الى نفس قيمة ما في قلبها »[٧]

وسعيا وراء أسانيد تاريخية يؤيد بها وجهة نظره ، نجده يستعين بالقدماء المصريين ، على محافظتهم على جوهر طقوسهم ومظهرها فيقول :

המצרים הקדמונים היו משתמשים בימי חגים ידועים רק בכלי אבן. מנהג זה נשאר להם לנחלה מאבותיהם הראשונים שחיו „בזמן האבן", בזמן שלא ידעו עוד בני אדם להשתמש בחמרים אחרים והיו עושים כל כליהם מאבן (Lubbock). ואעפ"י שלמדו אחרי כן לעשות להם כלים מחמרים יותר טובים, החליפו אמנם בנקל בימות החול את האמצעי הגרוע בטוב ממנו, אבל בימי קודש לא נועזו להוציא ישן מפני חדש, כי פה היה האמצעי עצמו לדבר שבקדושה, וכהני מצרים בודאי בקשו ומצאו לדבר טעמים גדולים על פי הסוד, כלומר, בקשו ומצאו מטרה חדשה לאמצעי שנתישן, תוך חדש לקליפה שנתרוקנה.

(٨)

لقد كان القدماء المصريون يستعملون فى أعيادهم الأوانى الحجرية فقط ، لقد ظلت هذه العادة لديهم كارث ورثوه عن آبائهم الذين عاشوا فى العصر الحجرى ، فى الوقت الذى لم يتوصل فيه الانسان الى استخدام مواد أخرى فكانوا يصنعون كل أوانيهم من الحجاره •• وعلى الرغم من أن المصريين قد تعلموا — فيما بعد — أن يصنعوا الأوانى من مواد أفضل من الحجارة ، واستطاعوا — فى الأيام العادية — أن يستبدلوا تلك الأدوات الرديئة بأدوات أفضل منها ، الا أنهم — فى الأيام المقدسة — لم يجرؤوا أن يتخلصوا من القديم فى سبيل الجديد ، فهنا أصبحت تلك الأوانى مقدسة فى حد ذاتها ، ومن المؤكد أن رجال الدين المصريين قد بحثوا ووجدوا أسبابا كثيرة لهذه العادة ، أى بحثوا ووجدوا هدفا جديدا لتلك الأوانى التى عفا عليها الزمن — عن قلب جديد للقشرة التى أصبحت خاوية » •

فأحاد هاعام يشير عنا الى تمسك المصريين القدماء بديانتهم وطقوسهم . ولم يكن هذا التمسك من حيث المضمون أو الجوهر فقط ، وانما امتد الى المظاهر والأشكال . فقد تمسكوا بالأوانى الحجرية تقديسا واجلالا لها . بالرغم من التقدم الذى أحرزوه فى صناعة الأوانى من خامات أكثر متانة وجمالا من الحجارة • كما أنه يشير الى استمرارية الخلق والابتكار التى كانت تميز الحضارة المصرية القديمة • والهدف من استلهامه هذا المثل واضح وبين . فهو يتخذ من المصريين رمزا أمام شعبه كى يتمسكوا بدينهم وطقوسهم ولغتهم ؛ فلم لا يحافظ اليهود على أكثر الأمور الدينية هامشية مثلما سبقهم المصريون الى ذلك؟ولم لا يتمسك اليهود بصلواتهم مضمونا ولغة ولماذا يتركون اللغة العبرية — ففى صلاتهم — الى غيرها من اللغات ؟ •

واذا كان مقال احاد هاعام ينتمى الى مرحلة الاحياء القومى ، فان مسرحية يعقوب كاهان יעקב כהן وعنوانها ליד הפירמידות بالقرب من الأهرامات » تنتمى الى مرحلة ما بين الحربين حيث نشرها عام ١٩٣٩ • وهى من المسرحيات الفلسفية التى حلق فيها كاهان بخياله وغاص عميقا فى تربة الحضارة المصرية القديمة وأعمدتها الرئيسية وتفريعاتها العديدة • وقد لعبت الأساطير والرؤى والواقع والألوان دورا هاما فى أحداث تلك المسرحية[٩] كما يتجلى فيها أثر التيار الرمزى الذى يستبطن النفس ويستشف الروح معتمدا على الاشارة والتلميح لا الافصاح والتصريح •

والفكرة الرئيسية التى تدور حولها المسرحية هى فكرة « الخلود » ، وهى فكرة قتلها الانسان بحثا منذ فجر التاريخ وسعى وراء تحقيقها لذاته • وحين تطفو فكرة « الخلود » على السطح فلا بد أن يكون للمصريين القدماء مكان بارز ورئيسى فيها ، حيث تضعهم حضارتهم القديمة موضع الريادة فى البحث عن هذا الخلود وطبيعته والهدف من الوصول اليه ، وتشهد على ذلك أهراماتهم التى شيدوها والتى تعتبر أبرز الأدلة المادية القديمة لبحثهم عن الخلود[١٠] ، كما يؤيده أيضا العدد الكبير من المومياوات وتحنيط جثث الموتى التى يقف العلم الحديث أمامها عاجزا

منبهرا ، ناهيك عما خلفوه من أوان وآثار نادرة ما زالت تسترعى الانتباه وتثير اعجاب الانسان فى كل مكان وزمان •

ويعبر كاهان عن هذا كله فى صورة شخصيات ، تلعب كل منهـــا دورا معينا فى تحقيق فكرة الخلود ، وتبدأ المسرحية بوصـــول شخصية التائه ــ الذى يرمز الى الانسانية التى هامت على وجهها منذ بدايتهـــا وحتى الآن[١١] ــ الى منطقة الأهرامات فى الجيزة ، فشعر وكأنه قـــد وصل الى « دار الخلود والأبدية » ، مما شجعه على البقاء فيها ولو لليلة واحدة ، يستريح فيها من عناء السفر والترحال الطويل ، خاصة وأن هذه المنطقة خالية من ضجيج الحياة وصخبها ، فيقول :

הנה כן אעמד סוף ואין איש אתי
לפני נצורות המדבר וחידת הקדומים –
חולות, סלעים, מצבות־אבן לענקים,
וליל המדבר, קדמון ושגיא לאין־חקר,
אשר הבזיק רזים על ראשם, על ראשי.

פה אבה לנוח,
לו לילה אחד זה לנוח מרעש תמיד –
פה אבה לדעת. ואולי ינב אלי
מרחשי הדורות ההם, הוני הנצח. (١٢)

الترجمة :

هأنذا أقف فى النهاية وليس معى أى انسان
وأمامى أسرار الصحراء ولغز الأقدمين
رمال وصخور وتماثيل حجرية ضخمة
وليل الصحراء ، قديم وعظيم بلا حدود

يطبق بالأسرار على وجوههم ووجهى

هنا اود أن استريح

ولو لليلة واحدة ، أستريح فيها من صخب الحياة

هنا أريد أن أتأمل

همسات تلك الأجيال ، فلاسفة الخلود

وفرض عنيه سكون المكان وشموخ الأهراما ت، وكتل الجلاميـــد المتناثرة ، والمقابر المتعددة ، وما يعرفه عن تاريخ النائمين فيها ، بعضا من التساؤلات التلقائيةالتى تراود كل من يذهبالى تلك المنطقة،هل حقاسيفنى الانسان الذى أحسن الله خلقه وتصويره دون أن يتـرك أثرا يخلده خلودا أبديا ؟ وهل فكرت الأجيال السابقة فى ذاك التساؤل ؟ والام توصلت من نتائج ؟ فيقول :

הַאֻמְנָם יִבָּלַע, בְּלִי הַשְׁאִיר שָׂרִיד, הַמָּוֶת
אֲשֶׁר יָצַר אֱלֹהִים בִּתְבוּנָה רַבָּה?
מַה־יִּרְמְזוּ הָאוֹרוֹת הַפְּלָאִים מִלְמַעְלָה?
מַה־יִּלְאַט הָרוּחַ הַבָּא מִכְּנַף־תַּעֲלוּמוֹת?
מַה־יַּגִּיד לֵב אָדָם בְּמַשְׂכִּיּוֹתָיו פְּנִימָה?
מָה חָלְמוּ דּוֹרוֹת־הַקְּדוּמִים הָהֵם הַגֵּאִים,
מְקִימֵי אֵלֶּה מִבְצְרֵי־עֹז עַל שְׂפַת הַמִּדְבָּר,
וּמָה הָיָה לַחֲלוֹמָם? –

(١٣)

هل حقا سيبتلع الموت ، دون أن يترك له أثرا

ذلك الذى أحسن الله خلقه ؟

والام ترمز الأنوار المبهرة فى العلا ؟
وبم تهمس الروح القادمة من جنح الأسرار ؟
وماذا يروى قلب الانسان فى خلجاته الداخلية
بم حلمت تلك الأجيال الفخوره
التى شيدت هذه الحصون القوية عند حافة الصحراء
وما نتيجة حلمهم ؟

وبينما تراوده هذه التساؤلات ، غلبه النعاس من جراء متاعب الحياة ومشاق الطريق وامتثالا لسكون المكان وهدوئه ، نام فى عالم آخر يختلف عن عالم الانسان ، فربما يسمع همس الأجيال السابقة وهى تفكر فى الخلود ، وربما تصل الى مسامعه أسرار أولئك الذين شيدوا أضخم وأبقى صرح فى التاريخ الانسانى ، وبينما هو نائم أمام الاهرامات ، واذا بالملوك الثلاثة بناة الأهرامات يستيقظون من سباتهم الطويل ويتجلون أمامه بلباسهم الملكى ، فيردد فى نفسه ، أولئك الذين رفعوا اسم مصر فى أنحاء الدنيا كلها وفى كل الأزمان ، أولئك زادوها قوة ، وسجدت عند أقدامهم الكثير من الممالك والشعوب ، ولكنهم — بعد ذلك كله — آلوا الى الموت ، ولم يكتب لهم الخلود ، وهاهم يستيقظون فيجدون الأرض كما هى ، ما زالت الأهرامات قابعة فوق الهضبة ، وما زالت النجوم لامعة براقة فى السماء ، حتى ظنوا أنهم لبثوا يوما أو بعض يوم ، ويتحدث كل منهم مع الآخر ، وينصت التائه لهذا الحديث الذى تناول فيه كل ملك انجازاته وانتصاراته ، ثم يتساءلون عما اذا كانوا قد نجحوا فى التغلب على الزمن ومشاكله وعلى التغيرات التى تطرأ عليه حينا بعد حين ، وعما اذا كانوا قد نجوا من الفناء ، وهو عنصر رئيسى فى الحياة ، ولكنهم لم يستطيعوا الوصول الى اجابة شافية ، فأيقظوا الكهنة وجماهير الشعب وجنود الجيش علهم يستطيعون الاجابة ، ولكن دون جدوى ، وفجأة يبرق ضوء شديد وتصدح الأجراس بموسيقاها الصاخبة ويظهر اخناتون ، فيثور الكهنة والملوك فى وجهه ويتهمونه بالكفر والالحاد وتدنيسه لشريعة آبائهم وأجدادهم وانتهاكه لكل مقدساتهم بالديانة التى نشرها بين أبناء

الشعب فى عصره ، ثم ينصرف الجميع عنه ، ولكنه يهدىء من روعهم جميعا حين اعترف بأن كل شيء مآله الى الموت ، وأنه لا جدوى من خصام يعكر صفو النفوس القابعة تحت الثرى ، ويقول :

אַל־נָא! אַל־נָא בַּחֲמַת קִנְאַתְכֶם תֶּהְדְסתִי!
לא בָאתִי לָרִיב עִמָּכֶם – וּמַה כִּי נָרִיב!
הַאִם לא אֶחָד הַגּוֹרָל, מָצָא גַם אֶתְכֶם
גַם אוֹתִי! לא עָבַרְנוּ אִיש אִיש כְּבָר דוּמָם אֶת־שַׁעַר
הַמַּעֲרָב !–

(١٤)

للترجمة :

لا . لا تصدونى بلهيب كراهيتكم
فأنا لم آت لأختصم معكم ، فما معنى أن نختصم ؟
ألم يلحقكم ذات المصير
الذى لحقنى أيضا ؟ ألم ننتقل فردا وراء الآخر الى
الباب الغربى (المقبرة)(*)

فيأمر خوفوا بقية الملوك والكهنة بأن يسمحوا لاخناتون بالحديث ، فعساه أن يجيب على ما يراودهم من تساؤلات فشلوا جميعا فى التوصل الى اجابة عليها ، واسترسل اخناتون فى حديثه حتى أجاب عنها جميعا اجابة ترضى المؤلف نفسه فيقول :

(*) اعتاد المصريون ـ منذ القدم ـ ان يدفنوا موتاهم ناحية الغرب حيث تغرب الشمس ، كاشارة لغروب الانسان عن الدنيا .

מֵעוֹלָם וְעַד עוֹלָם. דּוֹר הוֹלֵךְ וְדוֹר בָּא
וְכָל־דּוֹר וְכָל־אִישׁ נִקְלָע בָּרִקְמָה, קוֹלֵעַ
בְּמוֹ־יָדָיו בָּהּ חֶלְקוֹ, אִם מְעַט וְאִם רָב.
אַשְׁרֵי הָאִישׁ, קָלַע בָּהּ נַפְשׁוֹ לְתִפְאֶרֶת!
עָמֹד תַּעֲמֹד הַתִּפְאֶרֶת הַזֹּאת לְעוֹלָם
וְכָל יְרִיעַת הַחַיִּים בִּכְבוֹדָהּ תְּכֻבַּד.
אִם גָּדוֹל אִם קָטָן חֶלְקִי, אַחַת יָדַעְתִּי:
עָבַדְתִּי בֶּאֱמוּנָה, וּמִפְעַל חַיַּי,
מִפְעַל הָאֱמֶת, קַיָּם וְעוֹמֵד לָעַד.

(١٥)

من الأزل والى الأبد ، جيل يمضى وجيل يأتى
وكل جيل وكل فرد يشكل خيطا فى نسيج ، ويحدد
دوره بنفسه ، ان قليلا أو كثيرا
فطوبى للانسان الذى جعل الجمال والمجد هدفا
فسوف يبقى هذا المجد الى الأبد
وسيوقره نسيج الحياة كلها
اذا كان دورى كبيرا أو صغيرا ، فذات مرة عرفت
أننى عملت باخلاص . وأن صنيع حياتى هو
صنيع الحقيقة ، قائم وباق الى الأبد

فاخناتون -- فى هذه المسرحية — رمز لمد التاريخ الانسانى وتعاقبه وهو رمز للانسان فى كل مكان وزمان ، ذلك الانسان الذى يشكل حلقة فى

سلسلة طويلة هى عمر البشرية ، حلقة تصل ما قبلها بما بعدها ، وبدونها تنفصل السلسلة بعضها عن بعض ، ويتوقف اتصال الأجيال ، وما على الانسان فى حياته الا أن يكمل ما بدأه سابقوه وورثه عنهم ، ثم يترك هذا الارث لمن بعده ليقوموا بدورهم باستكماله ، وبهذا يكون الانسان قد شكل من نفسه حلقة اتصال بين الماضى والمستقبل ؛ بل يكون قد أدى دوره فى تاريخ الجنس البشرى ، وهذا هو الخلود فى رأى اخناتون •

والنتيجة التى توصل اليها اخناتون تنطوى على عزاء للانسان التائه الذى أتعبته دروب الحياة وأعيته قضاياها ومشاكلها ، فلم ير فائدة فيما يبذله من مجهودات ومشاق ليحظى بذلك الخلود ، فالانسان يمضى ويفنى ولا يبقى له سوى أعماله التى ينفع بها الأجيال القادمة من بعده ، والتى سيذكره الناس عبر مر العصور من خلالها •

ومع بزوغ الفجر يستيقظ التائه من نومه ، فيتداخل عليه الأمر فيما اذا كان ما رآه وسمعه حلما أم حقيقة فيقول :

חֲלוֹם! וְעִם קֶרֶן־אוֹר בֹּקֶר נָמוֹג וְאֵינֶנּוּ.
אַךְ יֵשׁ חֲלוֹם־לַיְלָה וְהוּא אֲמִתִּי מִן הַיּוֹם...

(١٦)

الترجمة :

حلم تلاشى مع أول خيط من الصباح ولم يعدله وجود
ورب حلم فى الليل أكثر من علم فى الصباح

ثم يواصل التائه تجواله فى الدنيا ولكن بمنظور جديد ورؤيـــة مغايره استلهمها من القدماء المصريين الذين فكروا فى الخلود منذ فجر التاريخ ، وتركوا من الشواهد المادية ما يؤيد هذا الفكر •

وهكذا يشير الكاتب الى أن المصريين القدماء قد توصلوا ــ منذ آلاف السنين ــ الى ما يشغل الانسان حتى اليوم • لم لا يكتب للانسان الخلود ؟ وهل اذا مات لا يبقى له ذكر أو أثر ؟ وهى أفكار عالجتهـــا الأديان ــ فيما بعد ــ من اتجاهات متعـددة ركزت جميعها على خلود الاعمال وسرمدية الأرواح وفناء الجسد •

وقد ضمن يعقوب كاهان المسرحية بعضا من مفاخر ملوك مصر بانجازاتهم ، فيتحدث عن سفنهم التى مخرت عباب البحار ، وخيولهم التى دكت رمال الصحارى ، وغزواتهم التى جابت الأرض طولا وعرضا ، وحضارتهم التى بهرت العالم شرقه وغربه ، فيقول :

אֲנִי, סחורע, זוני וצאצאי.
בְּנֵי רַע, אֵל הָאֵלִים, וּמְקַדְּשֵׁי רְצוֹנוֹ,
אֲשֶׁר כָּאֵלִים מָשַׁלְנוּ, הֵיכְלֵי־עֲנָקִים
הֲקִימוֹנוּ, גְּאוֹן מִפְעָלֵנוּ הָרַב יְסַפְּרוּ.
אֲנַחְנוּ אֶת־שֵׁם מִצְרַיִם הִגְדַּלְנוּ, הִרְבֵּינוּ
חֵילָהּ וְעָשְׁרָהּ, רִאשׁוֹנִים גְּבוּלָהּ פָּרַצְנוּ,
וְעַל מֶרְחֲבֵי עַרְבוֹת־לוּב דָּאוּ פָרָשֵׁינוּ,
וְעַד חוֹפֵי הַלְּבָנוֹן סְפִינוֹתֵינוּ חָתְרוּ. (١٧)

الترجمة :

أنا سحورع ، أنا وذريتى
سلالة رع ، اله الآلهة
نحن الذين حكمنا كالآلهة ، وشيدنا قصورا ضخمه
تتحدث عنا أمجادنا الكثيرة التى حققناها
نحن الذين عظمنا اسم مصر ، وضاعفنا
بأسها وثراءها ، وانطلقنا عبر حدودها الأولى
وطار فرساننا الى صحراء ليبيا المترامية
واقتحمت سفننا البحر حتى حدود لبنان

ثم يقول على لسان تحتمس :

כְּנֶשֶׁר אַדִּיר כְּנָפַי הִרְחַבְתִּי פָּרַשְׂתִּי
מִכּוּשׁ וְעַד גְּדוֹת פְּרָת. עַמִּים כָּרְעוּ
לְרַגְלַי, עָרִים נָפְלוּ. גַּם גְּבוּל הַחִתִּים,
מִבְצַר־אַבִּירִים קָדֵשׁ, לְפָנַי נִשְׁבַּר.

(١٨)

كنت كنسر قوى بسط جناحيه العريضين
الكوشيين وحتى ضفاف الفرات • ركعت شعوب
عند قدماى ، وسقطت مدن • وحدود الحيثيين
التى كانت حصنا لفرسان قادش ، تهاوت أمامى •

ويقول على لسان رمسيس :

מִכָּל הַמְּלָכִים לְפָנַי הֶאֱרַכְתִּי יָמִים
עַל כִּסְאִי, מִקְדָּשִׁים וּמְצוּדוֹת לִבְנוֹת הִרְבֵּיתִי
מִכָּל הַמְּלָכִים, אֲנִי, רַעְמְסֵס הַגָּדוֹל,
בְּחִיר־הַבְּחִירִים לְאָמוֹן . הָיוּ רֹב יָמַי
יְמֵי זֹהַר שׁוֹקֵט וְעֹז וְשָׁלוֹם לְמִצְרַיִם!

(١٩)

عن كل الملوك الذين سبقونى ، طالت أيام
حكمى ، فأكثرت من تشييد الهياكل والقلاع
أكثر من سائر الملوك ، أنا رمسيس العظيم
أحب خلان آمون ، كانت معظم أيامى
اشراقا وهدوءا وقوة وسلاما على مصر

فيرد خوفو عليهم جميعا قائلا :

אָכֵן הִגְדַּלְתֶּם עֲשׂה, מְלָכִים אַדִּירִים!
עוֹד לְדוֹר אַחֲרוֹן יְסֻפַּר פָּעָלְכֶם עַל אָרֶץ. (٢٠)

الترجمة :

حقا ، لقد أحسنتم العمل أيها الملوك الاجلاء
ولسوف تظل أعمالكم تروى على الأرض حتى الجيل الأخير

ومن الحق أن نقول ان يعقوب كاهان قد بذل جهدا كبيرا ليغوص فى اغوار التاريخ المصرى ، فى الأسماء ودلالاتها وألقابها وخصائصها الدينية والسياسية والاجتماعية ، حتى انه أورد فى بداية المسرحية قائمة بالشخصيات المشتركة فيها ووظيفة كل شخصية منها فى فى مسيرة التاريخ المصرى ودورها فى ارساء أسس الحضارة الانسانية ، ثم أضفى على ذلك كله من نظرته الفلسفية الذاتية المجردة ، فخرجت المسرحية على هذا النحو من الجودة .

ولا يقتصر ذكر مصر الفرعونية على مسرحية يعقوب كاهان ومقالات آحاد هاعام ، ولكنه يمتد الى كثير من الأعمال الأدبية العبرية فى العصر الحديث ، فيأتى أحيانا كموضوع رئيس يدور العمل الأدبى كله حولها، كما يأتى — أحيانا أخرى — كموضوع ثانوى لايشكل بنية أساسية فى هذا العمل ، وعلى أية حال فحين تذكر مصر الفرعونية كموضوع أساسى أو ثانوى ، فانها تذكر بالتقريز والانبهار .

واذا كانت فكرتا الموت والخلود هما الشاغل الاكبر للانسان «المتجول» فى مسرحية يعقوب كاهان ، فانهما عند يهودا عميحاى [٢١] יהודה עמיחי

فى قصته הסכר באסואן سد اسوان »[٣٢] شكلتا أيضا الموضوع الرئيسى فى القصة ، فكيف يتأتى لأديب مثل عميحاى أن يكون بجانب آثار الفراعين فى صعيد مصر ولا تسيطر على وجدانه فكرتا الموت والخلود ؟

فقد وفد عميحاى الى مصر عام ١٩٤٢ ضمن جنود الجيش الانجليزى فى الحرب العالمية الثانية ، ومكثفيها لمدةعامين للاشتراك فى معركة العلمين ، وهى فترة استطاع خلالها أن يكثر من اطلاعاته والمامه بتاريخ الأدب العبرى ؛ مماساعد على صقل شخصيته الأدبية • وقد عبر عن ذلك عميحاى نفسه فى مقابلة أجرتها معه مجلة بروزا | פרוזה الاسرائيلية[٢٣] حيث قال : « فى تلك السنة ١٩٤٢ كان الألمان يقتربون من منطقة العلمين المصرية ، وكانت ثورة رشيد على الكبرى فى العراق ، وكان الاحساس بالاختناق يسيطر على وجدان مواطنى فلسطين ، وتم انضمامى للجيش البريطانى ، كما تم توزيعى على مصر »[٣٤]••• ثم يضيف ــ بعد ذلك ــ قائلا :

« مكثت فى مصر لمدة عامين ؛ لم تكن هناك حرب ، وكانت كل أعمالى تتركز فى تهريب السلاح لجماعة الهجاناه فى فلسطين • وفى تلك الفترة ترددت كثيرا على المكتبة الخاصة بنادى الجنود اليهود فى مصر ، فقرأت الكثير عن الأدب العبرى ••••• قرأت كل ما وصل الى من كتب ، وبذلك اطلعت على معظم آداب الهسكالا ••• وفى الحقيقة كانت فترة وجودى فى مصر فرصة كبيرة انتهزتها فى القراءة والاطلاع ليلا ونهارا ••»[٣٥]

وعود الى قصتنا « سد أسوان » حيث يظهر فيها عميحاى أحد ثلاثة يهود انضموا للجيش الانجليزى فى الحرب العالمية الثانية ، وقد قدر لهم أن يلتحقوا باحدى الوحدات القتالية فى مصر ، وكان ثلاثتهم يعملون بالطبوغرافيا العسكرية حيث يقومون بتحديد الاتجاهات الأساسية وتوضيح الظواهر الجغرافية التى تميز مناطق العمليات ، ثم يقطع عميحاى سير الأحداث وينتقل فجأة من الماضى الى الحاضر فيذكر أن أحدهم قد قتل بعد ذلك فى حرب ١٩٤٨ ، بل انه لا يذكر

له اسما ، وانما اكتفى بأن يكنيه بقوله « ذلك الذى قتل فى حرب ١٩٤٨ » ، ثم يعود مرة أخرى الى أعماق ذكرياته ، فيروى أنهم انتهزوا فرصة وجودهم فى مصر فقرروا القيام بجولة سياحية لرؤية معالمها ، فكيف يقدر لهم أن يكونوا فى هذا البلد — الذى يفد اليه السائحون من كل حدب وصوب ليتمتعوا بطبيعته وآثاره القديمة — فلا ينضمون الى ذاك الركب الطويل من الزائرين .

> לפנות ערב טיילנו במסדרונות הארוכים והריקים של המלון הגדול. בימי שלום מתהלכים כאן רוזנים בינלאומיים, ועשירי עולם, ונערות תיירות אנגליות, שבאות לחוש את קסם העולם הקדום ואת המדבר, תוך שהן שוהות בסביבה מערבית, לשהק

(٢٦)

قبل أن يرخى الليل أستاره ، تجولنا فى الدهاليز الطويلة الخاوية لذاك الصندوق الكبير . فى زمن السلم يطوف هنا حكام دوليون ، وأغنياء العالم ، وفتيات انجليزيات ، جاءوا جميعا ليشعروا بسحر العالم القديم وليحسوا بالصحراء » .

وبالفعل بدأوا رحلتهم من مغاراتهم وخنادقهم « التى بنيت من حجارة الأهرام »(٢٧) ، واستقلوا القطار الى مصر العليا ، « الى حيث يربض أبطال العالم القديم »(٢٨) . وأثناء ذلك تعرفوا على فتاتين انجليزيتين فرافقوهما أثناء الرحلة ، حتى وصلوا الى « وادى الملوك » فاستهوته آثارهم وآثارت انتباهته فقال فى مشهد لأحد التماثيل الفرعونية :

> הצללים היו נתיקים מבעליהם. לגברים היה זקן מלבני וארוך מודבק בסנטרם. הנשים היו מרגיעות אותם. מלך אחד ישב והחזיק בידו את מפתח־החיים. מאחוריו עמדה אשתו המצרית והרגיעה אותו. נדמה היה, כי אם לא היתה עומדת מאחוריו ונטויה כלפי גופו ונוגעת בו בקצה אצבעותיה, כשאצבעות ידה השנייה נתונות כמשקיטות על שפתיה, היה אותו רעמסס אכזר מתפרץ והורג בנפשו כל הבא אל ידו.

(٢٩)

« كانت الظلال قديمة كأصحابها ، كان للرجال لحى مستطيلة تلتصق فى أذقانهم ، وكان النساء يلاطفنهم • ويجلس أحد الملوك ممسكا فى يده بمفتاح الحياة ، بينما تقف خلفه زوجته لتخفف عنه وتلاطفه • وبدا أنها ان لم تقف خلفه وتميل نحو جسده ولامسته بأطراف أناملها بينما ترسل يدها الأخرى على شفاهها لتسكتها ، فان رمسيس القاسى سينفجر ويقتل بغضبه كل من تصل اليه يده » ••

ولا يفوتنا ما ترمى اليه عباره « مفتاح الحياة » فى العبارة السابقة ، وعلاقتها بفكرة الموت والخلود ، فبالرغم من أن الملك يمسك به ، الا أنه آل — فى النهاية — الى الموت ، وبات أمامنا أثرا بعد عين ••

ثم يقول عن تعبد الملكة حتشبسوت :

לפנות בוקר ביקרנו במקדש־המצוק של המלכה חת־שפסות,
רכס גבוה עולה מן הנילוס ורגליו [illegible]. הרבה אבנים
מפליאות היו מפוזרות בסביבה, כמו דברים [illegible] של משורר,
אלא שכאן כבר קדם הבניין והזדקן ואחריו היה ההרס. על
אבן אחת מרובעת נראו שתי ידיים [illegible], בתוך
הבריח, היד האחת החזיקה את הבריח [illegible]. השנייה
[illegible] על להבה כדי שלא תכבה.

(٣٠)

« فى الصباح زرنا المعبد الصخرى للملكة حتشبسوت ، سلسلة شاهقة الارتفاع تصعد من النيل عند قواعد المعبد • وأحجار مدهشة كانت بتناثر فى المنطقة ، كأنها كلمات فى رأس شاعر •• ولكن هنا أصبح المبنى قديما ، ولحق الدمار باللحق وما يقع خلفه • وفوق أحد الأحجار المربعة ظهرت يدان تمسكان باصيص زينته نقوش بارزة حتى منتصفه ، أمسكت احدى اليدين الاصيص من أسفل ، أما الثانية فكأنها تحرس شعلة نار حتى لا تنطفىء » •

أما الشعلة التى تحرص اليدان على عدم اطفائها ، فهى تشير الى الحرص على الحياة والخلود ، ولكنها انطفأت فى النهاية كما ينطفىء كل شيء ويؤول الى نهاية •

وبعد أن تنتهى الرحلة ، يعودون جميعا الى القاهرة ، فيفترقون عن عن الفتاتين الانجليزيتين ويذهبون الى خنادقهم ••

ومن يقرأ القصة مليا يدرك أن عميحاى قد شغله موضوع الموت ، وهو ما اشتهر به فى انتاجه الأدبى بشكل عام[٣١]، فقد استهل قصته بالحديث عن رفيقه الذى قتل فى حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ، وحين استقل القطار مسافرا الى صعيد مصر أسهب فى وصف المقابر التى صادفته فى الطريق ، كما أنه أصر على الذهاب الى وادى الملوك ومدينـــة الموتى ، وافاض فى وصفهما ، وحين التقى وآثار الفراعنة فى الاقصر كان يفكر فى الموت الذى مضى متمثلا فى أولئك الملوك ومن دفن معهم تحت الثرى ، بيد أن تفكيره فى الموت ـــ هذه المرة ـــ كان مبعثه فشل هؤلاء الملوك فى الفوز بالخلود ومآلهم ـــ فى النهاية ـــ الى الموت ، وبعد ذلك كله نجده يفكر فى الموت القادم له نفسه فيرمز الى ذلك بقوله :

זמן רב ישבנו במרפסת, מנורת הנפט הבהבה כשבאה הרוח. כיון שהיינו צעירים לא נטרנו מאחורינו זכרונות של עבר, אלא זכרונות של עתיד, שהפרידו בינינו, כי ידענו שלא נישאר יחדיו. ידי היו מונחות זו על זו, ויד האבן נשארה על כתף אשת האבן שעל הקבר.

(٣٢)

« جلسنا وقتا طويلا فى الشرفه • كانت الشعله البترولية تتحرك كلمـــا داهمتها الرياح •ونظرا لأننا كنا صغارا ، فاننا لم ندخر ذكريات من الماضى وراءنا ، بل ذكريات المستقبل التى فرقت فيما بيننا ، لأننا أدركنا أننا لن نبقى معا • كانت يداى ملقاة احداهما فوق الأخرى ، واليد الحجرية ما زالت باقية على المرأة الحجرية التى فوق المقبرة » •

فعميحاى استهواه الحديث عن الموت وجلاله ومآل الانسان اليه ، فراح يذكر به القارىء كلما وجد فرصة لذلك ، وقد ساعده على ذلك الجو العام الذى تدور القصة حوله ، فقد أتى الى مصر محاربا يعرض نفسه للموت . كما وجد فى مقابر الملوك ما يشبع رغبته ويحقق مأربه ويمده بأسانيده ودلائله ، حتى بعد أن انتهت الرحلة ، عاد الى مغارات الحروب وخنادقها ، فربط بين موت الماضى الذى شاهده فى آثار المصريين القدماء ، وموت الحاضر الذى تعبثه القوى المتحاربة فى الحرب العالمية الثانية ، وموت المستقبل الذى ينتظره ، فأحياء اليوم هم موتى الغد ، وعالم الموتى بات مختلطا بدنيا الأحياء الذين يعيشون فى مقابر الملوك فى الكرنك .

وها هى باتيا كهانا[٣٣] כהנה בתיה تحكى فى احدى قصصها بعنوان ספינכס أبو الهول — عن أمجاد فراعين مصر التى يتضاءل أمامها — كما قالت — أى مجد حققته الأجيال الحديثة فى العالم كله[٣٤] . والقصة المذكورة هى احدى قصص المجموعة التى تحمل عنوان בפרוח עץ ההדר عند ازدهار شجرة الحمضيات ، والتى تجرى أحداثها أثناء الهجرة الثالثة ، وتدور حول حياة أسرة مكونة من الزوجين « رنا » و « آوريال » وابنتهما راعوث وأم الزوج . ثم يدخل على هذه الأسرة دافيد جروس ، وهو صديق « رنا » منذ الطفولة ، ويتسم « بدماثة الخلق » وثراء العيش ، فيحاول أن يقنعها بالذهاب معه بعيداً عن المستعمرة التى تعيش فيها وتمارس أعمالا شاقة كى تحصل على قوت يومها ، ووعدها أن يوفر لها حياة يسيره دون تعب ودون بذل أى مجهود ، وفى نهاية القصة ترفض « رنا » ويفشل دافيد جروس فى اغرائها ، فعادت الى زوجها وعملها الذى كانت تمارسه فى المستعمرة . وكان دافيد جروس يحكى لها — على سبيل الاغراء — بعضا من القصص التى وقعت أحداثها فى مختلف مدن العالم ، وفى اطار هذه القصص حكى عن مصر قصة « أبو الهول » وهى تدور حول رغبة سائح فى زيارة « أبو الهول » بعد أن زار متحف الآثار المصرية والأهرامات الثلاثة ، وبينما كان فى طريقه لتحقيق ذلك التقت به احدى النساء فتناولا عبارات الاعجاب ونظرات الهوى ، وركنا الى أحد المنازل ونسى هدفه الرئيسى من الذهاب الى هضبة الأهرام ، وبالتالى لم تتحقق

له أمنيته التي راودته بزيارة « أبو الهول » ، وفي نهاية القصة تربط الكاتبة بين السر الذي تحمله هذه السيدة والسر الذي يحمله «أبو الهول» والذي لم يفصح كل منهما عنه .

والقارىء للقصة يكتشف — من الوهلة الأولى — أن الكاتبة لا تقصد سرد الأحداث — في حد ذاتها — بقدر ما كانت ترمي الى وصف مشاعرها وأحاسيسها عند رؤية كل أثر من آثار هؤلاء الفراعين العظام ، فهي تستهل القصة بقولها :

— הבא למצרים ואינו רואה את הספינכס למי הוא דומה? למתארח בבית ואינו רואה את בעליו, או לעובר ביער ואינו רואה את העצים. ואכן, בביקורי הקצר בקהיר של מצרים, הלכתי לראות את חידת הדורות שלה, את הספינכס.

(٣٥)

بم نشبه ذلك الذي قدم الى مصر فلم ير « أبو الهول » ؟ انه يشبه ذلك الضيف الذي حل ببيت فلم ير أصحابه ، أو ذلك الذي مر بغابة فلم ير أشجارها ، ولذا ففي زيارتي القصيرة لقاهرة مصر ذهبت لأرى لغز أجيالها « أبو الهول » .

فأبو الهول — في رأيها راعي هذه المنطقة وحاميها ، وهو وحده الذي يملك أن يبوح بأسرار الأقدمين ومكنوناتهم التي واروها معهم تحت ثرى مصر ، وهو الذي دافع عن هذه الهضبة وتصدى لكل الهجمات والغزوات الشرسة التي كانت تستهدف الأهرامات وما يحيط بها من كنوز وما تكتنفه من أسرار .

ثم تبث مشاعرها وأحاسيسها حين زارت متحف الآثار فتقول :

"סיירתי את בית־הנכות סיור חטוף, הסתכלתי בפסלים ענקיים ובפסליהם הזעירים, ביקרתי גם את מלכי מצרים במחלקה העליונה, והם קיבלוני בסבר פנים יפות ושקטות, כמנהגם משנות־קדם. הפאר העתיק הקסימני והעציבני: כי ידיעותינו במדעים המדוייקים במלאכה, באמנות, בטכניקה — מה המה לעומת הסוד הגדול, סוד החניטה, שהעם הזה הורידו אתו לקברו?

(٣٦)

[illegible] في جولة خاطفة ، فرأيت تماثيل ضخمة يركض أمامها [illegible] ، زرت أيضا ملوك مصر – في الجناح العلوي – فاستقبلني [illegible] بوجه بشوش جميل هادىء كعادتهم منذ العصور القديمة . استأثر [illegible] القديم بلبي كما آلمني أيضا : لأنه ما قيمة ما نعرفه من معلومات [illegible]قيقة في الصناعة والفن والتكنولوجيا اذا ما قورنت بهذا السر العظيم . سر التحنيط ، الذي واراه هذا الشعب في قبره ؟ » .

فالكاتبة تعبر عن انبهارها بما وصل اليه المصريون القدماء منذ آلاف السنين – من علوم ومعارف تفوق ما وصل اليه العالم كله من علوم حديثة في كل ميادين الحياة ، وكفاها أن العالم الحديث – بما وصل اليه من نظرات واختراعات واكتشافات – لم يستطع الوصول الى سر التحنيط الذي دفنه ملوك مصر معهم في مقابرهم . وبرغم ما وصل اليه هؤلاء العمالقة من تقدم حضاري – كان يمكن أن يكون باعثا على الكبرياء والغرور – الا انهم اتسموا بالتواضع ، فقد استقبلها هؤلاء الملوك « بوجه بشوش جميل هادىء كعادتهم منذ العصور القديمة .

ثم تتوقف الكاتبة عند التابوت الزجاجي الذي تسجى فيه مومياء رمسيس الثاني ، فتنظر اليه مليا وتتحدث الى نفسها بصوت غير مسموع فتقول :

"בלב פועם עמדתי לפני ארגז הזכוכית, שבו שוכן פרעה, רעמסס השני, מראה פניו המצומקים אינו מפחיד. רק בהן רגלו התפורר משהו, והתכריכים עבושים למחצה. הזה פרעה הגדול והאביר, המדביר עמים וארצות? הדרו האריך ימים בצורת הגופה החנוטה. (٣٧)

« وقفت بقلب يخفق أمام الصندوق الزجاجي المسجى فيه الفرعون رمسيس الثاني ، لم يفزعني منظر وجهه الجاف . فقط ابهام قدمه المفتت قليلا والأربطة المتعفنه بشكل جزئي . هل هذا هو الفرعون العظيم الجبار الذي أخضع شعوبا ودولا ؟ ها هو مجده يستمر طويلا في صورة الجسد المحنط » .

فأمجاد الفراعين كتبت لهـا الحياة من خـلال تلك الموميـاوات العديدة التى تزخر بها متاحف الآثار فى مصر ، ومن خلال ما تركوا من آثار تبهر العالم كله ، ثم تصل الكاتبة الى ذروة مشاعرها الذاتية فتقول :

"בן־אדם, מה אתה ומה ערכך למראה כל וה? הבל ורעות־רוח. ומה תכלית לגופך לאחר מותך?

(٣٨)

« يا ابن آدم ، من أنت وما هى قيمتك حين ترى كل هذا ؟ باطل وهباء • وما هو مصير جسدك بعد وفاتك ؟ » •

وهكذا توصلت باتياكهانا الى ما سبق أن توصل اليه يعقوب كاهن من خلال الحضارة المصرية القديمة ، جسد الانسان زائل وعمله باق الى الأبد •

وعلى أية حال فان احساس باتياكهانا بتضاؤل الحضارة الحديثة أمام الحضارة المصرية هو احساس سائد بين معظم الأدباء العبريين ، شأنهم فى ذلك شأن معظم أدباء العالم وعلمائه ، فمثلا دبورا بارون דבורה בארון تعبر ـ فى قصتها (*) المنفيون הגולים ـ عن هذا الاتجاه مباشرة فتقول :

מנחם גוט, עד שהאחרים התעסקו בכל אלה, הלך ומצא לו אבן ליד אחד התלים והתישב עליה. מכווץ היה ומבוטל בעיני עצמו לבין ענקי־עולם אלה שמסביב.

(٣٩)

« وفى الوقت الذى انشغل فيه الآخرون بهذه الأمور ، ذهب مناحم جوت فوجد حجرا بالقرب من أحد التلال وجلس عليه ، جلس منكمشا واضعا فى اعتباره أنه شىء تافه أمام عمالقة الدنيا المحيطين به •

(*) سنتناول هذه القصة بالتفصيل فى الفصل الخاص بمصر فى أدب الرحلات •

ونلتقى بمصر الفرعونية بعداً آخر عند دافيد شمعون [٤٠] דוד שמעוני ١٨٦٦ — ١٩٥٧ وخاصة فى قصيدة ספנקסים « تماثيل أبى الهول » ، قد شاهد شمعون — بطريق الصدفة — تمثالين لأبى الهول فى احدى الساحات الفرنسية . فأخذ يشـبه « الأمة اليهودية المنفية فى أوربا » بهذين التمثالين . فكلاهما اجتث من أرضه ووضع فى أرض غريبة عنه !! ، وكلاهما يحمل فى داخله شمس الشرق الدافئة ، ورغم ذلك يعانى من برد الشمال القارس يقول الشاعر •

מגדות נילוס
מדכוני המדבר הלוהט
הובלו שי הענקים הפלאים
אלי גלי הצפון הנוגה
יומם גולים ערירים כמוני
המה שקועים בערפל מות

(٤١)

من ضفاف النيل
من حرارة الصحارى الملتهبة
نقل العماليق المدهشين هدية
الى أطلال الشمال الكئيب
يقضون نهارهم فى عزلة مثلى
ويغوصون فى ضباب الموت

وهذان التمثالان لم يستطيعا أن يأتلفا ويتكيفا بالبيئة الجديدة ، ويئنان من وحشة الغربة ويتوقعان للعودة الى أحضان الأرض الأم ، فيشكوان حالهما كما يشكو بنو اسرائيل • فكلاهمـا — حسـب رأى الشاعر — اجتث من أرضه ووضع فى أرض الغرباء ، وهو تشبيه لـم يسبقه أحد فى استخدامه •

وهكذا ذكرت مصر الفرعونية بالتقريظ والاعجاب ، ولم يعثر أدباء العبرية فيها على ما يعينهم على تصويرها بالصور السلبية ، حسبهم فى ذلك ما تضمنته العديد من المؤلفات العلمية والأدبية العالمية اطراء ومديحا لهذه الحضارة التى وقف العالم أمامها — وما زال يقف — مشدوها بهـا وبما وصلت اليه منذ آلاف السنين ، حتى بات بعض أدباء العبرية يشـبه بنى اسرائيل بأبى الهول ، وهو تشبيه لم يكن الشاعر ليقوله الا اذا كان المشبه به يسمو بقدره وفكره الى مرتبه « شعب الله المختـار »!! وهو ما يعكس انبهار الشاعر واجلاله لهذه الحضارات العريقة .

* * *

الفصـــل الثالث

مصـر رمـز للمنفـــى

توصف مصر بهذه الصورة حين يتعرض بنو اسرائيل لأزمات أو تحل بهم مصائب أو كوارث أو يحيق بهم اضطهاد ، وتوصف مصر فى هـــذا الاتجاه على أنها عدو قديم جبل على تدبير المكائد والمؤامرات لكى يفتـــك بالاسرائيليين ويلقى بهم بعيدا عن « أرضهم ووطنهم ! » ، وهم فى ذلك متأثرون بما قبع فى أذهانهم عن مصر التوراتية وما ترسخ فى فكرهم بأن من يتعرض لهم بالشر أو التنكيل سيقصم الله ظهره ويبلوه بعظائم الأمور ! فكأنما صارت لهؤلاء القوم « لعنة » تحل بكل من يحـــاول التصدى لأفكارهم العنصرية أو سلوكياتهم المتفردة ، وهى لعنة ــ أدعت توارتهم ــ أنها حلت بمصر والمصريين ابان عصر موسى ، حيث أصيبوا بعشر ضربات أو لعنات أنزلها الههم « يهوه » على المصريين كى يمتثلوا لتعاليم موسى وهكذا باتت مصر رمزا مجسدا للاضطهاد والتنكيل ، وبات كل ما يتعرضون له من نكبات وكوارث تكرارا لما لحق بهم فى مصر أثناء موسى ، وصارت مصر قالبا تتكرر ــ من خلاله ــ أحداث الاضطهاد وأحداث العقاب والتقويم أيضا ، فما حل بمصر من كوارث ولعنـــات نتيجة عصيانها تعاليم موسى سيحل أيضا بكل أمة أو شعب يعصى مطالب بنى اسرائيل أو ينكل بهم !!

وهكذا كثر تصوير مصر بهذه الصفات فى أعقاب المذابح الروسية التى تعرض لها اليهود فى ثمانينات القرن الماضى [١] ، وكذلك فى أعقاب قيام السلطات التركية بطرد بعض اليهود من تل أبيب أثناء الحرب العالمية الأولى[٢] ، كما اشتدت هذه الصور رسوخا أثناء الاضطهاد النـــازى لهم فى ثلاثينات هذا القرن [٣] ، وكذا فى أعقاب الثورة العربية فى فلسطين عام ١٩٣٦ ، وغير ذلك من الأحداث التى ليس لمصر أى دور فيها ، فما بالنا بالأحداث التى لعبت فيها مصر دورا رئيسيا ورائدا بدءا

من حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ، ومرورا بحربى ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، ونهاية بملحمة اكتوبر الخالدة ، هذه الحروب التى خاضتها مصر قائدة لأمتها العربية ودفاعا عن أرضها وحقها فى الحياة ، والتى ما خاضتها الا لكى يسود العدل والسلام فى المنطقة ، ماذا نظن بصورة مصر فى الأدب العبرى بعد هذه الأحداث وغيرها : لا شك أن الصورة تصبح أكثر ظلاما واظلاما .

وقد آثر الأدباء الذين يتناولون مصر بهذه الصورة أن يتبعوا الرمزية فى كتاباتهم ، فبعض الأدباء يرى أنه بدلا من أن يتناول الكارثة التى يتعرض لها من منطلق واقعها الملموس ودوافعها الحقيقية — مما قد يضاعف اضطهاده — فانه يهرب الى الرمز ، فعساه أن يعبر عما يريد دونما عنت أو تنكيل ، فينقل الكارثة الى غير زمانها أو مكانها، وبذلك يطلق لقلمه حرية التعبير دون خوف أو فزع ، ولولا ذلك لما استطاع أى من هؤلاء الأدباء أن يعبر — أثناء حكم هتلر مثلا — عن أحاسيس اليهود ازاء ما حل بهم من نكبات وكوارث ، ولو فعل لكان نصيبه من الاضطهاد أشد وأعنف ، ولذا فهو يحلق بالكارثة بعيدا عن مكانها وزمانها ، الى مصر القديمة ، ليقول ما يريد . ولذا اقتصر ذكر مصر على هذا النحو فى الأدب الرمزى الذى يؤمن بأن الحقيقة يجب أن تكون باطنه خفية ، وبأن المشاهد الواقعية فى المجتمع ليست الا ألوانا من التمويه والتلميح خاصة حين تهدد الملمات أديب الواقعية اذا التزم بالحقيقة الماثلة .

واذا أردنا أمثلة على ذلك ، فان « قصائد ضربات مصرايم » מכות מצרים التى نظمها ناتان ألترمان[٤] נתן אלתרמן ستكون أكثر الأمثلة توضيحا لمقصدنا ، فقد استلهم الشاعر أحداثا قديمة وقعت فى مصر فى عصر موسى — طبقا لما ورد فى التوراة — وجعل منها أحداثا تقع فى العصر الحديث .

واذا أردنا بلوغ مدركات الشاعر والوقوف على مقاصده فيما نظم من قصائد ، يجدر بنا أن نعطى لمحة سريعة عن الخلفية التاريخية

لتلك الضربات التى تتسلل [illegible] قويا في النفس [illegible] عند هؤلاء ، فالمقصود بضربات مصر — فى القصيدة — هى تلك المصائب التى حاقت بمصر والمصريين ابان عصر موسى طبقا لما ورد فى سفر الخروج ، وفى أكثر الأحوال المذكورة فان هذه الضربات ما هى الا وباء أو مرض أصاب المصريين ، ويبلغ عدد هذه الضربات عشر ضربات ، شملت البلاد كلها عقابا على عدم امتثال مصر لمطالب موسى وتعاليمه ، وكانت كل ضربة من هذه تحدث فى أعقاب كل مطلب لموسى ، وبذا يكون موسى بدوره قد كرر مطلبه عشر مرات ، وأولى هذه الضربات هى حادثة تحويل مياه النيل الى دم أو شيء مثيل له (الخروج ٧ : ١٤ — ٢٥) والثانية ضربة الضفادع التى انتشرت فى كل مكان فى مصر فالتهمت خيرها كله (الخروج ٨ : ١ — ١٥) والثالثة ضربة البعوض (الخروج ٨ : ١٦ — ١٩) والرابعة ضربة الذباب (الخروج ٨: ٢٠—٣٢) والخامسة الوباء الذى لحق بالحيوانات فنفق معظمها (الخروج ٩ : ١ — ٧) والسادسة ضربة الدمامل والتقيحات التى أتت على الانسان والحيوان (الخروج ٩ : ٨ — ١٢) والسابعة ضربة البرد (الخروج ٩ : ١٣ — ٣٥) والثامنة ضربة الجراد الذى أتى على كل شيء (الخروج ٢٠ : ١ — ٢٠) والتاسعة ضربة الظلام (الخروج ١٠: ٢١ — ٢٩) والعاشرة موت الأبكار (الخروج ١١ : ١ ، ١٢ : ٣) . وطبقا لما ورد فى التوراة ، فان كل ضربة من هذه الضربات كانت تلحق بمصر حكاما ومحكومين فى أعقاب رفض كل مطلب من مطالب موسى .

وقد استلهم ناتان الترمان الأحداث السابقة — وهى من قبيل الثقافة المتوارثة — ونظم منها قصيدته وهى من القصائد التى يطلق عليها بالادا בלדה (*) وتخيل هذه الأحداث وكأنها لا مفر واقعه

(*) البالادا : هى قصيدة شعبية صالحة للغناء ، وغالبا ما يستمد موضوعها من أحداث التاريخ ، وهى تهتم بابراز النواحى الدرامية فى هذا التاريخ ، كما تكشف عن صراع الانسان مع نفسه ومع المحيطين به . والفرق بينها وبين الملحمة ان البالادا صورة قصصية شعرية تتسم بالتركيز وأحيانا بالتعقيد ، بينما تهتم الملحمة بالحديث عن الأبطال والبطولة فى المعارك والحروب باسلوب يؤدى الى الملل احيانا ، وباسلوب ساذج وخال من كل تركيز أو تعقيد .

على الانسانية كلها فى العصر الحديث نظرا لما اقترفته مع اليهود من آثام شبيهة بما اقترفه المصريون مع موسى وقومه!!

ويقسم ايلى شافيد(٥) אלי שביד القصائد التى تتناول الثقافات الموروثة الى قسمين : نوع يمكن ادراك مغزاه ومضمونه عند قراءته منفردا لأول مرة ، ونوع آخر لا يمكن ادراك مقاصده ومضامينه الا فى اطار مجموعة متكاملة من القصائد تقرأ بشكل كلى من بدايتها حتى نهايتها،وبمعنى آخر فان هناك قصيدة يمكن فهمهافى اطارها الخاص والمحدد بينما هناك قصيدة أخرى لا يمكن فهمها الا فى اطارها العام وخطوطها العريضة مرتبطة ببعض القصائد الأخرى • ويتميز النوع الأخير بنزوعه الشديد الى الرمزية والتمويه ، وتنتمى قصائد ضربات مصر — التى نحن بصددها الآن — الى هذا النوع • فاذا قرأنا كل قصيدة منها منفردة لبدت غامضة مبهمه ، بينما اذا قرأناها مرتبطة بما بعدها من قصائد لزال هذا الغموض واتضحت المعانى وتجلى المقصد •

وقد أجمع معظم النقاد(٦) على أن ألترمان قد نظم هذه القصائد ابان الحرب العالمية الثانية ، فجاءت لتصور ويلاتها على الأمم والشعوب وما أحدثته من سفك لدماء الانسان على أنه انتقام من هذه الأمم والشعوب ، وعلى أن التاريخ يعيد نفسه لما فعلته هذه الشعوب مع اليهود، وهو انتقام يشبه الضربات العشر التى وقعت للمصريين القدماء فى عصر موسى • أما الدوافع الأساسية التى حدت بألترمان أن يكتب هذه القصائد هى ما أحاط باليهود من أحداث فى تلك الحقبة ، فمع نشوب الحرب العالمية الثانية تفاقمت الأمور من جميع الاتجاهات ، فمن جهة كان الاضطهاد النازى يحكم قبضته على اليهود فى أوروبا ، وفى فلسطين احتدم الصراع بين الشعب العربى الفلسطينى والمنظمات اليهودية من ناحية،وبين هذه المنظمات وسلطات الانتداب البريطانى من ناحية أخرى • وكان على شاعر مثل الترمان أن يعبر عن موقفه تجاه تلك الأحداث جميعا فقرض هذه القصائد ، قرضها — كما تقول نوريت جوبرين (٧) נורית גוברין لكى يعبر عن المحنة التى تمر بالانسان ،

الانسان في كل مكان وفي كل الأجيال وخاصة جيل الحرب العالمية الثانية ، ففي ستة ساعات ... ثم انهيار لأركان المجتمع الأساسية واستغلال الشعب تقاليد السلطة وانتقامه من حكامه الذين أنزلوا به شتى أنواع العذاب وفي النهاية يسود الدمار المادي المطلق ، فالأساس المشترك هنا هو الاستمرارية والتكرار ، وما حدث للمصريين من انتقام يحدث للعالم كله الآن ، يحدث متمثلا في ويلات الحرب الثانية وكوارثها التي لم يفلت منها شعب من الشعوب ، ففي القصيدة صعود من الخاص الى العالم ومن الفرد الى المجموع ، فالشاعر يتخطى مشاعر « الأنا » الفردية واليهودية ، ويصعد الى الانسانية جمعاء ، منبها اياها ألا تنسى ما فعلت قديما أو حديثا حتى لا يتكرر لها ما حدث من مصائب «وضربات» متى يحدث تقف ضد مطالب اليهود وأمانيهم ، وبذا يرتدي الحاضر ثوب الماضي .

يقول الترمان مخاطبا مدينة نوآمون(*) في احدى هذه القصائد ، وعنوانها في درب نوآمون :

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

(*) نوآمون ـ نو ، آمنون نو : هي مدينة آمون (الاقصر الحالية) . وكانت تسمى طيبة في أيام الامبراطورية المصرية ، وكانت طيبة قديما معقل الوطنية ومهد الروح القومية ، خرج منها الثوار الوطنيون الأبطال الذين طردوا الهكسوس الغزاة من مصر ، وجعلوا منها امبراطورية عظيمة ، كالشمس والزعامة العظام ، كما كانت العاصمة الدينية ومركز عبادة « الشمس » عبادة آمون الذي أطلق اسمه عليها وأصبحت تعرف باسم مدينة آمون .

נא־אמון, אז עלתה עד ירח
צעקה ראשונה בלי עד.
החי אשר רץ אל השער
נאסף בריצתו למת.

והקיפתך זעקה, עיר מלך,
והניעך זעזועה פלאים.
מהיכל עד גרגר המלח

(٨)

التر جمة :

يا مدينة نوآمون ، من مقصلاتك الحديدية
إجتثت أبواب وسط النواح
وأتته ضربات مصر
لتحاكمك في الليــــــل
يانو آمون ، ارتفعت آنذاك الى القمر
أول صرخة ، ولكن لم يشهدها أحد
حتى من بقى حيا وعدا نحو الباب
مات أثناء عدوه
وأحاطك الصراخ يا مدينة الملك
وحركتك هزات عجيبة
من القصر وحتى ذرة الملح

ומכתר ועד בלואים.

בין עתיקי ספורי מורשה
ספורך הנדחה לוהט.
כלהטה רחוקה מגשת
את כי לה בקבצי קדם.

וזכרון עונות ועונש
בשמלה מגואלה דמים
קמת ונצבת בלי [illegible],
על ראשית נתיבות עמים.

ومن التاج حتى بالى الأسمال
من بين القصص القديمة المتوارثة
تلتهب قصتك المنبوذة
كلظى لا يمكن الدنو منه
تنهضين أنت من غابر الزمان
وذكر الذنوب والعقاب
فى لباس ملطخ بالدماء
نهضت ووقفت دون أن تتعفنى
ووقفت فى بداية طرق الشعوب

فالشاعر فى هذه القصيدة يوقظ أحداث الماضى ، وهى أحداث كالنار المستعرة التى لا يمكن لأحد أن يقترب منها أو يتحمل لهيبها ، يوقظ مدينة آمون من سباتها العميق منذ غابر الزمان لتصبح رمزا حيا وتحذيرا دائما أمام الانسانية التى لا تستجيب لمطالب اليهود !! رمزاً للقتل والصراخ والسقوط والسعير والدماء والعويل ، ثم يواصل خطابه الى المدينة قائلاً :

את גל-עד להדי הזעם
הסוחפים יבשות וים,
ערי-אדם, כי תוצפנה זעם,
כה רואות את עצמן בראיך,

את גל-עד לערב ודבר,
הנוטים אהלים על גבול,
יוצאים אל תבל, כחבר,
להציג לה חזיון הגמול.

להאיר לה כנגדה זרותה
ולהעיד לה בגדת המון, –
ועל כך נדלקות עריה,
כבלפיד, כמכות אסון.

זו חודה שונסים מתנים
והוכסים בה בכבל-צהל
להוסיף על מכות מצרים
את ענשו של מוסר-השכל.

ונהכן אספסוף הסלח
וקולר האזכה עמו
לתלותו כבדים וסלד
ולסרקו מעוארי עצמו.

(٩) ובהכות על ראשים, כאבן,
האותות נקראו כשחוק,
ובבעור לעת-לל, כתבן,
אמתות נקראו כחק––

الترجمة :

أنت تذكار للضربة الغاضبة
التى وصل صداها الى اليابس والماء
ومدن الانسان اذا ما أغرقها الغضب
فانها ترى نفسها اذا ما نظرت فى مرآتك
أنت أطلال شاهدة على الذباب والطاعون
الذى نصب خيامه عند الحدود
وخرج الى الدنيا أسرابا
لتمثل أمامها مسرحية الانتقام
لتظهر أمامها خيانة وزرائها

وتظهر أمامها خيانة الشعب
وبذا تنتشر الضياء على مدنها
كأنها شعلة ـ بضربات امون
حينئذ حزم زعماؤهم الدينيون خصورهم
وضربوها بقطعة من عصا
ليضيفوا الى ضربات مصر
عقاب الدرس المستفاد
وتجمع غوغاء المنطقة
يحملون قيود الاتهام الحديدية
ليكبلوا بها الوزراء والملك
بعد أن حلوها من أعناقهم
وكأنها حجر يضرب على الرؤوس
بدت المعجزات الساحرة
وكنيران اضرمت فى قش
بدت المعجزات الساحرة

فالشاعر يصرخ قائلا بأن مدن العالم الحديث اذا ما حاق بها غضب اليهود فستصبح مثل مدينة آمون بلدانها اذا نظرت الى مرآة (نوآمون) فلن ترى الا نفسها ، جزاء على ما اقترفته من ذنوب نوآمون ، فكأن مدينة نو آمون قالب صبت فيه كل مدينة حديثة يضطهد فيها اليهود .

ويرمز الشاعر الى العصرين القديم والحديث بحوار يجرى بين أب وابنه ، يشكو فيه الابن مما يلاقيه من عنت واضطهاد وما يشـــــهده من مظاهر الخراب والدمار فى المدن التى يعيش بين ظهرانيها ، فيرد عليه الأب مؤكدا أن هذا ما حدث فى غابر الزمان فى « نو آمون » ، ويقوم الأب بتفسير معنى كل ضربة ، والابن يبكى ويتوسل ، لكن كليهما ـ الأب والابن ـ مرتبط بهذا الواقع المرير وهما يهويان نحو الموت[١٠] ، وبهذا أعطى الترمان صفة الاستمرارية للدوافع التى أدت الى هذه الضربات[١١] يقول الشاعر :

אבי, אין קץ, אבי, אין קץ לצמאון.
כוכב גרים, בכורי, זוהר על עיר אמון.
מימיה, אב, קמים כאש בכדיהם.
דמיה, בן, סומים ואנו בידיהם.

אבי, אין קץ, אבי, ליליל ולאוסון.
בליל צפרדע, בן, קורסת עיר אמון.

אבי, אבי, דמי בוכים בקול המון.
עפר הארץ, בן, סורף את עיר אמון.
לילה גדול, אבי, דומם ובל ימוט
ליל נקמות, בכורי. גדול ליל נקמות. (٥١)

الترجمة :

أبتى لا نهاية يا أبتى للظمأ
نجم الغرباء يا بنى يسطع فوق مدينة آمون
ماؤها يا أبتى يملأ قدورها وكأنه لظى
دماؤها يابني سامه ونحن تحت وطأتهم
أبتى لا نهاية يا أبتى للنواح والبلاء
فى ليل الضفادع يابنى تجثوا مدينة آمون
أبتى ، أبتى ، دمائى تبكى بصوت صاخب
أديم الأرض يابنى يفترس مدينة آمون
ليلها طويل ياأبتى ، وصامت لا ينقشع
انه ليل الانتقام يا ولدى البكر ، وليل الانتقام طويل

وهكذا جعل الترمان من مصر رمزا سلبيا يدلل به على كل ما يتوقع حدوثه لشعوب العالم ، فدماء مضطهديهم دماء سامه ، وماؤهم كالنيران لا تروى ظمأ ، ولذا فهم يعيشون فى ظلام حالك لن يتبدد الا حين تجثو هذه الشعوب أمام الأجانب الذين سينتقمون منها مهما مر من الليالى •

ولم يكن دافيد شمعونى דוד שמעוני أوفر حظا من أقرانه أدباء العبرية ، فقد سقط فى نفس هوة الأوهام والخيالات التى سقطوا فيها وتوصلوا — من خلالها — الى نظريات ونتائج خاطئة من أساسها •

فقد اتخذت مصر فى شعره صورة مخيفة تثير فيه الرعب والفزع كلما دنا منها ، فقد كتب شمعونى عام ١٩٢١ — وهو عام هجرته الى فلسطين بصفة نهائية — مجموعة من القصائد تحت عنوان ממדבר למדבר من صحراء الى صحراء ، تحدث فيها عن معاناته فى رحلته الى فلسطين ، وصور هذه الرحلة على أنها انتقال من صحراء الى صحراء أخرى ، أو — بمعنى آخر — من صحراء أوروبا المقفرة الى صحراء يهوذا ، فقد بات العالم كله — بالنسبة لهم — صحراء •• وقد خص دافيد شمعونى مصر بقصيدة تحت عنوان בנמל סעיד فى ميناء بور سعيد ، استلهم فيها ماضى بنى اسرائيل فى مصر فى عصر موسى وأشار الى أن العالم كله قد صار — بعد الحرب العالمية الأولى — صحراء مترامية الأطراف ، لا تقل فى قسوته وشقائها عن صحراء سيناء ، وان فترة الشقاء والبؤس — التى يعيشها بنو اسرائيل — قد امتدت الى أربعة آلاف سنة ، منذ خرجوا من مصر ، وهاهى النوائب تطل برأسها مرة أخرى ، ومن مصر أيضا ، ومن فوق قمة الاهرامات !! ثم يؤكد شمعونى فى نهاية القصيدة على أن الصراع التاريخى بين المصريين وبنى اسرائيل لن يشهد انفراجا ، فالشعب المصرى ما زال محافظا على خصائص أجداده من حيث ابتعاده عن الشفقة والرحمة ، وما يفعله الأجداد يفعله الأبناء ، ولذا « فالربط بين بحرين أسهل كثيرا من التقريب بين قلبين ، والطريق من البحر المتوسط الى المحيط الهندى أقصر وأسهل كثيرا من طريق نفس الى نفس » •

فحين اقتربت السفينة التى يستقلها من شواطئ مصر أصيب الشاعر بحالة من الفزع عبر عنها قائلا :

האם לא בני ישראל הם אלה
העובדים בפרך
ונאנחים וצועקים
מן העבודה ?
באפלת הלילה הפסק
דלקה אלי הסופה
ונסרקידני כבקתי.
נבצתי את עיני
אחוזות ההנוקה
בזעקב האסן :
אורים ארפים
דהרו על פני הים,
הרקו שלשלות ברזל,
סירות הופיעו באפל ועברו,
בשמים לחשו כוכבים
ומכל העברים צעקו, קללו, התרונט-
סבנוים
צר לי, צר לי להפרד
ממרחביך, הים.
אך לא— למה בכמד ?
לא רק מאהבה למרחביך, הים
צר לי להפרד מהם.
כי אם מאשר ינע תגבי ונדכא.
ומאשר כי קשה לי.
כשלטל את הרבי־עולף על כתפי
קשה לי
לצאת שנית מתאוי הבר והדוכם
אל שאון העולם.
בלהות הדהרים המאבקים

נזקפו אלי פתאום
באפלת הלילה.
סכר ספריר פרוח הלילה
הו'ישב מכבר לאזנב
חמה 'שגית קרגל כנגע פזחי הליקם.

אני בסבכים.
ערבים בזוית קנה
כביסות אלי
משיו בפיבקידות!?...

الترجمة :

هل حقا نهضوا من قبورهم

المصريون القدماء

ليصموا آذانى

بصرخاتهم الهمجية؟

اليس هؤلاء بنى اسرائيل

الذين يعانون الاضطهاد

ويتنهدون ويصرخون

من المعاناه

فى ظلام الليل الدامس

جاءتنى صرخه

فأفزعتنى من فراشى

حدقت بعينى

اللتين يغالبهما النعاس

من النافذة الصغيرة

أنوار حمــــــراء

تعدو فوق سطح البحر

صلصلت سلاسل حديدية

وظهرت ذوارق فى الظلام ثم توارت

وفى السماء التهبت النجوم

ومن كل صوب صرخت ، لعنت ، صخبت

مصر

وا أسفاه ، وا أسفاه على فراق

أرجائك أيها البحر

ولكن لا .. لماذا أخفى ؟

أن أسفى ليس فقط لأنى أحب أرجاءك أيها البحر

ولكن لتعبى وانهماكى

حين تراح جبال الألب من فوق كاهلى

سيكون من الصعب على

أن أخرج ثانية من زنزانتى الضيقة الصامته

الى صخب العالم

نوائب الظهر الاغبر

تطل على فجأة

فى بهيم الليل

الوسادة الباردة بسبب رياح الليل

التى تهب عبر النافذة

ـذنـ ثانية فى التوِ حين لامست جبهتى الملتهبة

انى فى مصر

أربة آلاف سنة

تنظر الى (النواءب) من فوق قمة الأهرامات !

ثم يشير الكاتب الى استمرارية اضطهاد بنى اسرائيل ومعاناتهم منذ خرجوا من مصر وحتى الآن فيقول :

מַה לִּי וְלַפִּירָמִידוֹת?
רְבָבוֹת מְאוֹת שָׁנִים מַבִּיטוֹת אֵלֵינוּ
מִשִּׂיא הַשָּׁמַיִם הַכְּחֻלִּים.

مالى والأهرامات ؟

عشرات الآلاف من مئات السنين تحدق فينا

من قمة السماء الزرقاء

ثم ينتقل الشاعر من اضطهاد الماضى الىَ انتقام الحاضر ، مثله فى ذلك مثل ألترمان : فها هى مصر ، التى اضطهدت بنى اسرائيل فى الزمن الغابر ، تعانى من قسوة الحياة ومرارة العيش فى الزمن الحاضر ، ويعبر الشاعر عن ذلك ببعض الغلمان الذين دفعتهم الحاجة الى أن يتشاجروا ويتقاتلوا كى يفوز كل منهم « بتنظيف حذاء الشاعر » حين كان يجلس على المقهى فى بور سعيد ، وكأن لسان حاله يقول : ها أن الشعب الذى ألحق بأجداده شتى أنواع الأذى ينحنى أمامه لينظف لــه الحذاء ، لعل فى ذلك تكفيرا عما اقترفه أبناؤه من ذنوب !! كما يعبر عن ذلك بالاعرابى الذى يعتلى الجمل ولا ينشد سوى الأغانى الحزينة التى

تفصح عن مرارة العيش وقسوة الحياة ، وبعد أن يرى هذا وذاك تستريح نفسه وتهدأ سريرته !!

נערים שחרחרים, שזופים, לבושי קרעים ורעבים.
אך עם עליצות ילדות בעיניהם השחורות
יתחרו זה בזה בשל נעלי המאובקות.
שכל אחד רוצה לצחצחן.
אביט אל עליצות-ילדותם, אשר לא הספיקו עוד החיים לכבותה,
אשמע אל רנוני העצב של המצרי הזקן
הנשא על דבשת גמלו.
אביט אל השמים הכחולים, העמוקים,
ואנוח.

غلمان سمر مسفوعون : يرتدون خرقا ، وجوعى
وبالرغم مما فى أعينهم السوداء من مرح الطفولة
الا أن كلامنهم يتنافس مع الآخر بسبب حذائى الذى يعلوه التراب
فكل منهم يريد أن يلمعه
وأنا أرقب مرح طفولتهم الذى لم تستطع الحياة اطفاءه
واستمع الى الأغانى الحزينة من المصرى العجوز
الذى يمتطى سنام جمله
فأنظر الى السماء الزرقاء العميقة
فأستريح !!

أما الرحمة والشفقة التى « افتقدها » المصريون قديما فى تعاملهم مع بنى اسرائيل ، فانهم يفتقدونها الآن فى تعاملهم مع أنفسهم ، ويعبر الشاعر عن ذلك بصورة كلية مكانها أحد شوارع بور سعيد ، يظهر فيها شخص عجوز كفيف البصر يطأ بقدميه شخصا صغيرا أعرج ، فيصرخ

الأخير ويلعن العجوز ، فيتشاجران ويتقاتلان ، ولا شك أن هذه الصورة ترتبط ارتباطا وثيقا بالصورة السابقة لها ، فكلتاهما تشيران الى أن المصريين « لم يعرفوا » الشفقة والرحمة مع غيرهم أو حتى مع أنفسهم عبر تاريخهم الطويل •

צעיר נכה ברגלים
וזקן.
הצעיר מקלל את הזקן, על אשר הכאיב לו
בדרכו על רגלו הפצועה.
הזקן מקלל את הצעיר, על אשר לא פנה לו את הדרך.

صغير أعرج
وعجـوز
الصغير يلعن العجوز لأنه آلمه
حين داس على قدمه المكسورة
والعجوز يلعن الصغير لأنه لم يفسح له الطريق ••

ويصل الشاعر — فى النهاية — الى أنه من الصعب التعايش مع شعب احتفظ بهذه الخصال الفظة طيلة تاريخه دون محاولة منه للتخلى عنها ،ولذا فقد استمر الصراع التاريخى الطويل والمرير بينه وبين بنى اسرائيل ، وهو صراع لن يتوقف لأنه « أسهل أن نربط بين بحرين من أن نربط بين قلبين ، كما أن الطريق من البحر المتوسط الى المحيط الهندى أقصر وأسهل بكثير من طريق نفس الى نفس » •

וּבַלַּיְלָה
בְּעָמְדִי עַל גֶּשֶׁר תְּעָלַת סוּאֶץ
לִפְנֵי פֶּסֶל לֶסֶפְּס
לָחַשְׁתִּי לוֹ חֶרֶשׁ:
קַל לְחַבֵּר שְׁנֵי יַמִּים
מֵאֲשֶׁר לְקָרֵב שְׁנֵי לְבָבוֹת.
וְהַדֶּרֶךְ מִיָּם הַתִּיכוֹן לְאוֹקְיָנוֹס הֹדּוּ
הִיא קְצָרָה וְקַלָּה לְאֵין עֲרֹךְ מִדֶּרֶךְ נֶפֶשׁ לְנֶפֶשׁ.

وفى الليل
حين كنت أقف عند جسر قناة السويس
أمام تمثا لديليسبس
همسـت لــه
الربط بين بحرين أسهل
من التقريب بين قلبين
والطريق من البحر المتوسط
أقصر وأسهل كثيرا من طريق نفس الى نفس

حرب اكتوبر واستمرارية الاضطهاد :

واذا كانت الأزمات والنكبات العالمية التى مر بها اليهود فى العصر الحديث قد حثت أدباء العبرية على استلهام الماضى الزائف الذى لصقوه بمصر والمصريين ، والذى صارت مصر بمقتضاه رمزا لكل مكان تعرضوا فيه لاضطهاد أو تحجيم . فان الحروب التى خاضتها مصر ضد الصهيونية والاستعمار العالمى دفاعا عن أمتها العربية بوجه عام والقضية الفلسطينية بوجه خاص ، كانت أكثر حثا ودفعا لهؤلاء الأدباء ، فسال لعابهم وتفتقت قريحتهم عن أسوأ الاتهامات ، فانهالوا على مصر رجما بالنعوت السلبية والصور الكريهه ، فما بالنا بحرب اكتوبر الخالدة وما تركته فى نفسية الانسان الاسرائيلى من ضرورة اعادة حساباته من جديد، تلك الحرب التى كانت بمثابة زلزال مدمر هز الأرض تحت أقدامهم فصاروا كالسكارى من هول المفاجأة ، والتى أحدثت هزة عنيفة فى الاستقرار السياسى وأدت الى انشقاق وتنافر بين مختلف الاتجاهات السياسية والاجتماعية ، ناهيك عما سببته لاسرائيل من انهيار اقتصادى عبر عن نفسه فى صور عديدة مما دفع الجماهير الاسرائيلية لرفع راية الدعوة الى التغيير وهو ما وصل الى ذروته بصعود اليمين بعد الحرب بثلاث سنوات بعد أن كان قابعا فى الظل منذ قيام الدولة . ولم تكن الساحة الأدبية العبرية أقل حظا من الساحات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، فهذه الساحة التى عاشت — قبل حرب اكتوبر — فترة — لا بأس بها — فى نشوة الانتصار ، آلت بعد هذه الحرب الى انكسار أدى بأحد النقاد العبريين الى أن يستنكر تلك الروح السائدة بين الأدباء العبريين فقال : « لقد أدت الحرب الى حالة من الارتباك الشديد وهو ارتباك ينسحب على الأدباء كذلك ، اننى لا أستنكر الحيرة أو الارتباك .. غير أنه لا بد وأن نقرر أن الحائرين المرتبكين ليس فى مقدورهم أن يكونوا هداة أو مرشدين للحائرين . ان الأدباء مازالوا مستمرين فى اظهار استجاباتهم تجاه الاحداث التى وقعت كل حسب وجهة نظره ... وبينهم قلة تجاهد لكى تشجع الشعب وتؤازره فى محنته ... غير أن هناك فى نفس الوقت

آخرين عديدين يصيفون أحزانا الى أحزان . لقد اهتزت ثقتهم اهتزازا شديدا فراحوا يزرعون اليأس حولنا ، الأمر الذى ينطوى على خطر شديد يهدد مستقبلنا »(١٣) .

وانطلاقا من الذعر الذى أصاب مختلف التيارات والاتجاهات من جراء حرب اكتوبر ، انبرت الاقلام الأدبية العبرية تكتب عن الماضى الرهيب وعلاقته بالحاضر المفزع والقادم المخيف ، وربطت بين هـــذا كله فصورت مصر على أنها « عدو أبدى دائم » .

وها هو أيهود بن عيزر אהוד בן עזר (١٤) ، وهو ابن شقيقه الأديبة استيرراب التى سنتحدث عنها باسهاب فى الفصل الخاص بمصر فى أدب الرحلات والتى أحبت مصر وعشقت ترابها وسماءها وهواءهـا وارتبطت قويا بأهلهاوانحنت أمام تاريخها ، والتى تحمل لمصر كل طيب من الذكريات روتها كتابة وشفاهة ، هاهو ذا قد كتب قصة تحت عنوان : ليل שימורים אחד ليلة تذكارية واحدة نشرها عام ١٩٧٨ ، أفاض خلالها فى وصف مصر بالأوصاف السلبية دون ذكر فضيلة واحدة ، فأفسد ذكريات خالته التى ما فتئت تتباهى وتتغنى بها ، مما أغضبها ودفعهـا لاتخاذ موقف سلبى منه (١٥) .

وتدور القصة حول احدى الليالى التى أصاب الأرق فيها بطلة القصة « راحيل » فعاشت فى أوهام الماضى وربطت بينها وبين الحاضر من خلال انطباعاتها الشخصية ، وهى انطباعات تنظر الى مصر باعتبارها « عنصرا يبعث الذعر والخوف والأرق »سواء فى تاريخها القديم متمثلا فى أهراماتها ومتحفها « الكائن فى ميدان التحرير » أو فى تاريخهـا الحديث متمثلا فى حرب اكتوبر . وكثيرا ما ترى راحيل ـــ حين تأخذها سنة من النوم ـــ أحلاما مفزعة ، وحين تستيقظ نجدها تستمع الى اذاعة القاهرة تذيع خطابا للرئيس السادات متعلقا بحرب اكتوبر ، وقد تكررت هذه العملية كثيرا فى ثنايا القصة ، أحلام مفزعة يتلوها خطاب للسادات من اذاعة القاهرة ، بحيث نستنتج ـــ من خلالها ـــ اصرار المؤلف على الربط بين مشاهد الرعب والفزع فى الأحلام وبين ما يثيره خطاب لسادات فيها

من مخاوف . فحين أصابها الأرق وغارق النوم جفنيهـا اسـتمعت الى السادات يقول فى اذاعة « كول كاعير » اذاعة القاهرة

"התחייבתי בפני אללה והתחייבתי בפניכם, בדיוק היום לפני שלוש שנים, לא להשאיר את משימת שיחרורה של האדמה הכבושה לדור הבא, ואת אני מקיים!" (١٦)

لقد التزمت أمام الله والتزمت أمامكم — فى مثل هذا اليوم منذ ثلاث سنوات بالضبط — ألا أترك مهمة تحرير الأرض المغتصبة للجيل القادم وهأنذا أفى بماوعدت » .

وبينما هى تستمع الى ذلك أخذتها سنة من النوم فرأت فى المنام واذا بها فى مدينة « فايد » المصرية داخل أحـد معسـكرات الجيش المصرى بين المدرعات ودانات المدافع وتحت أزيز الطائرات التى تحلق فى سماء المنطقة ، واذا بالجنود يلقون بقنبلتين تجاهها ولكنهما لا تنفجران ، فيستبد بها الخوف وتباغتها أحداث الماضى ، فتعود بخاطرها الى الوراء حين كانت فى مصر ، ويستبد بها ذلك الخوف من جراء ما شاهدته فى متحف الآثار أو حين دلفت الى داخل الهرم الأكبر فتقول :

פרקי חייה במצריים עולים לפניה

בבהירות מכאיבה. קהיר. בית-הנכאת. בלב פועם היא עומדת לפני ארגז-הזכוכית שבו שוכן פרעה רעמסס השני. מראהו אינו מפחיד כל עיקר. הפנים צומקים, יבשים. רק בוהן-רגלו התפוררה משהו, והתכריכים העוטים את גופו עבשים-למחצה. (١٧)

« تتذكر بوضوح فصول حياتها المؤلمة فى مصر . القاهرة . المتحف .. حيث وقفت بقلب يرتجف أمام التابوت الزجاجى الذى يسجى فيه الفرعون رمسيس الثانى . لم يكن منظره مخيفا من أساسه ، فالوجـه

جاف ومتجعد ،لم يتحطم منه سوى ابهام قدمه ، أما الأكفان التى تلفه فانها متعفنة الى حد ما » .

ثم تستيقظ بعد ذلك مباشرة ، فتستمع — مرة أخرى — الى اذاعة القاهرة والى السادات وهو يردد قائلا :

"התחייבתי בפני אללה והתחייבתי בפניכם, להוכיח קבל העולם, שמה שאירע בשנת 1967 היה דבר חולף ולא בר־קיימא, ואת אני מקיים. תוך שלוש שעות, ב-6 לאוקטובר, חצו מצרים והאומה הערבית כולה, את מחסום הפחד — " (١٨)

لقد التزمت أمام الله وأمامكم ، أن أثبت أمام العالم أن ما حدث في عاه ١٩٦٧ كان أمرا عارضا لا يدوم ، وهأنذا أنفذ ما وعدت . فخلال ثلاث ساعات في السادس من اكتوبر عبرتمصر والأمة العربية كلها حاجز الخوف » .

فتهمس راحيل لنفسها بأنين مكتوم قائلة :

אסמע מני, יא סאדאת, אלכדב חבלו קסיר — שמע ממני,
יא סאדאת, חבלו של השקר קצר! (١٩)

« اسمع ياسادات ، الكذب حبله قصيرا »

وهكذا فان كلمات السادات ، ومومياء رمسيس ، تثير فيها الخوف والفزع ، فالتقاء السادات ورمسيس الثانى هو التقاء لأجيال مصرية بثت الذعر بين صفوف بنى اسرائيل ، ولا يقتصر الأمر عند حكام الشعب فقط ، بل ان لقاءها بالباعة الجائلين والمرشدين السياحيين — عند هضبة الأهرام — ينطوى ايضا على ذكريات مخيفه حيث تقول :

רק הציגה כף רגלה צל הקרקע, ומיד סבבוה המון מורי-דרך ומוכרי-קמיעות. היא נבהלה. אך טוד מיהר לחלצה מן המצוקה. מרים קול. פוקד בערבית. גוער.

(٢٠)

« وما أن وطأت قدماها الارض حتى أحاط بها جمع من المرشدين وبائعى التمائم . فذعرت . ولكن « تود » أسرع ليخلصها من تلك الورطة ، فرفع صوته وصرح بالعربية موبخا اياهم » .

ويتفق نود – وهو الشخصية الثانية فى القصة – مع ثلاثة من المرشدين ليتجولوا معهما داخل الهرم ، وما أن دلفت قدماها الى الداخل حتى ارتجف جسدها واستبد بها الخوف

והם נכנסים לתוך הפירמידה. היא חשה חלחלה. ואין פלא,

להיות סגורה וחתומה בתוך מיבנה האבן העצום. אילו ניחש פרעה היאופס הגאה, שכעבור שלושת אלפי שנים תעיז מנוחתו הנצחית, שהכין לעצמו בעודו בחיים! נערה פשוטה, (٢١) בת פתח-תקוה, להיכנס למקום .

«لقد دخلوا الى الهرم وشعرت هى برجفة ، ولا عجب فى ذلك ، فقد خشيت أن تصبح سجينة أو حبيسة هذا المبنى الضخم ، فهل كان يمكن للفرعون خوفو المتغطرس أن يتنبأ أنه بعد ثلاث آلاف عام تجرؤ فتاة بسيطة من بتاح تكفا أن تدخل مرقده الأبدى الذى شيده حين كان حيا » .

وهكذا فان الخوف يشكل عنصرا رئيسيا فى أحداث القصة ، وهو خوف قادم من ماض سحيق متمثلا فى مومياء رمسيس وفى الأهرامات ، وما زال مستمرا الى اليوم متمثلا فى كلمات السادات وهجوم المرشدين السياحيين والباعة الجائلين .

ثم فجأة نتخيل أن منطقة الأهرام قد تحولت الى بركان ثائر وأنها لم تعد ترى تو د، بل انها تشعر بحرارة اللهب الصادر عن البركـــان على وجهها :

ובחלומה היא רואה במקום הפירמידה הר-געש לוהט.
את פניו של טוד אינה רואה, רק מרגישה על לחייה
את נשימתו החמה והעזה. (٢٢)

« وقد رأت فى المنام واذا ببركان ملتهب يثور فى منطقة الهرم ، ولم تعد ترى وجة تود ، ولم تعد تشعر سوى بالهواء الساخن الملتهب نحو وجهها » . ويبدو أن الكاتب ربط من هذا الحلم وبين اندلاع الحرب وحدوث زلزال اكتوبر ، فقد ذكر ـ بعده مباشرة ـ أن الطائرات السورية تحلق فى شمال فلسطين وأن الجيش المصرى يعبر القناه ، ومرة أخـــرى تستمع راحيل الى صوت السادات يردد نفس العبارة السابقة ، فيقول الكاتب :

היא רוצה לצעוק. היא את הערבים מכירה. אין להאמין להם.
הם רוצים לשחוט את כולנו, עד אחד. (٢٣)

« انها نريد أن تصرخ ، فهى تعرف العرب . لا أمان لهم . انهم يريدون أن يذبحونا جميعا حتى آخر فرد فينا » .

وهكذا استعادت بطلة القصة الاوهام اليهود وخيالاتهم القديمة وربطتها بالحاضر وربما المستقبل ، فشعرت أن نهايتها قد اقتربت ، ثم تستيقظ وينتهى الكابوس وتكتشف أنها ما زالت على قيد الحياة ، وأنها ما زالت فى انتظار كابوس آخر يعيد لها نفس الأحداث ، فتلصق بمصر والمصريين نفس التهم ونفس الصور !! . الاضطهاد والعنف والوحشية ، وهو استمرار لنفس الصورة القديمة ، وامتداد للاوهام التى ورثوهـــا جيلا بعد جيل ، والتى تظهر مصر خلالها باعتبارها سببا رئيسيا لكل ماحاق بهم من كوارث ونكبات سواء فى الماضى البعيد أو الحاضر القريب .

الباب الثاني

١ – مصر فى أدب الرحلات .

٢ – مصر كموطن للميلاد .

٣ – صورة مصريى الأرض المحتلة .

الفصـــــل الأول

مصر فى أدب الرحــلات العبرى

كان لتشتت اليهود فى معظم دول العالم أثر كبير فى ازدهار أدب الرحلات عندهم ، فقد وفرت لهم ظروفهم العيش والاختلاط بالعـديد من شعوب العالم ، وبالتالى كثرت معارفهم ومعلوماتهم عن كل أمـور الحياة فى البلاد التى عاشوا بين ظهرانيها ، وهذه المعارف هى المـادة الرئيسية فى أدب الرحلات • ولذا طفق كل أديب يكتب ذكرياته عن البلد الذى يعيش فيه ، فتوفر للادب العبرى خضم هائل من أدب السيرة والرحلات يكاد يغطى معظم دول العالم وشعوبها •

ولم تنقطع علاقة اليهود بمصر فى أى عصر من عصور التاريخ ، حيث كانوا يفدون اليها مهاجرين أو هاربين من اضطهاد أو زائرين ، ومن هؤلاء الزائرين من كان يطيب له المقام فيستقر فيها متمتعا بدفئهـــا وما تتسم به من سماحة وتعايش للاديان ، ومنهم من كان يعود الى بلاده على أثر زيارته فيروى أو يكتب عما رآه أو خالج شعوره حين كان فى مصر •

وكلامنا هذا لا يقتصر على العصر الحديث فقط بل انه ينطبق أيضـــا على العصور القديمة والوسيطة ، فها هو يهودا بورلا[١] יהודה בורלא يروى قصة حياة يهودا اللاوى[٢] יהודה הלוי ـ الشاعر العبرى الكبير فى العصور الوسطى ـ وزيارته لمصر عام ٩٩٧ وسعادته الغامرة وانفعاله الشديد برؤية طبيعتها الساحرة ونيلها العظيم وحضـــارتها الشامخة وأهلها الكرماء حتى أنه قرض فيها العديد من قصائد الوصـــف والمديح الذى لا يتسع كتابنا هذا لتناولها[٣] •

آما فى العصور الحديثة فقد تعددت هجرات اليهود وزياراتهم لمصر ، وكانت جميعها تنطلق من ستة محاور هى :

١ — المحور الأول :

نشأ هذا المحور فى سبعينات وثمانينات القرن المنصرم على اثـر تزايد الحملات المعادية لليهود فى الامبراطورية القيصرية ، والتى تخفت تحت ستار الوطنية أو الحرص على الدين ومصالح الكنيسة،بالرغم من أن الدافع الأساسى لها كان غالبا محاولة السلطات القيصرية الاستبدادية الهاء والجماهير المقهورة وشغلهم عما يعانونه من بؤس وتخلف ، بالاضافة الى محاولة الطبقة البرجوازية الروسية التخلص من منافسة التجـــار اليهود لهم ، ولقد وصلت هذه الحملات الى ذروتها مع سلسلة المذابح الموجهة ضد تجمعات اليهود وأحيائهم والمسماه بوجروم .פוגרומים؛ وقد كانت هذه المذابح دافعا رئيسيا لأن يؤسس اليهود العديد ن الجمعيات الصهيونية التى تتبنى قضاياهم وتشجع الهجرة الى فلسطين فرارا من هذا الاضطهاد(*) ، وما أن انتهى ذلك العقد من الزمن حتى تدفق اليهود بكثرة الى فلسطين أملا فى خلاص أو طمعا فى احتلال ؛ وكان هؤلاء المهاجرون يمرون ببلاد المنطقة وهم فى طريقهم الى فلسطين، فمنهم من مر بسوريا ولبنان ، ومنهم من مر بالعراق والأردن ، وكثير منهم من مر بمصر عن عمد ليشاهد — عن قرب — تلك الحضارة التى لا يعرف عنها سوى ما سمعته أذناه أو قرأته عيناه ، فعاش العديد منهم فى مصر فترات محدودة من الزمن ولكنها تركت فى نفسه العديد من الذكريات .

(*) من هذه الجمعيات جمعية بنى موسى التى أســها أحاد هاعام سنة ١٨٨٩ ، وجمعية بيلو التى اسسها بعض الطلاب اليهود من اعضــاء مجة صهيون فى روسيا عام ١٨٨٢ وهى جمعيات كان هدفها الاول تشجيع الهجرة الى فلسطين .

٢ ــ المحور الثاني :

ينطلق هذا المحور من تلك المزيارات التى كان يقوم بها يهود شرق أوروبا الى مصر . حيث كانوا يشكلون أفواجا سياحية ضخمة ، تضم فيما تضم اليهود وغيرهم ، فتأتى هذه الأفواج الى مصر للاستمتاع بشمسها الدافئة ورؤية آثارها القديمة ، وكان ذلك فى أعقاب انتشار العلــوم والمعارف الأثرية فى أوروبا ، وعند عودة هذه الأفواج الى بلادها كان أعضاؤها من الأدباء يكتبون عما خالج شعورهم أثناء الرحلة .

٣ ــ المحور الثالث :

يتأسس هذا المحور على النشاط المالى والتجارى الذى يمتهنه اليهود ويفضلونه على سائر الأعمال الاقتصادية ، والذى يلزم المشتغلين به أن يجوبوا بلاد العالم مجيئا وذهابا بحثا عن الصفقات والأرباح ، فأتى تجارهم الى مصر ، وكانت لهم أدواتهم فى التعبير عما حملوه من ذكريات .

ونتيجة لهذه المحاور الثلاثة فان الصحف اليهودية ــ التى كانت تصدر آنذاك فى شرق أوروبا ــ فاضت بالمقالات والقصائد والقصص والأخبار التى تدور جميعها حول مصر وحضارتها وطبيعتها وأهلها . وقد أولت تلك الصحف لمصر هذا الاهتمام انطلاقا من أمرين ، أولهما تأثرها بتلك المعارف الأثرية،وثانيهما أن هذه الصحف كانت تهتم كثيرا بالتجمعات اليهودية فى بلاد الشرق ، فتتبنى قضاياهم ومشكلاتهم(٤) ، وهو ما أدى الى اهتمامها أيضا بالبلاد التى تعيش فيها هذه التجمعات ، وهــكذا توفرت لتلك الصحف المــادة الخاصة بمصر سواء عن طريق المهاجــرين العابرين أو الزائرين العائدين .

٤ ــ المحور الرابع :

ويرجع الى الفترة التى سبقت الحرب العالمية الأولى ، حيث فر بعض اليهود من القدس الى مصر تجنبا لقوانين الرقابة التركية ، واستطاعوا أن يصدروا فيها العديد من الصحف باللغة العربية مثل المقطم والمقتطف ، وباللغة الفرنسية مثل La Renaissance Juive النهضة اليهودية[٥] ، بل وباللغة العبرية أيضا مثل مجلة הפועל הצעיר العامل الفتى التى كانت تصدر فى أول عهدها فى القدس[٦] • وقد عاش هؤلاء المنفيون أو اللاجئون حياتهم بكل أبعادها ، بل انهم أصدروا صحيفة جديدة تعبر عن طائفتهم تحت عنوان בנכר فى الغربة[٧] ، أشرف على تحريرها يوسف أهارونوفيتس יוסף אהרונוביץ[٨] وزوجته دبورا بارون דבורה בארון[٩] •
وبعد احتلال بريطانيا لفلسطين وأثناء الحكم العسكرى ، وبسبب الرقابة العسكرية البريطانية ، طبعت فى القاهرة ــ ولمدة عامين ــ صحيفة חדשות מארץ הקדושה أنباء من الأرض المقدسة ، وملحقها الأدبى שי של ספרות هدية الأدب[١٠] ولا شك أن النهضة الصحيفية التى صاحبت هؤلاء اللاجئين أدت الى نوع من الازدهار الفكرى والأدبى بينهم ، كما تبوأت مصر ــ باعتبارها المكان الذى تصدر فيه الصحف ــ مكانا كبيرا وملائما فيها •

ثم اندلعت نيران الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ ــ ١٩١٨ فجلس على عرش مصر السلطان حسين كامل • فتدفق آلاف اليهود الى مصر قادمين من الشرق والغرب ، وبخاصة من سوريا وفلسطين ، فآوتهم مصر ووضعت حكومتها العديد من الامكانيات تحت تصرفهم[١١] • وكان لذلك كله أثر كبير فى أن يكونوا فكره شاملة عن مصر شعبا وحكومة •

٥ ـــ المحور الخامس :

نشأ هذا المحور ابان الحرب العالمية الثانية التى أتاحت فرصة كبيرة أمام اليهود لزيارة مصر ، فقد كانت البلاد تعج بالعديد من اليهود المتطوعين فى جيوش الحلفاء والذين تلقتهم الطائفة الاسرائيلية فى مصر بالترحاب . فأقاموا فى مصر فترة من الزمن تجولوا خلالها فى العـديد من مدنها وقراها ، وانخرطوا مع أهلها ، وعايشوا طبيعتها ، وشاهدوا آثارها وحضارتها ، وحين حطت الحرب أوزارها وخلا كل منهم الى نفسه بدأ العديد منهم بكتب ما ادخرته ذاكرته عن مصر .

٦ ـــ المحور السادس :

وهو يرجع الى ما بعد توقيع اتفاق السلام المصرى الاسرائيلى ، حيث تدفقت الرحلات الاسرائيلية الى مصر كنشاط سياحى أو تجارى أو سياسى أو صحفى . وهى زيارات لم تستطع ـــ فى مجملها وحتى الآن ـــ أن تمحو ما علق بأذهان بنى اسرائيل عبر التاريخ ـــ من صفات سلبية لمصر ..

وعلى أية حال فقد كانت مصر ملهمة لكل من قام بزيارتها من أدباء العبرية ، فكتب عنها ما كتب ، ايجابا أو سلبا ، تقريزا أو تجريحا ، وفقا لطاقاته الشعورية التى يبثها فى موضوعه الأدبى ، وطبقا للقيمة الفنيـة التى يضمنها تعبيره ، ولذا فان وصف مصر ـــ عند هؤلاء ـــ شكل أحـد العناصر الرئيسية والمركبات الأساسية فى أدب العبرية ابان تلك الفترة(١٢) التى عاود بنو اسرائيل فيها اتصالهم بمصر سواء بمحض ارادتهـم أو رغما عنها ..

واذا أتينا الى صفات مصر التى ذكرها هؤلاء الكتاب نجد أنهـا انقسمت بين السلبية والايجابية . وهذا أمر طبيعى اذا ما أدركنـا

العلاقة الوطيدة بين الحالة النفسية للأديب وبين صورة وتشبيهاته : فليس من الطبيعى أن يصور الأديب مكانا ذهب اليه عنوة وقسرا بأنه جنة الله فى الأرض ، حتى ولو كان المكان ذاته كذلك : لأن الارتباط النفسى للأديب بهذا المكان هو ارتباط سلبى ، ولذا تخرج الصفات والصور سلبية بدورها ، فيتجه الأديب العبرى — من هذا النوع — الى استقاء الرمز من الصفات التوراتيه ، أو بمعنى آخر استلهام الصور التى وردت مصر عيها فى كتاب العهد القديم وتضمينها مقطوعته الأدبية، ويزداد الأمر سلبية واجحافا اذا لم يكن ذلك الأديب ملما باللغة العربية ، فهنا يتضاعف لديه شعوره بالغربة والوحدة وقسوة الحياة ومعاناتها ، وينطلق فكره هنا وهناك منقبا عن أكثر الصفات سلبية ليصور بها مصر .

وعلى العكس من ذلك فان الأديب الذى قدم الى مصر عن طيب خاطر — سائحا أو تاجرا أو غير ذلك من الأمور — وتنفس هواءها ، واستمتع بدفئها : وشاهد حضارتها ، واختلط بأهلها وأدرك حب شعبها اكرام الضيف وميله نحو مساندة الضعيف ، ولمس بنفسه تعايش الأديان وسماحتها . واطلع على تاريخها بعمقه وثقافتها بعراقتها ، هذا الأديب سيصور مصر تصويرا ايجابيا حقيقيا ينطوى على معايير تخالف ما ورد من صفات سلبية فى كتاب العهد القديم ، ويزداد الأمر ايجابية ومصداقية اذا كان الأديب على دراية باللغة العربية واستطاع الاتصال مباشرة بأفراد الشعب واطلع بنفسه على ثقافتهم وتقاليدهم ، هنا ينأى بنفسه تماما عن الرمزية السلبية التى احتضنها أدباء الوصف التوراتى ، وينخرط فى خضم الصفات الايجابية الحقيقية ، بل يمكنه آنذاك أن يصف مصر بأنها جنة الله فى أرضه(١٣) . وفرق كبير بين من وضع عصابة على عينيه فرأى الدنيا ظلاما حالكا ، وبين من ترك عينيه حرة فرأى الدنيا نورا بهيا . ولنقتطف اللباب من أقوال احدى أديباتهم عن مصر حيث تقول : « هناك احساس يحس به كل من يأتى الى مصر غريبا ، وخاصة فى أوقات السلم ، هذا الاحساس هو أن يظل هذا الفرد متمسكا ومتشبثا بهذه الأرض ، محبا لها ولخيرها ولبشاشة وجهها وخاصة اذا

ما أبعد عن ذهنه أنها أرض المنفى أو بيت العبيد أو العدو التاريخى ؛ هنا سيصفها بايجابية ؛ بل وربما بحماس بأنها جنة عدن »[١٤] •

وهكذا تخذت مصر فى نظر زائريها صورتين ؛ صورة سلبية رمزية؛ وأخرى واقعية حقيقية ، وتضاربت كل منهما مع الأخرى طبقا لتضارب الحالة النفسية عند كل أديب ، وعلى سبيل المثال يوسف حاييم برنر יוסף חיים ברנר [١٥] ودبورا بارون طردا الى مصر فاختلطت لديهما الصور الرمزية بالصور الواقعية وباتت مصر لديهما « توارثية » الصفات . وفى مقابلهما نجد استير راب אסתר ראב [١٦] تصف مصر بايجابية شديدة ، بل وأنها « جنة عدن » وذلك لأنها عاشت فى مصر حياة طيبة كريمة فى ظروف عادية تتسم بالأمن والاستقرار ، واختفت الرمزية وسلبيتها من انتاجها الأدبى تماما • وسوف نرى ذلك كله من خلال مناقشة بعض الأعمال الأدبية •

قصة עצבים أحزان للكاتب يوسف حاييم برنر :

كتب برنر هذه القصة عام ١٩٠٩ ، ليروى فيها قصة هجرته الى فلسطين ، ولكنها لم تتوقف عند ذلك الهدف ، بل خرجت على نحو يحكى قصة الهجرة اليهودية فى عمومها الى فلسطين ، وما ترتبط به من رحلات شاقة وما لاقته الجماعات المهاجرة من صعاب وأزمات • ولذلك فان هذه القصة تجمع بين الانطباع الشخصى لدى كاتبها والانطباع العام لدى قومه ؛ فهى حلقة فى سلسلة طويلة تسيطر عليها الأحوال العامة التى مر بها اليهود آنذاك •

أما الأحداث الواردة فى القصة فليس من الضرورى أن تكون أحداثا واقعية حقيقية ؛ مر بها الكاتب ذاته ، ولكنها يمكن أن تكون أحداثا

وقعت ليهود آخرين أيضا . ثم استقاها الكاتب كنماذج معينه ليوضح — من خلالها — ما كان يحدث لليهود أثناء هجرتهم • وهو حين يذكر هذه النماذج فانما يذكرها فى اطار الصراع بين الخير والشر : وهو أسلوب تتميز به قصص برنر بشكل عام[١٧] ؛ ولا شك أنه جعل عنصر الخير متمثلا فى الجماعات اليهودية المهاجرة ؛ كما جعل الشر متمثلا فى الآخرين •

وفى القصة يظهر برنر فى مدينتى الاسكندرية وبور سعيد اللتين كانتا آنذاك محطتين رئيسيتين يمر بهما العديد من المهاجرين الى فلسطين[١٨] • ويروى الكاتب ما حدث له ولأسرته فى كل مدينة منهما ، ففى الاسكندرية تجلى الشر متمثلا فى اثنين من اليهود أحدهما أعرج : ويرتدى الثانى قبعه : جاءا الى ميناء الاسكندرية ليساعدا المهاجرين اليهود الذين يكتنفهم الارتباك والحيرة فى هذا البلد الغريب ، والذين بدا عليهم الاعياء بعد أن بذلوا مجهودات شاقة وتعرضوا للعديد من العثرات الصعبة فى ألمانيا قبل أن يستقلوا السفينة مبحرين الى الاسكندرية • ويروى الكاتب أن هذين اليهوديين تظاهرا بمساعدتهم وتذليل عقبات الخروج من الميناء أمامهم . ولكنهما — فى حقيقة الأمر — كانا يخططان لخداعهم وسرقتهم .. حيث تسلما من المهاجرين العملات الألمانية بغية تغييرها الى عملات مصرية . فسلبا منها جزءا كبيرا ووضعاه فى جيوبهما ، وأعادا للمهاجرين جزءا بسيطا ؛ كل ذلك وهما يتشدقان باسم الصهيونية وخدمة مصالح اليهودية ، ويرفعان لواء العدالة ويتباهيان بأنهما يهوديان •

وعملية الخداع هنا عملية حقيقية وليست رمزية ، ذلك أن الخداع الرمزى — فى الأدب العبرى — يكون دائما من الشعوب الأخرى — وفى مقدمتهم العرب — لليهود ، وليس من اليهود للشعوب الأخرى ، أو من اليهود لليهود وهو ما حدث فى القصة • فالخداع هنا خداع من يهودى ليهودى ، وهو مالم يتناوله الأدب العبرى — حتى عصر برنر — الا لماما، وهى فكرة من الأفكار التى تدور فى فلك « شعب الله المختار » •

ولما كانت الاسكندرية – فى نظر الكاتب – هى المسرح الذى تمثل فيه الشر دون وخز من ضمير . فان صورتها فى القصة تتسم بالسلبية والاجحاف . وينسحب عليها ما انسحب على اليهودى المخادع ، وينبع ذلك من خلال التوافق بين الانسان والمكان ؛ فحين تظهر فى قصص برنر – شخصية شريرة فان المكان الذى تعيش فيه هذه الشخصية يظهر بدوره شريرا وسيئا وقبيحا . والعكس اذا ما ظهرت شخصية طيبة خيرة فان المكان الذى تعيش فيه يكون بدوره جميلا رائعا . وقد ظهرت هاتان الحالتان فى كل من الاسكندرية وبور سعيد ؛ فاللقاء الأول بين المهاجرين ومصر يتسم بالسلبية حيث يقول برنر :

לאלכסנדריה באנו כעלות הבוקר. בחוף התנפלו עלינו ערביאים, במכנסים דומים לשמלת אשה, בהפצרותיהם המאיימות להיות לנו לעזר. אבל מה אני מספר לך? הלא גם אתה נסעת כמוני ויודע אתה את המנהגים. בקיצור, בעוד שאנו עומדים מבולבלים ואיננו יודעים מה לעשות במקום החדש, הקולני, הפראי, ניגש אלינו יהודי חיגר אחד והתרה בנו, לבלי תת חפצינו לערביאים, משום שאחר־כך ידרשו אלה ממנו בעד הנשיאה יותר משוים של כל החפצים. מיד נמלאתי אני, אבי המשפחה, חיבה וקורבה להאח הזה, והחיגר לקח ערבי עם עגלה, פקד לערבי לשים על עגלתו את כל חפצינו ולהובילנו לבית־הנתיבות. חוצות אלכסנדריה המזוהמים, ככל חוצות ארץ־הקדם. (١٩)

« قدمنا الى الاسكندرية مع اشراقة الصباح ، وعلى الشاطىء انقض علينا عرب يرتدون سراويل تشبه فساتين السيدات ، وناشدونا – بالترغيب والترهيب – أن يكونوا لنا معاونين ، ولكن ماذا أقول لك ؟ فلقد سافرت بدورك مثلى وتعرف تلك السلوكيات . باختصار بينما كنا نقف مرتبكين لا نعرف ماذا نفعل فى هذا المكان الجديد المفعم بالضجيج والمتسم بالوحشية ، تقدم نحونا يهودى أعرج وحذرنا من أن نعطى أمتعتنا للعرب . لأنهم سيطالبوننا – بعد ذلك – بأجر أكثر مما تساويه الأمتعة كلها ...... وعلى الفور امتلأ قلبى – أنا رب الأسرة – حبا واقترابا من هذا الشقيق واصطحب الأعرج عربيا مع عربته ، ثم أمر

العربى أن يضع فوق عربته أمتعتنا وأن ينقلنا الى محطة السكك الحديدية • كانت شوارع الاسكندرية قذرة كسائر شوارع منطقة الشرق » •

فالاسكندريه — فى نظرة — تتسم بالوحشية والصخب والضوضاء ، كما أن شوارعها قذرة ملوثة ، أما أهلها من العرب فهم مستغلون يملأ قلوبهم الجشع ويطالبون بما لا يستحقون ، وهكذا تتضح — من خلال هذه الصفات السلبية — الرابطة القوية بين الشخصية والمكان فى قصص برنر •

واذا كان الشر قد ظهر على مسرح الاسكندرية على يد يهودى ، فان الخير قد ظهر بدوره فى بور سعيد على يد يهودى أيضا ، فحين وصل المهاجرون الى بور سعيد ، التقى بهم يهودى من أهل المدينة ، فتقاضى منهم أجرا زهيدا مقابل نقلهم وأمتعتهم الى الباخرة التى ستبحر الى يافا ، فلم يكن مستغلا أومخادعا ، بل ظل حريصا على تذليل كل عقبة تواجههم حتى أبحروا الى فلسطين ، ولذا وصفه برنر بأنه «ملاك»و«أسطورة» •

وانطلاقا من الارتباط بين الشخصية والمكان حظيت بور سعيد — فى القصة — بالصور الايجابية حيث يقول برنر :

המים היו צלולים, בלי גלים, השמש האירה, ונעימה היתה הנסיעה בסירה. (٢٠)

« كانت المياه نقية شفافة ، خالية من الأمواج ، كما كانت الشمس ساطعة ، وكانت الرحلة فوق السفينة جميلة وممتعة » •

أما صورة العربى فى المدينتين فلم تتغير ، حيث أخذت طابعا سلبيا سيئا ، فبالرغم من أن المهاجرين لم يتعاملوا معهم أثناء رحلاتهم ، الا أن الكاتب وصفهم بالجشع والاستغلال • ولو كان الكاتب قد اقتصر على وصف عرب الاسكندرية بهذه الصفات السلبية لأرجعنا ذلك الى الرابطة القوية بين المكان والشخصية كما سبق ، ولكنه وصف عرب بور سعيد بنفس الصفات بالرغم من أن بور سعيد هى المسرح الذى ظهر عليه عنصر الخير فى القصة : فالعرب سيئون حتى ولو اتسم المكان نفسه بالخير

والجمال ، وبهذا اخرج برنر العرب من دائرة الارتباط بين الشخصية والمكان وذكرهم باسوأ الصفات حتى انه قال فى عرب بور سعيد :

מובילנו לא סר מעלינו. כל הדרך רב עם הערביאים בעלי־הסירות, שהאשימוהו בלקיחת שוחד מאתנו. הוא מצדו האשימם, כי אין אלוהים בלבבם. (٢١)

« لم يفارقنا مرشدنا، كان الطريق مليئا بالعرب أصحاب الذوارق الذين اتهموه بتقاضى الرشوة منا ، ومن ناحية أخرى اتهمهم هو أيضا أنهم لا يعرفون الله » ثم يقول فى مكان آخر :

הערבים פושטים את העור מעל העצמות. בעד הנפשות והחפצים ידרשו בוודאי שלושה פרנקים ואולי ארבעה (٢٢)

« ان العرب يسلخون الجلد من فوق العظام ، وبالتأكيد سيطلبون ثلاثة فرنكات أو أربعة مقابل نقل الأشخاص والامتعة •

ولم تسلم القاهرة من سلبية الصفات التى خلع الكاتب بعضـا منها عليها فقال :

בקאהירה, בשעת העברה ממסע למסע ע״י עליות ותחתיות ארוכות ומשונות לאין סוף, כשמשני עבריך נתלים עליך הסבלים לשרתך ולשאת לך את משאך, ואתה מתנער מהם כמו מזבובים וצועק בלי הפוגות ובגרון ניחר: „לא, לא, לא!״— עלתה שוב מתחת הקרקע אותה הבריה! : (٢٣)

« فى القاهرة أثناء الانتقال من سفر الى سفر ، ومن خلال مرتفعات شاهقة ومنخفضات عميقة ليست لها نهاية ، يتعلق بك الحمالون ليخدموك ويحملوا عنك حملك ، ولكنك تنتفض بعيدا عنهم كما لو كانوا ذبابا وتصرخ دون توقف وبصوت أبح لا لا لا : فى هذا الوقت ظهر ذلك المخلوق مرة ثانية من تحت الأرض ! » •

وعلى أية حال فان نصيب مصر من الصفات السلبية فى القصة أكبر من نصيبها من الصفات الايجابية،على اعتبار أن الكاتب لم يأت اليها طائعا مختارا يبغى سياحة مثلا أو تجارة ، فسطور معدودة من قصة حياته تشير الى أنه فر من روسيا خشية أن يجند فى الجيش . وأنه ذهب الى لندن ، الا أن السلطات الروسية استطاعت أن تضيق عليه الخناق هناك أيضا ، فحاصره الفقر والضيق ، فاضطر الى الهجرة الى فلسطين مرورا بألمانيا – التى واجهته فيها الكثير من الصعاب – حتى وصل الى مصر . فالحالة النفسية للكاتب لم تكن مهيأة آنذاك للتعبير عن الجمال – اذا ما لاقت جمالا – بل ربما يمكنها أن تنظر الى ذلك الجمال بمنظار سلبى أسود ، فما بالنا لو قدر لها أن تلتقى بالشر والآلام؟ لا شك أنها ستنظر الى ذلك بمنظار أكثر سلبية واكتئابا ..

بيد أننا نأخذ على الكاتب أنه ربط بين المكان وبين كل الخير والشر ، ذلك أن الأمر يتعلق بالانسان وسلوكياته بصرف النظر عن البقعة التى يعيش فيها ، فرب بقعة طيبة يخرج من بين أهلها شخص منحرف ، ورب بقعة قبيحة يخرج من بين أهلها شخص خير وعادل . فنزعتا الخير والشر تتعلقان بالانسان وليس الأرض ، بل أن العلماء والفلاسفة كادوا أن يجمعوا على ضرورة أن يعيش المتناقضان فى آن واحد ومكان واحد حتى تستمر تعادلية الحياة وتوازنها ، ولذا فمن الطبيعى أن يحتوى المكان على عنصرى الخير والشر فى آن واحد ولا يمكن لأحدهما أن يعيش منفردا فمصر فى القصة مكان للمتناقضين (الخير والشر) على اعتبار ن من قاما بالخير والشر هما من أبناء الاسكندرية وبور سعيد ، ولكن هل هناك أرض تعيش فى خير مطلق أو شر مطلق ؟ فنفيض عليها بمعسول الصفات أو نهبط بها الى الدرك الأسفل ؟ لا نعتقد ذلك ، فكيف يتأتى لنا أن نطلق حكما عاما بالخير والجمال على مكان لمجرد أن يظهر فيه انسان خير وصالح ، أو بالشر والفساد لمجرد أن يظهر فيه انسان شرير ؟ ألا يمكن لهذا المكان أن يحتمل وجود الاثنين معا ؟ !!

ولم يقتصر تناول برنر لمصر عند هذه القصة فقط ، بل تحدث عنها فى فصل قصير من كتاب للرحلات تحت عنوان | ממצרים

من مصر نشر عام ١٩١٥ . بيد أنه يقلل — فى هذه القصة — من اطلاق الصفات السلبية على مصر والمصريين . بل انه يصور عالمية المدن المصرية الرئيسية . كما يتحدث عن تعايش مختلف الجنسيات فى هذه المدن فى أمن وسلام . وأنهم يحافظون على عاداتهم وتقاليدهم . ويتحدثون بلغة أوطانهم دونما ضغط من أهل البلاد عليهم . وأن الهدف من مقدم هؤلاء الناس الى مصر هو الارتزاق والثراء ثم العودة مرة أخرى الى بلادهم ؛ وقليل منهم من يقيم فى مصر بصفة دائمة فيفسح المصريون لهم الصدور، ثم يقول برنر :

'לא, אלה אינם הבעלים האמיתיים של מצרים!
אלה לא יקימוה ולא יבנוה לעתיד לבוא!

(٢٤)

« لا ليس أولئك هم أصحاب مصر الحقيقيون ، أولئك لن يعمروها أو يبنوها فى المستقبل » أما أصحاب مصر فى رأيه فهم :

'אנשים גבוהי-קומה, בעלי צווארים חזקים, הררי-
-שרירים על השכם. פנים שזופים ביותר ועינים
גדולות פקוחות לרווחה ומפיקות בהירות ונדיבות.
באדרות רחבות, כהות וכחולות, ממעל לחלוקים
ארוכים ומתנוצצים בשלל צבעים, שאזורים רחבים
הדקו אותם במתנים, התהלכו האנשים האלה, חשובים
וגאים, והתרבושים עם המטפחות פרצופיהם דומים
לפסלים אשר במוזיאון של קהיר. הלבנות, החבושים
בראשיהם הזקופים כולם אמרו מלכות!'

(٢٥)

« أناس طويلو الهامه ، ذوو أعناق قوية ، على كاهلهم جبال من الآثار ، وجوهم سمراء للغاية ، عيونهم واسعة مفتوحة عن آخرها ويشع منها النور والسخاء والكرم ؛ ترتدى نساؤهم عباءات واسعة ،

سوداء وزرقاء فوق ثياب طويلة تتلألأ فى العديد من الألوان ، وتصل ضفائرهن حتى خصورهن ، ويسير هؤلاء الناس فخورين متباهين بأنفسهم، يضعون فوق رؤوسهم الطرابيش والشيلان البيضاء . وتعبر أغطية رؤوسهم الشامخة عن الأبهة والفخامة ، وقسمات وجوههم تشبه تلك التماثيل الموضوعه فى متحف القاهرة » .

فالكاتب فى هذا الفصل يصف المصريين بأنهم محبون لوطنهم ، محافظون على عرفهم وتقاليدهم ، شامخة هاماتهم ، يكرمون وفادة من يلوذ بأرضهم حتى أنهم احتضنوا العديد من الجنسيات لتعيش بينهم ، وهى صورة تختلف عما ذكره عنهم فى قصته الأولى ، وربما يكون السبب فى ذلك أنه كتب هذا الفصل بعدما كتب القصة اولى بما يقرب من ست سنوات ، كان قد استراح خلالها من أعباء السفر وعناء الترحال فكتب بنفس هادئة وديعة ، فخرج الفصل على ما هو عليه ، مما يؤكد أن الحالة النفسية لها أثر كبير فى الوصف والتصوير ، فالقيم الشعورية والقيم التعبيرية كلتاهما وحدة لا انفصام لها فى العمل الأدبى ،وليست الصورة التعبيرية الا ثمرة للانفعال بالتجربة الشعورية ، وليست القيمة الشعورية الا ما استطاعت الألفاظ أن تصوره ، وأن تنقله الى مشاعر الآخرين . فلكل عالم طابعه وسماته ، ولكن تختلف آفاق هذا العالم سعة وضيقا وارتفاعا وانخفاضا وفقا لشعور الأديب وأدواته التعبيرية .

أما دبورا بارون(٣٦) فقد طردها الأتراك الى مصر ، كما طردوا معها زوجها يوسف أهارونوفيتس | יוסף אהרונוביץ (٣٧) وابنتها تسافونا צפונה ، وكان ذلك ابان الحرب العالمية الأولى ، فجاءوا الى مصر محملين بالكثير من الآلام النفسية التى عبروا عنها فى كتاباتهم ومكاتباتهم التى أرسلوها الى أصدقائهم(٢٨) ، والتى تظهر مصر فيها « كمنفى » ، ولكنه « منفى » جميل ينطوى على وسائل الأمن والطمأنينة .

فقد كتبت دبورا بارون قصة بعنوان הגולים المنفيون :
تناولت فيها فترة وجودها في مصر وخاصة في الاسكندرية في الفترة من ١٩١٥ وحتى ١٩١٩ ، وقد صورت مصر في قصتها تلك على أنها « منفى جميل » تتوفر فيه كل أسباب الراحة والرفاهية والأمن والسلام ، ولكنها برغم كل ذلك « منفى » لها ، لأنها لم تأت اليها طائعة مختارة لتستمتع بها وبجمالها وطقسها وحضاراتها ، انما جاءت من فلسطين طريدة ، فلم تكن حالتها النفسية معدة كي تستمتع بما ترى أو تشعر به • ورغم كل ذلك فان قصة « المنفيون » تعتبر أكثر قصص دبورا بارون تعبيراً عن السعادة ورسما للابتسامة ، فاذا كانت الموضوعات التى تناولتها دبورا بارون في قصصها يغلب عليها الحزن والمأساه والمصادفات المفجعة ، الا أن الابتسامة عادت الى وجهها — بعد فترة طويلة من الأحزان — في قصة « المنفيون »[٢٩] ، ذلك أن الجو الصامم الذى كتبت فيه هــذه القصة يختلف تماما عن الجو الذى كانت تعيش فيه قبل ذلك ، والذى كتبت فيه سائر قصصها الأخرى[٣٠] •

ولا شك أن ادخال دبورا بارون الطبيعة الى عالمها القصصى مكنها من صقل شخصياتها وتبيان أنفسهم ، فتغيرات الطبيعة هي التى تكون مزاج الشخصيات ، وليس هناك من ينكر بأن هناك مشاركة داخليــة ونفسية قائمة بين الانسان والطبيعة •

ولو قرانا القصة مليا لأدركنا أن أحداثها قد وقعت في الحــرب العالمية الأولى ، وهى الحرب التى أصابت مراكز اليهود في شرق أوروبا بصورة شديدة[٣١] ، والتى اضطر اليهود ازاءها الى البحث عن ملاذ يأويهم وملجأ يكفيهم مئونة الخوف والذعر الذى سيطر آنذاك على وجدانهم ؛ وكانت مصر أحد الحصون التى أوى اليها هؤلاء اليهود من سائر البلاد . ولذا نجد أن دبورا بارون قد التقت في الاســكندرية بالعديد من اليهود من مختلف الجنسيات ، جاءوا الى مصر فرارا من أهوال الحروب ، ولذا صورت مصر في القصة بأنها « حصن حين ندرت الحصــون » •

ولقد تناولت دبورا بارون مصر ومدنها وحضارتها وتقاليدها واكرام شعبها للضيف . فمصر ملاذ لكل مضطهد أو مظلوم ، مصر هي بيت الأيتام ، ومأوى من لا مأوى له ؛ فموريس ليفتي ــ تاجر القطن ــ رجل مصري استقبلهم مرحبا حين وفدوا الى مصر هــربا من الضغط والاضطهاد ، وحين طلبوا منه أن يكون مرشدا لهم في الاقامة والتجوال داخل مصر ومدنها لم يتردد أو يرفض بالرغم من أعماله التجارية الكثيرة التي تستهلك معظم أوقاته ولذا قالت عنه دبورا :

אדיב היה, כמו בבית-המלון אז, וסבר פניו טוב, כשהגיעו לקהיר, ובקשוהו שיהי להם למורה דרך, והוא איש כבד עסקים. נענה להם וגם בא אליהם בערב למקום אכסונם.

(٣٢)

كان لطيفا كما كان فى الفندق . بشوش الوجه ، حين وصلوا الى القاهرة وطلبوا منه أن يكون مرشدا لهم ــ وهو ذو نشاطات واسعة ــ لبى لهم مطلبهم وجاء اليهم في المساء فى مكان اقامتهم » .

فشخصية الانسان المصرى فى قصة « المنفيون » لدبورا بارون تختلف كثيرا عما هى عليه فى قصة « أحزان » ليوسف حاييم برنر ، فهى عند دبورا طيبة ، وديعة ، متسامحة ، مسالمة ، كريمة ، محبة لوطنها مرتبطة بأرضها ارتباطا شديدا .

وفى محور حديثها عن معالم مصر وصور الطبيعة فيها تقول :

הוא העבירם דרך חוצות אישמעאליה עתירת־הירק, הביאם לגן־הסלאים אשר באיזבקיה ושתה אתם קהוה בביתן עתיק אחד, אשר צלמי אידרים עם בני־הסליה שלו הציצו מתוך קירותיו וקבוצה של חנוטים עמדה עמידת דום על פתחו. ואחרי־כן – בחשכת הלילה, בין שורות של גנים רוויי־מסתורין, הפליגו יחד ברכיבה לאדבת החולות של גיזה. הביאה אותם להיוטפוליס עתיקת־הימים ולהלואן יפת־הנוף, הסתובבה אתם במשך שעה ארוכה בתוך המבוך של שוקי המושקי, הישן והחדש, וזוחר עלו עוד לרמס הציטדל, ראו סה את שעונו של לואי פיליס, ואת מקדשו של מחמד עלי, והציצו מגבהי מרומיו של זה אל העיר עם כל יער המגדלות, ועמק היאור והמדבר המצהיב הרחק שם, מאחרית – ומסנוורים מן הזוהר הרב, מתוך סחרחורת קלה, ירדו לתוך

(٣٣)

لقد تجول بهم فى شوارع الاسماعيلية الغنية بالخضرة ، ثم جاء بهم الى حديقة العجائب فى الأزبكية ، ثم احتسوا القهوة عند كشك قديم تظهر على حوائطه صور أوزوريس وأبناء أسرته ، بينما وضعت مجموعة من المومياوات الصامتة عند مدخل الكشك ، وبعد ذلك وحين أرخى الليل أستاره ، أقلعوا جميعا فوق ظهر مطية ذاهبين عبر صفوف من الحدائق الغنية بالأسرار الى الأرض الرملية فى الجيزة .... ثم أتى بهم الى هليوبولس الضاربة فى أعماق التاريخ ، والى حلوان بطبيعتها البهيجة ، ثم تجول معهم وقتا طويلا داخل أزقة أسواق الموسكى ، القديم منها والجديد ، ثم صعدوا بعد ذلك الى هضبة القلعة ، وهنا رأوا ساعة فيليب ، ومسجد محمد على الذى تطل مآذنه من عليائها ومعها مجموعة هائلة من المآذن الأخرى — تطل جميعها على المدينة وعلى وادى النيل والصحراء الصفراء التى تلوح من بعيد ، ثم هبطوا بعد ذلك الى الظلمات . الى عمق الأعماق فى بئر يوسف » .

فهى تذكر جمال الاسماعيلية التى تكسوها الخضرة ، وكذا القاهرة بحدائقها الغناء وطبيعتها الرائعة فى حلوان ، وآثارها التى تعبر عن ماض مجيد شهدت له الدنيا ، سواء الآثار الفرعونية المتمثلة فى المومياوات أو تمثال أوزوريس أو فى الآثار الاسلامية المتمثلة فى قلعة محمد على وما يعلوها ويحيط بها من مآذن تنظر فى شموخ الى الوادى الخصيب فى أسفلها ..

والاسكندرية نفسها توصف بأنها « نور فاتن »[٣٤] وأنها مدينة « بشوشة الوجه »[٣٥] أمام المنفيين ، دمثة الخلق عند مقدم الضيوف[٣٦] وأنها « المنفى المريح »[٣٧] و « رصعت حدائقها بالأصداف التى أخذت شكل الضفائر والأزهار ومياهها تبرق تحت الشمس »[٣٨] .

وقد أشارت القصة الى تعايش مختلف الأديان والجنسيات فى الأسكندرية فى جو من السلام والأمان ، فهناك أسرة ألمانية تعرفت عليها بطلة القصة[٣٩] ، وصاحب البيت الذى تقيم فيه يونانى الجنسية[٤٠] ،

والطبيب الذى يتولى علاجه ايطالى[٤١] . والطبيب المرافق له فرنسى وغير ذلك من الجنسيات والطوائف التى وفدت الى الاسكندرية بحثا عن الأمن والثراء والاستقرار وهو ما عبر الجو العام للقصة عنه ..

ولو نظرنا الى القصة نظره عامة لأدركنا أن الكاتبة تؤكد على تعادلية الحياة . وهو ما زخرت به كتاباتها . فالاضطهاد ففى منطقة يقابله ويتعادل معه الأمن والسلام فى منطقة أخرى (شرق أوروبا ومصر). حتى فى الوصف والتصوير نجدها تلتزم بذلك المبدأ . فحلوان التى يلفها الاخضرار يقابلها ويتعادل معها هضبة الأهرام ورمالها الصفراء ، ومآذن القلعة تطل من عليائها على واد سحيق فيه بئر يوسف ، والأهرام تطل فى شموخ من فوق هضبتها على المروج المنتشرة أسفلها ، الى غير ذلك من الصور التى تبرز ايمان الكاتبة بالتعادلية بين المتناقضات .

وكاتبة أخرى هى استير راب אסתר ראב ،
تعتبر الشاعرة الاسرائيلية الأولى من يهود الصابرا(*)، [٤٢] حيث ولدت فى بتاح تكفا عام ١٨٩٩ . وعاشت فى القاهرة خمس سنوات من

١٩٢٠ حتى ١٩٢٥ مع زوجها التاجر اسحق جارين יצחק גרין

سجلت قصة وجودها فى مصر شعرا ونثرا ، أما الشعر فقد كان خلوا من كل عنوان ، ولكنه يدور حول الطبيعة الجميلة التى تتسم بها ضاحية حلوان ، حيث كانت آنذاك قبلة لمن أراد استمتاعا بالطبيعة أو تأملا فى قدرة الخالق ، ناهيك عن أن استير راب صنفت فى الأدب العبرى على أنها من شعراء الطبيعة والوصف[٤٣] ، حيث أفاضت فى وصفها بشكل عام ، وانبهرت كثيرا بطبيعة بلاد الشرق وخاصة مصر وفلسطين ، ولذا جعلتها ركنا أساسيا لا غنى عنه فى أشعارها العاطفية القصيرة ، بل جعلت تلك

(*) الصابرا ـ الكلمة العبرية شاب يهودى من مواليد فلسطين ..

الطبيعة الخلابة رمزا للحب والتهاب العاطفة ، فهي تتغنى بالطبيعة المصرية في احدى قصائدها قائلة :

נוף התמרים
דבקו בו הציפים
לאט בין גזעים —
עמודי־הוד —
הם מתכדרים.

כענקי פרחים
עלי גבעולים דקים,
צפות מעל הצמרות
כרי־דשא, ציורי־הזיה
תוך האורות אובדים —
נוף החלום לתועי־מדבר,
יאור שב כבד־זרוע,
כפלדה יצוקה,
בין התמרים

ילחך שטח, שטח:
וממעל רקיע,
כעין קלאופטרה,
ירוק־כהה עם בוא הערב

(٤٤)

يالجمال النخيل
حين يتعلق به السعف
أو حين يتناثر في هوادة
عند الجذوع الثابتة في شموخ
كورود عملاقه
تقف على سوق رقيقة
وتطل من العلياء الفيافي
ومروج تظهر كأنها أحلام
تضيع وسط الأنوار

كالحلم بمنظر طبيعة عند تائهى الصحراء
ويمر النيل بين النخيل ، كنسيج مزروع
أو كفولاذ مسبوك
فيبدأ الأرض شيئا فشيئا
ومن فوقه سماء
كعين كليوباتره
ويصبح لونه أخضر قاتما عند المساء

فالشاعرة تطل علينا بصورة فنية كلية يشكل النخيل عمادا رئيسيا فيها ، فتشبه « السعف » بالزهور و « الفيافى » بالأحلام ، و « النيل » بالنسيج أو الفولاذ المسبوك ، وتربط بين هذا كله وبين ذكريات تاريخية مثل « التائهين فى الصحراء » ، وكليوباتره .

وأما القصتان فهما ריבת שושנים مربى الورد תחת האקליפטוס בחלואן تحت شجرة الكافور فى حلوان . واذا ما قرأناهما أدركنا أن الكاتبة اهتمت فيهما بوصف الطبيعة وبهائها أكثر من اهتمامها بالأركان الأساسية للقصة من أحداث وشخوص وحبكة أو غير ذلك ، وكأنها كتبت هاتين القصتين لتصف جمال الطبيعة المصرية فقط ، ففى قصة « مربى الورد » شغل وصف الطبيعة أكثر من ثلثيها ، حيث تثنى فى مقدمتها على الطبيعة المصرية قائلة :

יוני־הבר הומיות כתוך עצי־הפילפל המסורבלים. השמש עולה ומזהיבה את הגגות השטוחים; דקלים חותכים שמיים בעמודי־גזעיהם. הגינות שלפני הבתים מריקות את שארית ריחות־הלילה טרם יגבר היום. היסמין — לח עדיין. מטעם פוקח שפע עיניים על פני הגדרות; צל טחוב עוד מסתתר בין סבכי ורדי־הבר ועצי המנגו.

(٤٥)

يرسل الحمام هديره وسط أشجار الفلفل المتشابكة ، وتشرق الشمس فتجعل البساتين المنبسطة ذهبية اللون • ويعانق النخيل السماء بجذوعه الثابتة • وتفوح الحدائق المنبسطة أمام المنازل بشذاها ليلا وقبل أن يبزغ النهار • ولم يزل الياسمين ناضرا ، يتسلق على وجه الحائط فاتحا عينيه الواسعتين ، وفيء ندى يتخفى بين سيقان الزهور البرية وأشجار المانجو » •••

ثم تصف منظر النيل وهو يخترق الصحراء بينما مجموعات من الصيادين تنهل من خيره فتقول :

שמי־המידבר, שקופים ורחבים לאין־קץ,

במסילה העולה מן הנילוס, על פני סדין החול הצהוב של המידבר,
זוחלת שיירה של אנשים, נשים וחמורים; שקוף וצח האוויר
ותנועת השיירה נראית לכל פרטיה; כעדת־נמלים (٤٦)

كانت سماء الصحراء صافية وممتدة الى غير نهاية ، وتزحف قافلة من الرجال والنساء والحمير عبر ذلك الطريق القادم من النيل ، تزحف على وجه البساط الرملي الأصفر الذي يغطي الصحراء ، كان الجو نقيا صافيا ، وتبدو حركة القافلة بكل تفاصيلها كسرب من النمل ••

ثم تنتقل الكاتبة الى موضوع القصة وهو وصف ليوم اعداد مربى الورد ، وهو — كما قالت — يوم لذيذ ، وهو وصف يتكرر كثيرا عند العديد من أدباء العبرية الذين عاشوا فى مصر فترة معينة من الزمن • ففى هذا اليوم استيقظت الفتاة كلمنتين مبكرا لتشارك فى اعداد مربى الورد ، وفى هذا اليوم عادة ما كانت رائحة العبير تنتشر فى كل أركان المنزل ، الا ان رائحة الفتاة كلمنتين كانت تفوقها فى التأثير على أنوف الرجال والفتيات ، فكانت تثير غرائزهم ، فحين كانت تهبط درج السلم الى الدور الأرضى لتحضر بعض القوارير الزجاجية لتملأها بالمربى ، نزل خلفها الفتى « محمد » — الذى تشبهه الكاتبة باله مصرى

قديم يقبع فى متحف الآثار بالقاهرة — فلم يستطع أن يكبح غريزته حيث اعترض طريقها وحاول أن يمد يده نحوها ، ولما كانت الفتـــاة مخطوبة لفرد آخر — لا ترغب فيه ولا ترى فيه فتى أحلامها بل تنظر اليه على أنه مصدر بؤسها وتعاستها — فقد استجابت للعلاقة بينها وبين الفتى ، وحرصت على أن تكون العلاقة سرية ، الا أن الكاتبة قطعت سير الأحداث وانتقلت ثانية الى وصف الطبيعة ، فتواصل وصفها للنيل والخضرة والنخيل ، وكأن الطبيعة — كما سبق القول — ما هى الا رمز للحب والهوى بين بطل القصة وبطلتها .

وفى قصة « تحت شجرة الكافور فى حلوان » تشير الكاتبة الى أن مصر هى حصن الأمان ومصدر الطمأنينة لمن يفتقد الأمان والاطمئنان ، فأحداث القصـــة تدور فى الفترة ما بـين عامى ١٩٢٠ — ١٩٢٥ ، وهى الفترة التى أعقبت ثورة ١٩١٩ التى قادها سعد زغلول ، وبالرغم من هدير المظاهرات وزئير الجماهير التى ملأت شـــوارع مصر كلها ، والتى أفقدت نظام الحـكم آنذاك اتزانه وأضعفت هيمنته على زمام الأمور وأشاعت فى البلاد جوا من عدم الاستقرار ، الا انه لم يحدث أذى لأى أجنبى على أرض مصر ، بل عاش الأجانب حياتهم اليوميـــة العادية دون أن يجبروا على فعل شىء ودون أن يلحقهم أذى أو يحـــدث لهم ما يعكر صفوهم ، وتشهد الكاتبة على ذلك حيث قالت :

זה היה זמנו של זגלול, ונוער מתמרד היה שורף קרונות־הטראם ברחובות וצועק: "יחְיֶה אל וַטַן ו״ ־ ישבתי כמהגרת כּאָרץ זו — בעייתם לא בעייתי.

(٤٧)

كانت هذه هى فترة « سعد زغلول » ، حيث كان الشباب الثائر يقوم باشعال النيران فى عربات الترام فى الشوارع وهم يهتفون « يحيا الوطن .... عشت مهاجرة فى هـــذا القطر ولم تكن قضاياهم هى قضاياى » وفى مكان آخر تقول :

שוטטתי בלי כל פחד בין רועי העיזים, סיגלתי לי את הניב המיוחד שלהם, ולא היתה להם כלל תמיהה שאישה אירופית משוטטת לבדה — היו הרבה אנגליות, תיירות, שעשו זאר (٤٨)

تجولت دون خوف بين رعاة الماعز • تعلمت اللهجة الخاصة بهم : ولم يندهشوا حين رأوا سيدة أوربية تسير بمفردها ، فقد كانت سائحات انجليزيات كثيرات يفعلن ذلك ••

فالكاتبة هنا تشير الى حرص المصريين على عدم احداث ما يعكر صفو الأجانب المقيمين بينهم ضيوفا ، مما يجعل هؤلاء آمنين على أنفسهم من كل خوف •

وبأسلوبها القصصي وحبها لوصف الطبيعة ، أفاضت استيراب — في هذه القصة أيضا — في وصف طبيعة القاهرة وأحيائها المختلفة ، بل أفرطت في الوصف حتى بدا اهتمامها بابراز أحداث القصة وأركانها هزيلا اذا ما قورن بالاهتمام بالوصف والتصوير ، بل اننا نكاد نقول ان الكاتبة كانت تعمد الى توزيع أحداث القصة على أماكن مختلفة حتى تتمكن من تصوير هذا المكان • فوصفت منطقة الأزبكية « وحديقتها المدهشة ونخيلها الشاهق الذى يعانق السماء » ، كما وصفت منطقة وسط المدينة « ونظافتها وعبير زهورها ونشاط التجارة فيها » ، أما منطقة حلوان فهى مسرح القصة وهى الحى الذى كانت تقيم فيه الكاتبة ، وليست بمستغرب على استيراب — أديبة الطبيعة — أن تستأثر طبيعة حلوان بلبها متسهب فى الوصف فتقول :

מצאנו לנו בית בודד על קצה המידבר, וכודך וגדול האהיל עליו אקליפטוס ענק, זר לסביבתו. חוץ מתמרים ועצי מנגו אין רואים עצים. הלכתי שבי אחרי האקליפטוס ושכרנו את הבית — העתיקות, הצמחיה המיוחדת, גדות הנילוס — היו קרובים מאוד, מהלך עשרה רגעים מהנילוס. שתי גדותיו נטועות תמרי־ענק שגזעם

חלק ולבן כסיד. ובמורד משוכות עד המים, ובמים על
הגדה דוברות נושאות צריפי־עץ קטנים, מעון־קיץ ליושבי העיר
העשירים הבאים לנפוש ולשאוף קרירות. הנילוס העתיק והככר
היה מושך מאוד. (٤٩)

عثرنا على بيت على حافة الصحراء ، بيت كبير منعزل تغطيه شجرة كافور عملاقة . ونحيط به الزهور . ولم نر أية أشجار سوى أشجار النخيل وأشجار المانجو ، وقد استأثرت شجرة الكافور بقلبي فاستأجرنا البيت .. الآثار ، النباتات الفريدة ، ضفاف النيل كانت قريبة للغاية ، كانت المسافة بيننا وبين النيل عشر لحظات ... كانت ضفتاه مفروشتين بالنخيل العملاق ذى الجذوع الملساء البيضاء كالجص ، ضفتان تنحدران نحو الماء ، وفوق مياه الشاطىء ترسوا عوامات تحمل أكواخا خشبية صغيرة تستخدم كمصيف لأثرياء المدينة الذين يأتون ليتنفسوا هواء باردا .. كان النيل العريق العظيم جذابا للغاية .

ويهودا عميحاى — الذى وفد الى مصر مجندا فى الجيش الانجليزى أثناء الحرب العالمية الثانية ومكث فيها لمدة عامين — تناولنا — فى الفصل السابق — قصته « سد أسوان » من جانبها الفرعونى وما تحتويه من فكر فى الموت والخلود وعلاقتهما بالفكر الفرعونى فى القديم ، وها نحن نتناول هنا نفس القصة من جانب تصويرها للطبيعة المصرية والانسان المصرى ..

فعلى اثر خروج عميحاى ورفاقه من خنادقهم التى حفروها فى قلب الصحراء ، مبتدئين رحلتهم لزيارة معالم مصر القديمة والحديثة ، شاهدوا النيل فأثار بسحره عميحاى الأديب ، فطفق يصفه قائلا :

כל נפישתנו נמשכה לאורך הנילוס. כמה טוב
לארץ שיש לה ציר מרכזי כמו אותו נהר. מייד יודעים את
כיווני השמיים ואין ספקות. בארצנו הרבה הרים ועמקים מפו־
צלים, וכל אחד מצביע לכיוון אחר. וצריכים למצפן או לכוכבים
בשביל להתמצא. (٥٠)

استمرت رحلتنا على امتداد النيل ، طوبى للبلد الذى يملك محورا مركزيا مثل ذلك النهـــر ، ذلك أن أهله سيتعرفون فورا على اتجاهات السماء . ولا يخطئون . أما فى بلادنا فان الجبال والوديان تشــــــطر الأرض ، وكل فرد يشير الى اتجاه آخر . ويحتاج أهلها الى بوصلة أو نجوم لكى يحددوا الاتجاه .

وكما سبق لنا القول — فى الفصل السابق — فان عميحاى كان يعمل فى الطبوغرافيا العسكرية ، وهو تخصص يدور حول الملاحة وتحديد الاتجاهات نهارا وليلا عن طريق البوصلة والنجوم وغير ذلك من الوسائل ، ولذا نجده — فى تصويره السابق للنيل — متأثرا بهذا العمل ، فيشــبه النيل بأنه خير هاد لكل من يضل الطريق ، فهو يحدد الاتجاهات دونما حاجة الى بوصلة أو نجوم ، أما فى فلسطين فان الجبال والديان تضلل التائة عن اتجاهه ، لأنها تقسم الأرض وتشطرها فيختلط الأمر بين الشمال أو الجنوب أو الشرق والغرب ، مما يصعب معه تكمله المسير دون مرشد من بوصلة أو نجوم ، ثم يدلل على ذلك ويقول :

פעם הייתי
באנגליה בעיירה קטנה והיה קשה עלי למצוא את התימזה.
במצריים אין צורך לשאול. אם לא רואים את הנהר, שומעים
אותו. על כל פנים תמיד נמשכים אליו. (٥١)

ذات مرة كنت فى انجلترا . فى مدينة صغيرة : وكان من الصعب على ان أعثر على نهر التايمز ، أما فى مصر فلا حاجة للســؤال . فاذا كنتم لا ترون النهر ، فأنتم تستمعون اليــه : ففى كل الأحوال ستنجذبون نحوه ..

وحين وصل الى أسوان ، وشاهد السد وما يحتجزه خلفه من مياه يتحكم فى تدفقها متى وكيفما يشاء ، شبهه بالأديب الذى يختزن الأفكار بداخله ليكتبها فى الوقت المناسب وبالقدر الذى يريده ، فيقول :

ואני מכילא לא
יכול הייתי להושיע, אלא להגיד מלים ודברים או לשמור אותם בתוכי, כדי לאומרם אחר שנים רבות בקול רם או בכתב. גם הסכר הגדול באסואן אוגר כך את מימי הנהר ושומרם בטרם יוציא אותם בהקפדה.

(٥٢)

« وأنا من تلقاء نفسي لم أكن أستطيع المساعدة ، بل كنت أستطيع أن أحكى كلمات وأشياء أو أن أحفظها بداخلى كى أقولها بعد سنوات طويلة بصوت عال أو مكتوبة . وأيضا السد الكبير فى أسوان يدخر مياه النهر ويحفظها قبل ان يخرجها باحكام » .

وغير ذلك من الأمثلة التى يربط فيها عميحاى بدقة بين الظواهر المادية الطبيعة والظواهر الانسانية المجردة فى اطار واحد ، فقد شبه الأديب حين يحتجز أفكاره بالسد حين يحتجز مياهه ؛ كما شبه النيل — وهو ظاهرة طبيعية — بالبوصلة التى اخترعها الانسان كى تحدد له الاتجاه ، ناهيك عن العديد من الصور والتشبيهات التى سار فيها على نفس النهج فى بقية أجزاء القصة .

ونظرا لسيطرة فكرة الموت على أحاسيس عميحاى — كما سبق أن ذكرنا — وبالرغم من أنه كان يشارك آنذاك فى الحرب العالمية الثانية ؛ الا أنه يمقت الحرب ويعدد مساوئها على الفرد والمجتمع[٥٣] ، فقد كان يبغى أن يموت على سريره[٥٤] ، وكان ينظر الى الحرب نظرة مختلفة عن أقرانه فيقول فى قصته :

נכנסו חיילים מצריים, שנדחקו נפחדים בפינה, אף־על־פי שזו היתה ארצם וזה היה קרונם. נעולים היו מיני נעליים חצאיות גסות, ־ לראשיהם חבשו כיפות עגולות בצבע חאקי. אילו ידענו שעתידים אנו להילחם זה נגד זה, ייתכן שהייתי מסתכל בהם אחרת. אך בודאי הייתי נוהג בהם כמינהגי אז. וכאן שוב

(٥٥)

« دخل جنود مصريون وانكمشوا فى الركن خائفين . بالرغم من أنها أرضهم وان هذا قطارهم : كانوا ينتعلون أحذية نصفية غليظة . ويضعون فوق رؤوسهم أغطية مستديرة لونها كاكى • وكنا نعلم أننا سنحارب هؤلاء فى المستقبل . وربما كنت شخصيا أنظر اليهم نظرة أخرى ••• ولكن كنت أسلك معهم سلوكى الطبيعى آنذاك •

فرغم علمه أنه سيحارب هؤلاء الجنود المصريين بعد فترة من الزمن الا أن تعامله معهم كان تعاملا حسنا . ويبدو أن روحه من الداخل كانت ترفض كل أعمال القتل والعنف والصراع . وربما أثر عليه ذلك كله فانضم فى مرحلة لاحقة الى جماعة السلام الآن التى تنادى بتحقيق السلام مع العرب حقنا للدماء •

بيد أن عميحاى لم يذكر لنا مما أو ممن كان « يخاف » هؤلاء الجنود المصريون ؟ هل كانوا « يخافون » من جيوش الاحتلال التى تجثم فوق صدورهم وصدور شعبهم ؟ ليس هـذا بخوف ، وانما غضب وضجر من وضع غير طبيعى ، عليهم ان يتحملوا مسئولية تغييره ، أم أنهم « يخافون » من ثلاثتهم — وهم يهود انضموا للجيش الانجليزى ؟ وليس هـذا ايضا بخوف ، ولكنه شعور الحـزن والاسى على ما الم بأرضهم حين وطأته أقدام الغرباء واستباحت شرفه وكرامته •

أما أنهم يخافون ، فليس هذا بوارد فى تاريخ العسكرية المصرية فى أى عصر من العصور . وحسبنا فى ذلك صفحات التاريخ التى سجلت ومازالت تسجل العديد من ملاحم "تضحية والفداء التى تصنعها العسكرية المصرية ••• أليس هناك العديد — من غير المصريين — ارتبطوا بمصر فكريا ووجدانيا فآثروها على أرواحهم حين تعرضت للخطر فاستشهدوا فى سبيلها . مثلما فعل الظاهر بيبرس أوطومان باى أو غيرهما ؟ فما بالنا بأهلها الذين ارتبطوا بهـا قلبا وقالبا ؟ هل هؤلاء يخافون ام يتقززون ، يهابون أم يغضبون ، يرتجفون أم يملأهم الحـزن والأسى عما يحل بوطنهم آنذاك ؟ !

***

ولم يمر على توقيع اتفاق السلام بين مصر واسرائيل سوى فترة قصيرة من الزمن . وهى فترة لا تسمح بانعكاس هـذا الاتفاق على مجالات الابداع الأدبى الا لمـاما . ذلك أن الحاجز النفسى الذى يهيمن على وجدان أدباء العبرية لم يتيسر لهم — حتى الآن — اجتيازه ، خاصة وأنه عاش داخلهم يوجه أقلامهم وأفكارهم مئات بل آلاف السـنين ، فكيف يتأتى لسنوات — لم تتجاوز فى عددها أصابع اليد الواحدة الا قليلا — أن تمحو ما نقشه ذلك الدهر الطويل فى قلوبهم من حقد وكراهية ...

ومع ذلك فقد كتب أقل القليل من القصص ، دارت كلها تقريبا حول « السلام » كمبدأ انسانى يجب على البشرية أن تسمو به وتجعله منهاجاً للتعامل بين أفرادها ؛ ولنقتطف احـدى هـذه القصص لندلل على ما نقول .

القصـة كتبها اسحق بن نير(٥٦) יצחק בן נר عام ١٩٧٩ ضمن المجمـوعة القصصية التى تحمل عنوان ארץ רחוקה .أرض بعيـدة ، أما القصة ذاتها فعنوانها דוד אוגוסט קהיר פברואר دافيد أوجست — القاهرة — فبراير ، وتدور أحداثها فى القاهرة فى السابع من فبراير عام ١٩٧٨، وتدور حول اثنين من الصحفيين المرافقين للوفد الاسرائيلى فى مباحثات السلام ، نشأ بين هذين الصحفيين خصومة شديدة ونزاع دائم وصل للدرجة التى كان أحدهما يحيك للآخر خطة انتقام تؤدى الى تحطيمه نفسيا ، « فدافيد أوجست » يمقت زميله « هاردوف » بشدة ، ربما لأنه أكثر منه نجاحاً فى عمله الصحفى . حيث يستطيع — بملكاته الشخصية — الاتصال بكبار الشخصيات السياسية والاجتماعية والحصول منهم على معلومات وفيرة ودقيقة ومفاجئة مما يكسبه بريقا يحسده عليه زملاؤه .

ثم تسرع أحداث القصة ، فنجد أن « هاردون » كان قد اسـتطاع أن يسلب من « دافيد أوجست » زوجته فى المـاضى ، ولكنها ماتت

بعد ذلك بقليل بعد أن أصابها مرض السرطان . ثم يتضح أيضا أن « هاردوف » كان مصابا — منذ فترة طويلة — بنفس هـذا المرض ، وأنه التقى بزوجة « دافيد أوجست » عند الطبيب الذى كان يعالج كلا منهما . فلقاؤهما كان لقاء شخصين اقتربت نهايتهما المحتومة . وهما يعرفان ذلك . فربما كان فى هذا اللقاء عزاء ومواساة . وهو ما يجعـل لقاءهما يختلف عن كل لقاء . ولم يكن « دافيد أوجست » على دراية بهذه التفاصيل . بل كان مشغولا فى مطاردة « هاردوف » فى شوارع القاهرة وحوانيتها . رغبة فى الانتقام . وفى احدى المطاردات التى قام بها فوجىء بصورة « صفريرا » — زوجته التى ماتت ، معلقة فى أحد حوانيت خان الخليلى كما فوجىء « بهاردوف » وهو يتقدم لشرائها ، ويضطرم بينهما الصراع حول الصورة كمااضطرم قبل ذلك على صاحبـة الصورة نفسها ، ويذهب كل منهما الى الحانوت خلسة عساه أن يفـوز باقتناء الصورة . وفى احدى هـذه المرات نظر « دافيد أوجست » بدقة الى الصورة فتبين ان الأمر قد اختلط عليه . وان الصورة ليست صورة زوجته السابقة صفريرا ولكنها صـورة لامرأة غريبة ذات ملامح فظة وقسمات رتيبه . فأخذته الدهشة وانتابه الندم على ما كان يضمر من شر لزميله ، وهكذا بدأت الخصومة بينهما يقل أوارها الى أن انتهت تماما عند سرير « هاردوف » فى فندق شيراتون ، حيث سقط الأخير مريضا فاستدعوا له طبيبين أحدهما مصرى والثانى اسرائيلى ، فينقلانه سويا الى المستشفى بعد أن ترك وصية يبغى تحقيقها بعد موته ، ويكتشف « دافيد أوجست » من خلالها أن « هاردوف » كان مريضا بذات المرض الذى قتل زوجته ، وانهما التقيا عند الطبيب المعالج ، فيشتد ألمه ويزداد ندمه ويزول الصراع وتطوى الكراهية بينهما صفحاتها .

ويبدو ان الكاتب قد تأثر — أثناء وجوده فى القاهـرة لمتابعـة مفاوضات السلام — بالجو العام الذى كان يسيطر على المفاوضات ، فكتب هـذه القصة ليشير بها الى مصر واسرائيل ، وانهما التقيا بعد نزاع طويل وخصومة شديدة مثلما التقى «دافيد أوجست» و «هاردوف»، خاصة وانه يشير فى أكثر من موضع فى القصة الى « سعادة الشعبين المصرى والاسرائيلى باتفاق السلام » .

وعلى أية حال فان الكاتب لم تفته فرصة وصف القاهرة عن قرب بعد أن كانت حلما يراود عيونه الشمالية ، وصف شوارعها وميادينها . وصف أرضها وسماءها ، زرعها ونيلها وآثارها الشامخة ، وصف رجالها ونساءها وأطفالها . وصف عاداتها وتقاليدها وأعرافها . وصف ذلك كله ليلا ونهارا ، وكان وصفه لها ليلا أكثر ايجابية من وصفه لها نهارا ، فهو يصف ميدان التحرير عند الظهيرة قائلا :

ועכשיו אחת־עשרה ושמונה דקות ואני לבד על הגשר העילי המוזר הזה, נסחף בין המון־המוני אנשים ללא פנים, ללא צורת יחיד, בבגדים אירופאיים מיושנים־משהו, בגלביות, בחלוקים, בקרעי כד, בחליפות מהודרות. ריחות שתן ונפט, ברכום ושמן טיגון באוויר. צפירות עזות של האוטובוסים החגים סביב עמוד השיש ואשכולות־אשכולות של אנשים תלויים בהם. המדרכה מלוהטת בחום, באמצע החורף.

(٥٧)

« والآن فان الساعة قد بلغت الحادية عشرة وثماني دقائق ، وأسير بمفردي فوق ذلك الكوبري العلوي المغريب(*) ، أنجرف بين جماهير غفيره ، خلف ظهورهم ، لم يكونوا جميعا في صورة واحدة ، فمنهم من يرتدي ملابس أوروبية قديمة الى حد ما ، ومنهم من يرتـــدى الجلباب أو العباءات أو الملابس الممزقة ومنهم من يرتدي بزه أنيقة ، ونفير صاخب لعربات الأتوبيس التى تدور حول عمود من المرمر ويتعلق فيها الناس كالعناقيد ، والرصيف ملتهب من الحرارة ، بالرغم من أننا في منتصف فصل الشتاء » .

وفي مكان آخر يصف شوارع القاهرة المزدحمة نهارا فيقول :

טורים־טורים של מכוניות נעים במהירות על הגשר הגדול. פקק גדול ועצום שאינו נח לרגע. הכל מנסים לפלס להם דרך במלוא עוצמת המנוע, תוך בלימות חורקות, מימין ומשמאל. כנף מכונית אחת ניגפת בדלתה של מכונית שנייה; דופן שורטת דופן. מכוניות חובטות ומטלטלות זו את זו. הכל ממהרים ודומה — לשם המהירות בלבד הם ממהרים. (٥٨)

(*) يقصد الكوبري العلوي في ميدان التحرير بالقاهرة .

صفوف متراصة من السيارات تسير بسرعة فوق الكوبرى الكبير ، وشيء كبير وضخم لا يستقر للحظة واحدة ، ويحاول الجميع أن يشقوا طريقا لسياراتهم ، فيضغطون على الموتور الى آخر درجة ، وينحرف كل منهم بالسيارة ذات اليمين وذات اليسار ، واصطدم جانب سيارة (رفرف) فى باب سيارة أخرى ، وجدار سيارة تحيك بجدار سيارة أخرى ، سيارات تضرب بعضها وتدحرج كل منها الأخرى ، والكل يسرع وكأنهم لا يسرعون الا لمجرد السرعة ذاتها » •

أما صورة القاهرة فى الليل فانها تختلف تماما فى النهار ، حيث يتجلى بهاء ليل االقاهرة وشواطىء نيلها فيقول الكاتب :

.... וכבר נתלים פנסים קטנים מעל לנילוס והאבק שוקע. יופיה המיוחד כל־כך, ..., של העיר הזקנה, האומללה, הגדולה והסבלנית הזאת, צף ועולה עם לילה. כל קמטיה וצלקותיה נמוגים בפלא. עוד מעט תצנן רוח קלה את חום היום.

(٥٩)

« ها قد علقت مصابيح صغيرة فوق النيل ، وهدأ الغبار ، وبدا ذلك الجمال الفريد لهذه المدينة العتيقة البائسة العظيمة الصابرة ، بدا هذا الجمال يتجلى ويتسامى مع مقدم الليل ، وتبخرت آلامها واندملت جراحها بأعجوبة ، وقليل من الرياح يلطف من حرارة النهار » •

ويواصل الكاتب وصف مساء القاهرة فيقول فى مكان آخر :

ערב בקהיר. ועיר האויב בעבר מצלימה באפלולית המצטננת את צלקות השנים. הרעש שוכך. האבק שוקע. עתה. מראות. אורות עולים בכל מקום ובמערב מנצנץ אורו של מגדל קהיר הגבוה. (٦٠)

مساء القاهرة — التى كانت مدينة العدو فيما مضى — تغوص فى غسق يبرد من إلام السنين .. الآن يهدأ الضجيج ، ويهوى الغبار ، وتتصاعد الأنوار فى كل مكان ، وفى غرب القاهرة يتلألأ نور برج االقاهرة المرتفع •

فالقاهرة — فى رأى الكاتب — جميلة بطبيعتها ، وهبها الله كل مكونات الجمال وفتنته . شمساً دافئة نهارا ، رياحاً خفيفة لطيفة ليلا ، طقسا نموذجيا ، ونعت الكاتب لها بأوصاف سلبية — خاصة فى فترة النهار — ينكب أساسا على سكانها . فبعض هؤلاء يفسدون جمالها ويلوثون نسيمها ويغتالون هدوءها ، ويهينون ما حبا الله به مدينتهم من فتنة وبهاء وسكينة باثارتهم للضوضاء واحداثهم للفوضى الضاربة أطنابهـا فى الشارع المصرى ، واللامبالاه التى يتسم بها قادة السيارات حيث يبدو كل منهم غير حريص على الآخر .. ولذا فحين يخلد هؤلاء جميعا الى النوم يعود للقاهرة بهاؤها وهدوؤها وسحرها .

ويشير الكاتب بوضوح الى الأمن الذى يتمتع به زوار القاهرة من الأجانب ، وحرص الدولة على توفير الرعاية الكاملة لهم ، ويؤكد — فى هذا السياق — ان الشعب المصرى شعب مسالم وليس مستسلماً ، وأن حجم الجريمة التى ترتكب فى القاهرة يتضاءل أمام الجرائم التى ترتكب فى أماكن أخرى كثيرة من العالم . فيقول بن نير ناعتا أهل القاهرة فى مكان آخر :

סֵבֶר הפנים של אנשי המקום, אורך רוחם. "אתה יודע", אמר לו אהרוני בסליאה־כמעט. במלון. "אשה יכולה ללכת כאן לבדה בלילה ואף אחר לא ייגע בה. זה מפליא. אין כמעט מעשי פשע בקהיר.

(טו)

« الوجـه البشوش لأهل هذا المكان (القاهرة) ، صبرهم وطول أناتهم ، أنت تعرف — قال له « هاردوف ما يشبه اللغز فى الفنـدق ان المرأة تستطيع أن تسير هنا بمفردها ليلا ، فلا يمسها أحد ، وهذا أمر مدهش ، فليس فى القاهرة تقريبا أعمال اجرامية أو عنف » والحقيقـة أننا أوردنا قليلا من كثير وصف الكاتب مصر فيه سلبا وايجابا ولكنه لم يخرج عما أوردنا من نقاط الوصف .

القارئ لهذه القصة يدرك ــ منذ الوهلة الأولى ــ افراط الكاتب في الواقعية ، فهو مثلا يذكر الأسماء الحقيقية لأعضاء الوفدين المصرى والاسرائيلى في مفاوضات السلام ، وكذا أسماء الصحفيين ورجال الاعلام والأمن والنقل وغيرهم ، بل يذكر الأحداث التى مرت بها هذه المفاوضات بواقعها الحقيقى .. وعلى أية حال فقد كان لهذه الواقعية أثر كبير فى كثرة عدد قرائه ومحبيه فى اسرائيل ، على اعتبار أنه يرعى الموضوعية الخالصة رعاية تامة ، ويرصد التجربة الحية رصدا يقظا ، ويستوعب ما فى الحادثة أو المشهد أو الشخصية استيعابا دقيقا[٦٢] مما جعل انتاجه خلوا من المؤثرات الداخلية لعواطفه وأحاسيسه فغدت قصته رسما جامدا للشخصيات والمرئيات ، وتسجيلا لظواهر المجتمع وتصاريف الحياة .

* * *

الفصـل الثـانى

مصر كموطن للميلاد

وضع اليهود فى مصر قبل الهجرة :

يشهد التاريخ ـ على امتداد عصوره واختلافها ـ أن مصر كانت ملاذا لليهود من كل اضطهاد ، وانقاذا لهم من الجوع والاملاق ، ولذا اتخذها نفر غير قليل منه مأوى دائما يلوذون بأمنه وسماحته ويتمتعون برغد عيشه ويتعاملون باحترام من الانسان لأخيه الانسان • وكون هؤلاء اللاجئون الى مصر طائفة لا بأس بهـا ، منحت كل حقوق المواطنة ، فمارسوا حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والدينية دونمـا ضغط أو اكراه أو تضييق للخناق ، بل أن بعضهم شارك فى الحيـاة السياسية المصرية ووصل فيها الى مناصب رفيعة المستوى [١] •

ولقد شهد القرن التاسع عشر تطورا كبيرا للطائفة اليهودية فى مصر ، حيث فتحت الأبواب أمامهم للهجرة اليها والانخراط فى شعبها ، وقد ساعد ذلك على توسعهم فى بناء المدارس والمعابد ومختلف التنظيمات والانشاءات التى تخصهم دون غيرهم [٢] ، وقد نص الدستور المصرى الصادر عام ١٩٢٣ على ضمانات جديدة للطوائف والأقليات ، استفادت منها الطائفة اليهودية الى حد بعيد ، وخصوصا ما أقره الدستور لهم فيما يتعلق بمبدأ المساواة فى الحقوق المدنية والسياسية دون تمييز بسبب الأصل أو اللغة أو الدين ، بالاضافة الى منحهم حرية العقيـدة والرأى والصحافة والتعليم ، كما كفل لهم تسيير امورهم الشخصية طبقا لتقاليدهم وعلى يد زعمائهم الدينيين [٣] • وترتيبا على ذلك أحرز اليهود نجاحات ملموسة فى مختلف مجالات الحياة الدينية والعلمانية فأنشأوا

العديد من المعابد (*) والمدارس(**) والأندية والجمعيات الخاصة بهم ٠

تمتع اليهود فى مصر بكل ذلك ، بينما كان يهود أوروبا مطاردين من مدينة الى أخرى ومن دولة لأخرى ، طوردوا فى أفكارهم الدينية العنصرية ، وطوردوا فى مؤسساتهم الاجتماعية والتجارية والثقافية والسياسية ، بل وصل الأمر الى أنهم كانوا يوضعون أحياء فى أفران الغاز ، وأبت معظم دول أوروبا أن تمنحهم حقوق المواطنه الكاملة ، فأصابهم الذعر وهاموا على وجوههم من مكان الى مكان بحثا عن ملاذ أو مأوى ٠

ورغم ذلك كله ، مضت عجلة الزمان وهاجر معظم أبناء الطائفة اليهودية المصرية الى فلسطين ، وهناك سجلوا سيرة حياتهم وما ترسخ فى أذهانهم ووجدانهم عن موطنهم الأول الذى ولدا فيه ، فمنم من ذكرها بالخير والتقريظ ، ومنهم من ذكرها بالسلبية والتجريح ، وسواء حدث هذا أو ذاك ، فان المحصلة النهائية هى أن مصر استمرت محافظة على مكانتها فى الأدب العبرى الحديث ، وبات العديد من أدباء العبرانية — وخاصة ذوو النشأة المصرية — يلقون الضوء على مصر وطبيعتها وحضارتها وتاريخها وأهلها وكل ما ينتمى اليها ، مصر كما عرفوها فى طفولتهم وشبابهم ٠

(*) فى احصائية ذكرتها عواطف عبد الرحمن فى كتاب (الصحافة الصهيونية فى مصر القاهرة ١٩٨٠) قالت ان اليهود أنشأوا فى النصف الاول من القرن العشرين ما يقرب من تسعة وعشرين معبدا فى القاهرة ، وعشرين معبدا فى الاسكندرية ٠

(**) استفادت الطائفة اليهودية من رعاية الحكومة المصرية ، فانشات ـ عددا من المدارس ـ بدأها الاشكنازيم عام ١٨٩٥ ، وكانت برامج هذه المدارس اليهودية اوروبية خالصة ، ولغة التعليم الاساسية فيها هى الفرنسية ، وكانت الانجليزية موضوعا اجباريا ،. ولذا كان خريجو هذه المدارس لا يعرفون اللغة العربية جيدا ،. كما اهتمت الطائفة بالتعليم الدينى وبث المفاهيم الدينية فى البرامج لدراسية ، وذلك كى يتسنى للطائفة تشكيل اتجاهات أبنائها وضمان ولائهم لطائفتهم ودينهم فى المقام الاول ،.

وبالرغم من ان كل أديب من هؤلاء الأدباء يكتب انتاجه بشكل فردى ، الا أنهم يلتقون جميعا حول هدف واحد هو البحث عن الأصل والجذور ، فازدواجية الموطن — التى يعانى منها المجتمع الاسرائيلى أدت بالكثير من الأدباء والكتاب العبريين أن يتحدثوا باسهاب — فى انتاجهم الأدبى والعلمى — عن موطنهم الأول الذى هاجروا منه،وكأنهم فى حلبة صراع أو تنافس ، أيهم يبين موطنه الأصلى بصورة أكثر وضوحا . على أنه من الحق ان نقول أن الأوصاف التى ترد فى مثل هذه المؤلفات لا تتسم دوما بالايجابية ، بل ان السلبية أحيانا ما تسيطر عليها وتشكل عمادها الرئيسى ، وربما يكون سبب ذلك محاولة كل أديب — من أدباء السلبية — اثبات أنه لاقى من العنت والاضطهاد أكثر مما لاقى غيره ، أو أنه خاض الطرق الوعرة ثابتا على دينه وعقيدته ومبادئه متحديا أشق الصعاب ليصل فى النهاية الى أرض الآباء فيتوهمون دور بطولة فى قصة لا وجود لها ولا أساس !! وعلى أية حال فلا يكاد يكون هناك أديب من أدباء العبرية فى العصر الحديث — باستثناء جيل ما بعد ١٩٤٨ — غير حريص على ابراز مواطن القوة أو الضعف فى موطنه الأصلى ، وأصبح هـذا الأمر طبيعيا ومنتشرا فى المجتمع الاسرائيلى بشـكل كبير حتى اليوم .

والنموذج الأول الذى سنتناوله فى هـذا المجال هـو كتاب راحيل مكابى التى ولدت فى مصر وعاشت فيها طفولتها وشبابها ، والكتاب بعنوان «מצרים שלי» مصر التى لى » ، وهو كتاب يتبوأ مكانة رفيعة فى تصوير مصر تصويرا ايجابيا ينبىء عن حب الكاتبة لمصر وتباهيها بكل ذرة من ثراها(٤) ، فقد أسهب هـذا الكتاب فى وصف مصر من الاسكندرية شمالا حتى أسوان جنوبا ، فلم تفارق الكاتبة كبيرة أو صغيرة — مما صادفته على أرض مصر — الا وصفته مدحا وثناء . وحين ينتهى القارىء من هـذا الكتاب يتبين أن الكاتبة لم تكن لتخط هـذا الكتاب الا لكى تتباهى وتفخر بأرض ميلادها فى مواجهة الآخرين المهاجرين من بلاد أخرى ، انطلاقا من التيار السائد فى الأدب العبرى منذ وقت غير قليل والذى يتحدث فيه كل فرد عن أرض ميلاده وذكرياته المنحوته فى وجدانه تجاهها .

ونحن لا يخالجنا شك فى أن راحيل مكابى تفخر — فى كتابها — بأصلها المصرى وبالفترة الطويلة التى عاشتها بين الشعب المصرى الذى وصفته « بالنبل وطيبة القلب والمقدرة الهائلة على الصبر وتحمل المكاره »(٥) . لقد تتبعت راحيل مكابى — فى صدر كتابها — شجرة أنسابها منذ قدوم جدها لأبيها الى الاسكندرية هربا من اضطهاد كان يحيق باليهود فى شرق أوربا ، وكذلك منذ قدوم جدها لأمها من فلسطين الى الاسكندرية فرارا من تنكيل مارسه جنود الحملة الفرنسية بقيادة نابليون بونابرت على يهود فلسطين ، وقد كلاهما الى مصر « فآمنتهم من كل اضطهاد أو خوف وأحاطتهم بانسانية الانسان »(٦) . وعاشت راحيل مكابى بين أسرة ميسورة الحال تتمتع بالرفاهية ورغد العيش ، واستطاعت أن تعبر تعبيرا دقيقا عن حياتها فى مصر ، بأسلوب بسيط خال من التعقيدات ، تحدثت عن الوطنية المصرية قائلة :

. . . . בכל־אופן זוכרת אני הפגנה עצומה בה נשתפכו לרחוב המונים שוצפים, המומי־סוח, קופצים וסולטים ועקות גרוניות "יחיא סעד!" — הם נשאו בזרועותיהם את תמונתו של זגלול. לא אדע בבירור אם היה זה ביום ששולח לחם־החירות הישיש לאי סיישל, או שמא בחזירתו.

(٧)

« وعلى أية حال فاننى أذكر مظاهرة عظيمة تدفقت فيها جماهير غفيرة متحمسة الى الشوارع ، وهم يهرعون ويهتفون « يحيا سعد ! » وقد رفعوا بأذرعهم صورة زغلول . ولكننى لا أعرف بوضوح ان كان ذلك يوم ان أرسل المناضل العجوز الى جزيرة سيشيل أو عند عودته » . أما عن جمال الاسكندرية فقد أسهبت فيه الحديث ، وتغنت بتعايش مختلف الجنسيات فيها وذلك « لسعة قلبها وصدرها » ، وتحدثت عن طبيعتها وبحرها وشواطئها وحدائقها وهوائها وسمائها وميناها وأهلها .. فقالت عن بحر الاسكندرية :

איתן־הטבע הראשון, הראשי, השולט בתודעתי מימי־הילדות, היה הים. ריחו, מַשביו המלוחים, הגיעו לרבעים המרוחקים ממנו ביותר, אך אנו מעולם לא היינו רחוקים ממנו באמת.

ים רוגע, חלק, שקוף, בהיר־בהיר. ים כחול שעל גליו הלבנים בגיל צעיר מאוד טבלנו בו, למדנו להכיר ולאהוב את חופו, את החול

(٨)

أولى قوى الطبيعة الرئيسية التى خالجت شعورى منذ الطفولة كان البحر ، شذاه ، هواؤه الملحى الذى كان يصل الى أحياء بعيدة عنه للغاية ، ولكننا لم نكن بعيدين عنه فى الحقيقة .. بحر هادىء أبيض ، شفاف ، صافٍ للغاية ، بحر أزرق ينعكس على موجه الأبيض ضوء الشمس بقوة .. وفى سن صغيرة جدا سبحنا فية ، وتعلمنا أن نعرف ونحب شواطئه ورماله » .

وعن حديقة أنطونيادس فى الاسكندرية تقول :

אילנותיו גבוהים לאין־שיעור. דשאיו המטופחים לא נועדו לשחק ולהתגלגל עליהם. עם זאת זוכרת אני גבעה אחת — וַדאי מלאכותית — עוטה דשא. בראשה התנוסס פסל שיש לבן, מֵאותם פסלים שאיכלסו את כל הגן. היטב זכור לי גילגול מלמעלה עד למטה, וריח הדשא המשכר. נדמה לי שכבר אז הכרתי את כל השיחים וסוגי הדשא בשמותיהם. איני יודעת אם מאז ועד היום ראיתי גנים שבהם לא התגלגל אף עלה אחד כמוש. — אין ספק שידיים למכביר עמדו לרשות הטיפוח הזה שאין לו קץ. (٩)

« أشجار عالية بلا حدود ، أذكر أن عشبها الذى غرس بعناية لم يكن مخصصا للعب أو التدحرج عليه •• وأذكر مع ذلك تلك الهضبة — التى ربما كانت صناعية — وقد كستها الأعشاب . أذكر أنه كان عند مدخلها تمثال مرمرى أبيض ، واحد من تماثيل عديدة انتشرت فى جنبات الحديقة • أذكر التدحرج من أعلى الى أسفل ، وأذكر شذى العشب الذى يستأثر بالألباب •• وخيل الى أننى قد عرفت آنذاك كل النباتات وأنواع العشب بأسمائها •• اننى لا أذكر أننى شاهدت منذ ذلك الوقت وحتى الآن حديقة لا تتدحرج فيها ورقة ذابلة واحدة من أوراق الشجر • ولا شك أن أيادٍ كثيرة كانت وراء هذه الرعاية اللآنهائية •

وبعد أن وصفت الكاتبة كل جزئية من جزئيات الاسكندرية وأفاضت فيها بالمدح والثناء نجدها تقول عن الاسكندرية كلها •

משהתחלתי לקרוא ספרים ידעתי שאין במלוא תבל כולה מקום
כאלכסנדריה זו, הידועה לי כל־כך· (١٠)

« منذ أن بدأت أقرأ كتبا عرفت أنه لا يوجد في الدنيا كلها مكان مثل الاسكندرية التى أعرفها » ••

واذا كانت راحيل مكابى قد أفاضت فى وصف الاسكندرية بكل ما فيها باعتبارها مهدها الأول الذى تعلمت فيه كل شىء ، فانها تحدثت كذلك عن مصر ومدنها وقراها ، فقالت عن « نيل القاهرة الساحر » :

מביקורים ראשונים בקאהיר זכורים לי היאור והחב־הידיים, זרמו העצל והרוגע, מימיו העכורים, שעליהם נישא שסע סירות גדולות ואטיות, בעלות־מפרשים.

זוכרת אני את ססעת ירק־הגנים. שעל גדות היאור בקאהיר ואיים נסועים בו, • • • • • את כל יופיו של הנהר עתידה הייתי לראות לאחר שנים, כאשר ביקרנו בלוקסור ועד אסואן סלעים עצומים ושחורים, עצים מוזרים, (١١)

من الزيارات الأولى للقاهرة أذكر النيل وفرعيه المتسعين ، أذكر تدفقه الهادىء البسيط ، ومياهه العكرة التى تحمل فوقها العديد من القوارب الشراعيه الكبيرة التى تتسم بالبطء .. أذكر حدائق خضراء كثيرة على ضفاف نيل القاهرة وفى الجزر التى تقع بداخله ، لقد لمست جمال هـذا النهر بعد ذلك بسنوات حين قمنا بزيارة للأقصر وحتى أسوان صخور هائلة سوداء ، وأشجار غريبة ... » .

ويتدفق حب راحيل مكابى لطبيعة مصر وبهائها فتنساب الصور الايجابية وتنتشر بين كل ثنايا القصة حتى قالت :

עוד מגיל צעיר, כמדומה, עזה היתה בי תחושת הטבע, הצמח והפרח. . . . . משום שארץ זו בה נולדתי נתברכה בטבע שופע ומוריק.

(١٢)

« منذ سن صغيرة كما يبدو ، غمرنى الاحساس بحب النبـات والزهور ، ذلك أن البلد الذى كنت أعيش فيه ينعم بالطبيعة المتدفقة الخضراء » .

أما الأمثلة التى تدلل بها الكاتبة على رغد العيش ورفاهية الحياة التى تمتعت بها أثناء اقامتها فى مصر فهى منتشرة فى كل ثنايا القصة ، بدءا بالقصر الفخم الذى كانت تعيش فيه ومرورا بالمدرسين الذى علموها مختلف اللغـات الأجنبية (الانجليزية والفرنسية والايطالية) والموظفين القائمين على ادارة أعمالهم وشئونهم التجارية ، والسائقين والمربيات والوصيفات والخدم وغيرهم من العاملين داخـل القصـر ، ونهاية بوصف « كلبها » الذى كان يعيش هو الآخر فى رغد حتى قالت عنه راحيل مكابى :

דודתי גבריאלה היתה נושאתו בתוך ארנק .... לאחר הארוחה היו מגישים לו בכבוד ובחיבה שוקולד

(١٣)

« كانت خالتى جبرائيلا تحمله داخل حقيبة ، وبعد الوجبة كانت تقدم له بكل احترام وحب شيكولاتة .... » .

وتقول فى مكان آخر :

דומה שאפילו כוס מים לא נהגנו ליטול בעצמנו. הנזקק לכוס מים היה מצלצל בפעמון ומבקשו מידי הסודאני, אשר בצעדים בלתי־נשמעים היה צץ פתאום בחדר, מלוא קומתו האפלה ובגלימתו הלבנה, החגורה חגורה אדומה, כאשר בידו טס כסף ועליו כוס מים מתבילי־צינה.

(١٤)

« ويخيل الى انه حتى كوب المـاء لم نتعود أن نحضره بأنفسنا . ومن كان يريد كوبا من المـاء كان يضغط على الجرس ويطلب السودانى ، الذى يظهر فجأة فى الحجرة ، بخطوات غير مسموعة ، بقامته السوداء المنتصبة وجلبابه الأبيض وحزامه الأحمر ، ويحمل فى يده صينية فضية عليها كوب من المـاء ينبعث منه بخار بارد » .

وهكذا عبرت راجل مكابى عن آحاسيسها ابان الفترة التى قضتهـا من حياتها فى مصر ، تلك الفترة التى أحبت فيها أهلها وتعاطفت معهم ومع قضاياهم ضد المستعمر الأجنبى فقالت :

'בהזדמנויות הלא נדירות של ביקורים בכפרים המצריים עם אבא, מרד נעורי היה גואה בתוכי כאשר נחו עיני על מעדרים אלה, שבידי הפאלחים היחפים, בצעדם באיטיות בטיט הבוצי והדביק. אם לא הצליח שלטון המהפכה המצרית לזקוף את קומתו של הפלאח הזה מעל למעמדו ולשלפו מתוך טיט שדהו ומתוך ביצות תאורז ושיעבור קטיף הכותנת - לשווא כל המליצות. ראיתי כפר שלם, שקוע בעבודת שתילת האורז, גב כפוף, פנים חסרי הבעה, עיניים עטורות זבובים. בלבי היתה איתנה החלטה, לא איתנה מרווחים שבסחטו מאלה. לא האמנתי שהם אוהבים להתגורר בבקתות הטין חסרות החלונות, יחד עם חמורם ופרתם, כאשר התרנגולות מדלגות על הסף. לא תאמנתי שהם בוחלים במים זורמים וחפצים דוקא ב'ברכה' שבטבור הכפר, במימיה המרופשים המשמשים לנסילת ידיים, לשתיה, לרחצה ולכל יתר הצרכים. אף על פי כן היתה רווחת בין האירופים סברא שיהם אוהבים לחיות כך'.

(١٥)

« وفى مناسبات غير قليلة وفى زيارات للقرى المصرية مع أبى ، كانت ثورة الشباب تنتفض فى داخلى حين تقع عيناى على تلك المعاول والفئوس التى يمسكها الفلاحون الحفاه ، وهم يخطون ببطء نحو ذلك الطين الناعم اللزج .. اذا لم تنجح سلطات الثورة المصرية فى رفع هامة هـذا الفلاح المصرى وانتشاله من هـذا الطين ومن وسط جذور الأرز وعبودية جنى محصول القطن ، فان كل بلاغة أو فصاحة تصبح ضربا من ضروب الهوى والعبث .. لقد رأيت قرية كاملة غارقة فى العمل فى زراعة الأرز ، ظهور مدنية ، وجوه تفتقد الى التعبير ، عيون يملؤها الذباب . وكان القرار فى داخلى قويا ، ألا أستمتع بالأرباح التى ابتزت من أولئك . لم أصدق أنهم يرغبون السكنى فى أكواخ طينية بلا نوافذ ، سويا مع حمارهم وبقرتهم ، بينما يقفز الدجاج فوق الأطفال ... ولم أصدق أنهم لا يحبون المياه المتدفقة السارية ، أو أنهم يرغبون فى مياه تلك البركة التى تتوسط القرية ، مياه راكدة تستخدم فى غسيل الأيدى وفى الشرب والاستحمام وسائر الحاجات والأشياء .. وبالرغم من ذلك فقد ساد بين الأوروبيين اعتقاد مفاده أنهم لا يحبون أن يعيشوا هكذا ... » .

ولم تكن أندا هارئيل داجان[16] אנדה הראל דגן أقل حبا لموطن ميلادها الأول مصر من راحيل مكابى بل انها تغنت فيه شعرا ؛ ونظمت له ديوانا منفصلا تحت عنوان פואמה קהירית قصيدة قاهرية[17] ، يفيض شعورا مرهفا وشوقا ملتهبا وينساب بذكريات الطفولة والشباب التى ترسخت فى وجدانها عن مصر ومدنها وأحيائها وشوارعها وأزقتها ، فقد استهلت ديوانها بالحديث عن مصر بصفة عامة فقالت :

וְזֵכֶר הָאָרֶץ הַהִיא
לְמִשְׁמֶרֶת
אֵיךְ הָיִינוּ כְּחוֹלְמִים

מֵרֹב טַעַם הַתָּמָר
הַדְּבֵלָה וְהַשְּׁמָנִים
עַל פֶּה.

אֵיךְ אָבִי
לֹא מְלָאוֹ לִבּוֹ
לִנְדֹּד מֵאַרְצוֹ,
מוֹלַדְתּוֹ —
בֵּית אָבִיו.

עַד שֶׁאֻכְּלָה
נַפְשׁוֹ בְּגַעְגּוּעָיו.
שׁוֹכֵן עָפָר אָבִי
בָּאָרֶץ הַהִיא

(١٨)

ذكرى هـــذا البلد
حفظناها
كيف كنا كالحالمين
من شدة حلاوة النخيل
والعجوة والزيتون
حين يلامس الفم
كيف، لم يجد أبى
الجـــرأة
ليهجر بلده
وطنـــه
بيت أبيـــه
حتى بادت
نفسه حنينا الى الوطن
ان أبى يرقد اليوم ترابا
فى ذاك البلد

فهي تذكر صراحة أن أباها رفض أن يهجر من مصر باعتبارها وطنه وبلده وذكرياته . وأنه ظل فيها حتى وافته المنية ووري جسده ثراها ، ولذا فان ارتباطها بمصر هو ارتباط دائم لأن أباها قد بات يشكل جزءا من ثرى مصر .. ثم قرضت أندا قصيدة أخرى تحت عنوان القاهرة ، عبرت فيها عما يعتمل في وجدانها من حب فأفاضت ثناء وتقريظا لمدينة العاصمة حيث قالت فيها :

עִיר יַלְדוּתִי הָאַחֶרֶת
עִיר אָבִי הַזּוֹכֶרֶת
אֶת הַמָּחָר
רֹאשִׁי הַנָּם לְרַגְלֵי הַתָּמָר.

בְּעִירִי הָאַרְמוֹנוֹת נוֹטְפִים
דְּבַשׁ חֲרוּבִים וּמִרְקַחַת שׁוֹשַׁנָּה
וְהַסְּמְטָאוֹת כּוֹנְסוֹת יְלָדִים

(١٦)

مدينة طفولتي الأخرى
مدينة أبي التي سأذكرها
حتى الغـد وأذكر
رأسي التي نامت عند جذوع النخيل
في مدينتي القصور تقطر
شهد الخروب ومربى الورد
والأزقة التي تجمع بين الأطفال

وفى قصيدة ברחוב דהר شارع الظاهر ، تصف نساء مصر بالفضيلة والتزامهن بناموس الأخلاق ومحافظتهن على تعاليم دينهن فتقول :

הִנֵּה בְּנוֹתַיִךְ רְעוּלוֹת פָּנִים
אוֹמְרוֹת בְּרַכָּה
אִינְשַׁאלְלָהוּ
בִּרְחוֹב דָּהֶר (٣٠)
בְּחָצַר בֵּית־הַכְּנֶסֶת
עֵץ גּוֹיָבָה נוֹתֵן רֵיחוֹ —

ها ان بناتها يرتدين الحجاب
وتقلن برقة
انْ شاء الله
فى شارع الظاهر
فى فناء المعبد
شجرة جوافة ترسل شذاها

بل انها تشير فى قصيدة أخرى الى أمن اليهود وحريتهم فى ممارسة شعائرهم الدينية حين كانوا يعيشون فى القاهرة ، ففى قصيدة بعنوان ברחוב עבסיה فى شارع العباسية تقول أندا :

יָדַעְתָּ
אִם תְּכַוֵּן אֶת לִבְּךָ אֶל
רְחוֹב עַבָּסִיָּה
וְתַקְשִׁיב לַקּוֹלוֹת הָעוֹלִים
מִשְּׁכוּנַת הַיְּהוּדִים;
אִם בַּחֲצֵרוֹת וּבַבָּתִּים תִּתְבּוֹנֵן,
תַּבְחִין בָּאוֹתִיּוֹת הָעִבְרִיּוֹת
הַפּוֹרְחוֹת עַד שִׂיחַ־הַהֲדַס
הַשּׁוֹכֵן בֶּטַח בְּגִנַּת
בֵּית־הַכְּנֶסֶת שֶׁבְּסַקָּקִינִי, (٣١)

ستعرف ،
اذا اتجهت بقلبك الى
شارع العباسية
وأصغيت للأصوات الذى تتردد
من حى اليهود
واذا أمعنت النظر فى الأفنية والمنازل
سوف تميز حروفا عبرية
تزهر حتى شجرة الآس (نبات عطرى)
التى تقف آمنة فى حديقة
المعبد بالسكاكينى

ولم تكتف أندا هارئيل داجان بالتعبير عن ذكرياتها وحبها لموطنها الأول بقرض الشعر وتضمينه الصور الأدبية الفنية فقط ، بل انها رصعت ديوانها بالعديد من الصور الفوتوغرافية لأحياء القاهرة ومعالمها المختلفة التى تعبر عن تاريخها الطويل وخضرتها اليانعة ، ومروجها المزهرة ونيلها الخالد وأهرامها الشامخة ومآذنها العالية ...

وعلى النقيض مما ورد فى قصة راحيل مكابى « مصر التى لى » التى تفيض بالعديد من الصور الايجابية ، نجد قصتى جاكلين كاهانوف(٢٢) ז'קלין כהנוב وعنوانهما ילדות במצרים « المولد فى مصر » פסח במצרים « الفصح فى مصر »(٢٣) ، يكتنفهما العديد من الصور السلبية لمصر .

وجاكلين هذه ولدت فى القاهرة عام ١٩١٧ ولم تغادرها الا عام ١٩٤٠ ، وقد ضمنت قصتيها كل ما مر بحياتها منذ نعومة أظافرها حتى بلغت مرحلة الشباب ، وفى خضم ذكرياتها الخاصة تحدثت عن العادات والتقاليد التى تتسم بها مدينة القاهرة فى المواسم والأعياد ، كما أبرزت

ـ فى صدر قصتها الأولى ـ ذلك التفاوت الكبير بين طبقات المجتمع المصرى آنذاك،وأشارت الى أن الغالبية العظمى من المواطنين كانت تعانى شظف العيش وقلة الموارد . بينما تتركز الثروات الأساسية فى أيدى حفنة قليلة من الأتراك والانجليز ، فهى تقول :

. . . . חשתי שחערבים מרובים יותר משאר בני־אדם, ושהם עניים: הם היו משרתים, רוכלים, אביונים הסוהטים זרועות שאין להן ידיים, רגליים שאין להן כפות, עיניים שאין בהן מאור, הקוראים אל אללה שיעורר את הבריות לתת להם גרוש של־כלום, וילדיהם היו מחטטים בפחי־האשפה למצוא בהם דבר למאכל. הערבים העשירים היו פחוות, אך הללו תורכים היו בעצם. (٢٤)

« شعرت أن العرب أكثر عددا من سائر البشر ، وأنهم بؤساء ، فهم خدم أو باعة متجولون أو متسولون يمدون أذرعة مقطوعة الأيدى وأقداما منزوعة الأكف ، عيونهم غير مبصرة ،يدعون « الله » لكى يحث الناس على اعطائهم قرشا لا يحتاجونه • كما كان أبناؤهم يفتشون فى سلال القمامة علهم يعثرون على شيىء يأكلونه ، أما العرب الاغنياء فقد كان عددهم أقل ، وهؤلاء كانوا من الأتراك بشكل خاص » •

وبالرغم من أن الكاتبة عربية النشأة والأصل ـ حيث ولد أجدادها فى تونس ووالداها فى العراق وعاشوا جميعا فى مصر ـ الا أنها تتكرت لكل ذلك ، فهى تقول أنها كانت ذات مرة فى أحد فنادق الاسكندرية ، والتقت معها سيدة انجليزية وسألتها عن جنسيتها فلم تستطع الاجابة :

.... ידעתי שאינני מצריה בדומת לערבים, אך ידעתי גם כי בושה היא לאדם שלא ידע מהו. (٢٥)

« أدركت أننى لست مصرية شبيهة بالعرب ، ولكننى عرفت أيضا أنه من العار على الانسان الا يعرف ما هو •••• »

والغريب أنها حين روت لأمها ما حدث عنفتها الأم وقالت :

שכאשר בני־אדם שואלים אותי שאלה כזאת עלי לומר שאני אירופית. סבלתי, (٢٦)

« عندما يسألنى أى انسان سؤالا كهذا يجب أن أقـــول أننـــى أوروبية » •

ثم تستلهم الكاتبة أوهام الماضى البعيد وما ترسخ فى وجـــدان بنى اسرائيل تجاه مصر عبر العصور ، فجمال نهر النيل لا يكمن فى طبيعته وانسيابه بين أرجاء الوادى وما يحيط به من خضره الى غير ذلك ، ولكـــن يكمن فى أنه يذكرها بقصة موسى وصراعه مع فراعنة مصر ، فهو النهـــر الذى عثرت فيه ابنة فرعون على الصندوق الذى كان موسى قـــد وضـــع فيـــــه •

• שיחקנו ליד הנהר הזה שבו מצאה בת־פרעה את משה, ובמקום שאולי כבר נולד זה העתיד להיות משיח, פעוט הייבן בין קני־הסוף.

(٢٧)

« لعبنا بالقرب من هذا النهر الذى عثرت فيه ابنة فرعون على موسى ، وفى ذلك المكان الذى يحتمل أن يكون قد ولد فيه من أصبـــح — بعد ذلك — مخلصا ، عثرت عليه غلاما نائما بين سيقان البردى » ••

ثم تنتقل الكاتبة فجأة من الماضى الى الحاضر ، ومن موسى « قائد الخلاص القديم من مصر » الى « المسيح المنتظر » الذى سيقود عمليـــة الخلاص الجديد ، وتربط بين ذلك كله وبين الوضع الاجتماعى البائس للشعب المصرى فتقول :

. . . . המשיח יביא את הזמנים שבהם לא יהיו נוצרים; ולא מוסלמים, ולא יהודים ולא אנשים לבנים, שחומים או ורודים, ולא יהיו עוד נסיכים החופזים ועוברים במכוניות גדולות ואדומות, נסיכים שקרום עשרם העבה הקשה את לבבם עד כדי כך שאין הם יכולים לא לראות ולא לשמוע ולא להריח את העניים המשתופפים ליד שערי בית־החולים קצר־אל־עיני, מקום שהאוויר מלא את צחנת פצעיהם. יחפי־רגל ייצאו הנסיכים לקראתם, ובעלי־המומים, החולים, העניים והנדכאים יקומו ויסלחו ורפא להם.

(٢٨)

« سيكون زمن المسيح خلوا من النصارى والمسلمين واليهود ، وخلوا من أشخاص لونهم أبيض أو أسود أو خمرى : وخلوا من أمراء يسرعون بسياراتهم الفارهة الحمراء . أولئك الأمراء الذين تكون ثراؤهم غشاوة سميكه فوق قلوبهم ، غشاوة لم تمكنهم من أن يروا أو يسمعوا أو يشتموا أولئك البؤساء الواقفين أماه أبواب مستشفى قصر العينى ، ذلك المكان الذى يمتلىء الجو فيه برائحة جروحهم الكريهة ، سيخرج الأمراء (فى زمن المسيح) الى الحفاة والمشوهين والمرضى والفقراء المطحونين ، وسيعتذرون لهم ويعالجونهم ... »

فالقارىء لقصتى جاكلين كاهانوف يدرك تماما مدى سيطرة الفكر الدينى اليهودى عليها ، وعلى مجريات الأحداث داخلهما ، فهى ترى أن خلاص المصريين من الانجليز والأتراك — وهم طبقة الأمراء والنبلاء فى الفقرة السابقة — لن يتم الا عن طريق المسيح المخلص الذى سيأتى فى زمان لا فرق فيه فى الجنس أو اللون أو العقيدة ، بالاضافة الى حديثها عن الموت وفكرتى الاختيار والخلاص وبعض المفاهيم الدينية الأخرى .

والقصة الثانية وعنوانها : « الفصح فى مصر » لم تخرج تقريبا عن الاطار السابق ، فالعنوان ذاته يتعلق بعيد دينى يهودى تتخلله طقوس خاصة وتكتنفه أفكار معينة ترجع الى عصر خروج بنى اسرائيل من مصر تحت قيادة موسى .. ويتخلل وصف طقوس الفصح عند يهود مصر بعض التساؤلات الدينية ، تطرحها الكاتبة اعتقادا منها بأن هذه التساؤلات تهمين على عقول الأطفال وألبابهم فى سنهم المبكرة ، وهى تساؤلات تتعلق بالآلهة والأنبياء والخير والشر والبعث والفناء وغير ذلك ، وترد جاكلين كاهانوف على هذه التساؤلات من منطلق رؤيتها الخاصة المتأثرة — الى حد كبير — بالأفكار الدينية اليهودية . ففى حوار مع صديقتها الدائمة « حداريا » حول الترانيم التى يرددها اليهود فى عيد الفصح ، روت جاكلين لصديقتها ما يردده اليهود — فى هذه المناسبة — خاصا بمصر والمصريين ، والفراعنة وما فعلوه مع موسى واليهود ،

وما وصفت به مصر من أنها « أرض العبيد » فترد عليها «حداريا » الصغيرة قائلة :

. . . . „יא אללה", אמרת, „איך אפשר? אני בטוחה שאבא שלי ואבא של אבא שלי, ואף אחד מאתנו לא היה עושה דברים כאלה לך או לאבא שלך או לאבא של אבא שלך. אני אוהבת אותך, את חברה שלי!"

(٢٩)

« يا الله . قالت ، كيف يمكن هذا ؟ انني واثقة من أن أبي وجدي لم يفعلا ذلك ،بل لم يفعل أحدنا هذه الأمور لك أو لأبيك أو لجدك ، انني أحبك فأنت صديقتي .. »

بيد أن الكاتبة تؤكد وتكرر ايمانها بما ورد في هذه الترانيم ، ثم تؤكد أن « فلسطين هي أرضهم الموعودة » ، ومرة أخرى ترد عليها حداريا الصغيرة قائلة :

. . . . „אבא שלי עלה לרגל למכה וכאשר הוא מתפלל הוא פונה אל מכה, אבל בכל זאת מצרים היא ארצו. אז, כמובן, את תעלי לרגל לפלשתין, כיוון שנבי מוסה שלכם הוליך אתכם לשם. פלשתין היא מכה שלך, זככה זה בדת, אבל מצרים היא הארץ שלך, ואנחנו תמיד נהיה חברות טובות".

(٣٠)

« لقد سافر أبي ليؤدي فريضة الحج ، وهو حين يصلي فانه يجعل مكة قبلته ، ومع ذلك كله فان مصر هي وطنه . وهو ما ينطبق عليك حين تذهبين الى فلسطين كي تؤدي فريضة الحج ، فهي القبلة التي اتجه اليها نبيكم موسى معكم ، ففلسطين بالنسبة لكم هي مكة ، وهذا هو الدين ، ولكن مصر هي وطنك وسنظل دوما صديقتين طيبتين » .

وكأن طفلة مصرية صغيرة منحت بيانا كفانا مؤونة الرد أو التفنيد، نبتة صغيرة عبرت عن روح شعب بأسره ، روح سمحة عبرت عن تاريخ طويل — طول الزمان — فيه تعايشت الأديان على اختلافها على ثرى مصر فى حب وأمن وسلام ، وبالرغم من ذلك كله ترد « جاكلين » عليها قــائلة :

דבריה של חדריה היו דברים של טעם, ובכל זאת, ניבא לי לבי שהענינים אינם פשוטים כל כך. א נ ח נ ו נבחרנו והבטיחו לנו שנחזור לארץ היעודה.

(٣١)

كانت كلمات حداريا ذات معنى ، وبالرغم من ذلك ، فقد أنبأنى قلبى أن الأمور ليست سهلة الى هذا الحد • فقد وقع علينا الاختيار وتلقينـــا وعدا بأن نعود الى أرض الميعاد »!

أما رواية اسحق جورمزانو جوزن(٣٢) יצחק גורמזאנו גודן

وعنوانها ‏ קיץ אלכסנדרוני « صيف اسكندرى »(٣٣) .

فانها لا تدور حول السيرة والتراجم الذاتية كما فى قصص كل من راحيل مكابىوجاكلين كاهانوف ، وانما هى رواية ابداعية تتضمــن مختلــف المقومات الفنية للقصة من حيث الحبكة والشخصيات وتطور الحـــدث فهى تدور حول حياة الأسر اليهودية فى اسكندرية فى العقد الرابــع من هذا القرن ، وقد خلع الكاتب فيها على هذه الأسر صفات وخصالا تنطوى على قدر كبير من الثراء ورغد العيش ، فمن بين هذه الأسر تبرز أسرة هوايتها سباق الخيول ، ويحاول رب الأسرة أن يحقق فى ابنه طموحات لم يستطع تحقيقها فى نفسه ، ويعانى الابن من ذلك معانــاة قاسية ثم تتطور أحداث الرواية ويقف الابن فى مضمار السباق متنافسا مع « دافيد » القادم من صحراء ليبيا ، وهو فتى أسود اللون نحيف القوام امتلا وجهه بالتجاعيد •• والرواية لم تخل من الثناء على جمــال

المنطقة التى تدور فيها الأحداث . حتى أن الكاتب يصف الاسكندرية بأنها ملهمته التى تؤجج فى وجدانه الخيال :

אותה אלכסנדריה שידעתי בילדותי, אלכסנדריה זו המזינה את דמיוני יותר מעשרים שנה, מזמן שיצאתי ממנה בעשרים ואחד בדצמבר אלף תשע מאות חמישים ואחת, ואני אז בן עשר.

(٣٤)

« تلك الاسكندرية التى عرفتها فى طفولتى ، الاسكندرية التى أججت خيالى أكثر من عشرين عاما ، منذ أن خرجت منها فى الحادى والعشرين من ديسمبر عام ألف وتسعمائة وخمسين ، حين كنت فى العاشرة من عمرى .. »

وحين يحكى عن صيف الاسكندرية يقول :

. . . . , לספר על קיץ באלכסנדריה אני אומר: נופש, מירוצי סוסים, שיט מפרשיות, דיג קיפודי־ים, וליית סרטנים, רומנים אפלטוניים (ולא־כל־כך אפלטוניים), פקקי־תנועה, פקקי־תנועה, צפירות, צפירות, צפירות של מכוניות ומכוניות ועוד מכוניות, כולן נוהרות אל ה״קורניש״, אותו רחוב המשקיף אל הים, שהיו הנופשים שוכרים שם צריפונים כדי שלא יהיו אנוסים להתפשט במלתחות הציבוריות

(٣٥)

« حين أحكى عن صيف الاسكندرية فاننى أقول : استجمام ، سباقات الخيول ، الملاحة بالمراكب الشراعية صيد قنفذ البحر ، التهام الكابوريا ، الروايات الأفلاطونية وغير الأفلاطونية ، النفير ، النفير ، وسيارات وسيارات وسيارات ، كلها تتدفق نحو الكورنيش ، ذلك الشارع الذى يطل على البحر ، وكان المصيفون يستأجرون فيه عششا لكى لا يكونوا مضطرين لخلع ملابسهم فى الحجرات العامة لخلع الملابس .. »

ثم يأتىوصف القاهرة والاسكندرية معا عن طريق الحوار الساخن والملتهب بين طالبين أحدهما قادم من القاهرة ليقضى فترة الصيف فى الاسكندرية ، والثانى من الاسكندرية ذاتها ، وكل منهما يحب مدينـــة حبا شديدا ، ومن خلال ثناء كل منهما على مدينة وهجاء المدينة الأخـرى أظهر الكاتب محاسن المدينتين وعيوبهما فى آن واحد :

״...ו, מכאן דרך קצרה לשאלה הנצחית, איזו עיר "שוָה" יותר, קאירו או אלכסנדריה. כנגד טענתו של ויקטור שקאירו היא הבירה, אומר רובי שאלכסנדריה היא הנמל השני בגדלו בים־התיכון והגדול במזרח־התיכון. ואם, כדברי ויקטור, קאירו גדולה יותר ומספר תושביה רב יותר, "אלכס," כדברי רובי, "יותר תרבותית!" ויקטור מוחה בהתמרמרות, דבר מופרך הוא מעיקרו, אבל רובי בשלו: "חוץ מזה, באלכסנדריה יש ים, ומה יש בקאירו? מדבר!" "פיראמידות! אחד משבעת פלאי־עולם!" "וכאן המגדלור גם זה אחד משבעת פלאי־עולם!" "

(٣٦)

«ومن هنا كان الطريق المختصر للسؤال الابدى:أى مدينة أكثر قيمة القاهرة أم الاسكندرية ؟ فردا على مزاعم فيكتور بأن القاهرة هـى العاصمة ، يقول روبى ان الاسكندرية هى ثانى موانىء البحر المتوسـط حجما ، وأكبر موانىء الشرق الأوسط • واذا كان فيكتور يقـول ان القاهرة أكبر وأن عدد سكانها أكثر كثيرا ، فان الاسكندرية ــ طبقا لكلام روبى ــ «أكثرتحضرا» ، وفى الاسكندرية يوجد بحر ، فماذا يوجد فى القاهرة ، صحراء ! » أهرامات : أحد عجائب الدنيا السبع ! فهنا الفنار ، وهو أيضا من عجائب الدنيا السبع •• » • ثم يصف جور مزانـــو الاسكندرية بأنها مدينة يستطيع الفقراء أن يعيشوا فيها حياة هانئة خالية من التعقيدات وارتفاع تكاليف المعيشة فيقول :

.... לכן אני אוהב
אותה כל־כך, את אלכסנדריה. עיר שנתנה בידך לחיות חיי לורד
חסרי דאגות בלי שתהיה מיליונר.
אתה משתכר משלושים עד מאה לירות שטרלינג לחודש. משלם
ארבע וחצי לירות שכר דירה, וחי בארמון, מוקף משרתים שכל
אחד מהם משתכר שתי לירות לחודש.

(٣٧)

« اننى على أية حال أحب الاسكندرية ، تلك المدينة التى تستطيع أن تحيا فيها حياة اللوردات دون متاعب ، ودون أن تكـون مليونيرا ، انـك تنفق من ثلاثين الى مائة جنيها استرلينيا ، وتدفع أربعة جنيهات ونصفـا ايجارا للشقة ، وتعيش فى قصر ، محاطا بالخدم الذى يتقاضى كل منهم جنيهين فى الشهر كأجر » •

وإذا كان الكاتب قد أسهب فى وصف الطبيعة المصرية ، واثنى على الآثار التى تتمتع بها مصر ، وعلى يسر الحياة فيها ، الا أننا لانعثر ـ فى الرواية كلها على وصف ايجابى واحد للانسان العربى بوجه عـام والمصرى بوجه خاص ، بل ان شعورا سلبيا يخالجنا حـين ننتهـى من قراءتها ، وهو شعور لا يبرىء ساحه الكاتب من حيث تعمده وصـف المصريين بالصفات السلبيه الكثيرة التى بثها بين ثنايا الروايه من اولهـا حتى نهايتها • فبالرغم من أن احداث الروايه تدور على ارض مضريه وبين المجتمع المصرى ، الا ان الشخصيات المصريه الممثله فيها عبارة عـن « الخادم » و « البواب » و « مروض القرود » الذى يمسك فى يـده قردا ودفا ويبعث فى الشوارع ضوضاء انتظـارا لقـروش قليلة من هذا أو ذاك ، بالاضافة الى « أولئك الجالسين على المقهى لا عمل لهـم سوى تدخين النرجيلة والاستماع الى أغانى أم كلثوم » بل أن سـلبية الصفات عند الكاتب وصلت الى حد قوله :

.... שהיו הנופשים שוכרים שם צריפו־
נים כדי שלא יהיו אנוסים להתפשט במלתחות הציבוריות "עם
כל הערבים".

(٣٨)

« ان المصيفين كانوا يستأجرون هناك عششا لخلع الملابس كـي لا يكونوا مضطرين لخلع ملابسهم فى الحجرات العامة لخلع الملابس ـ سويا مع كل العرب » .

وكأن الاقتراب من العرب فى مكان واحد من شأنه أن يصيبهم بالأوبئة والأمراض ، أو كأن هذا الاقتراب سيحط من قدرهم وجلالهم وسموهم !! ولم يكتف الكاتب بانتقائه مهنة البواب والخادم ومـروض القـرود والعاطلين للشخصيات العربية المصرية فى روايته ، بل انه وصف هؤلاء أيضا بأنهم شخصيات تحمل فى داخلها الرذيلة والخيانة وسوء المقصد ، فالخادم يرلود خادمة أخرى عن نفسها ، ثم يحاول بعد ذلك مراودة سيدته[39] ... كما أن البواب والخادم « لا يعملان الا اذا حصـلا على البقشيش لأنهما لا يقنعان بأجرهما » ، بل أن الخـادم « تخلى عن أمانته وقتل ضميره فى سبيل قروش معدودة حين أرسله «فيكتور» ليضع خطابا فى صندوق البريد ، وأرادت الجدة أن تعلم سر الخطـاب فراودت الخادم « سالم بالترهيب تارة وبالترغيب تارة الى أن حصلت على ما تريـد .

סבתא מבינה שרק הבקשיש יתיר את מוסרות־פיו.

"אל־קאהירא," באה התשובה.

"ואל מי בדיוק בקאירו ?"

עוד מיל בקשיש והאינפורמציה נפלטת החוצה, כמכונה האמ־ריקאית הזאת שאתה עולה עליה ומכניס חצי פיאסטר ויוצא פתק עם המשקל שלך.

(٤٠)

« فالجدة تدرك أن البقشيش فقط هـو الذى سيخرج أسراره المكتومة » .

الى القاهرة : جاءت الاجابة

والى من بالضبط فى القاهرة ؟

مليم آخر من البقشيش وتندفع المعلومة الى الخارج ، كتلك الآلة الأمريكية التى تصعد عليها ثم تضع فيها نصف قرش فتخرج تذكرة صغيرة عليها وزنك ... »

* * *

الفصـــل الثـــالث

صورة مصريى الارض المحتلة فى الأدب العبرى

واذا كنا قد تحدثنا عن صورة مصر فى عيون أبنائها من اليهـــود المهاجرين الى فلسطين ، وهى صورة تراوحت بين الايجابية والسلبية ، فاننا هنا بصدد صورة المصرى الزائر لفلسطين أو المقيم فيها فى نظـر أدباء العبرية ذوى النشأة المختلفة • وهى فى مجملها صورة سلبية تتسم بالكراهية التاريخية لمصر وأهلها وكل من وفد منها ، حيث توصف هذه النوعية من المصريين بالجهل والتخلف، والحماقة والرعونة والأنانية وغير ذلك من صفات سيئة تنضح بالحقد والذعر وتعود بجذورها الى العنصرية التى تميز فكرهم الأسود والتى تشكل فكرتا الاختيار والخلاص شقى الرحى فيها ، والتى ينظرون من خلالها الى أبناء الشعوب الأخــرى باعتبارهم جنسا من الدرجة الثانية أو الثالثة لا يرقـى الى مرتبتهـم السامية !! ومن عجب أن فكرهم العنصرى الذى حدد نظرتهم الى أبناء الشعوب الأخرى لم يقتصر على مجال الصراع بين اليهود وغيرهم ، بل أصبح أكثر عمقا واتساعا حتى بات هذا الفكر العنصرى يحدد نظرة الاسرائيلى للاسرائيلى الآخر • وليس أدل على ذلك من ثنائية الاشكنازيم (يهود الغرب) والسفاراديم (يهود الشرق) التى تهدد المجتمـــع الاسرائيلى وتعصف بأمله فى الاستمرارية والبقاء فهاهم يهود الغــرب ينظرون الى يهود الشرق ـــ بما فيهم يهود مصر ـــ نظرة متعالية ، ويرجع ذلك كله الى ما ينطوى عليه المجتمع الاسرائيلى من تناقضات طبقيـــة وطائفية وثقافية فالأصول القومية ليهود اسرائيل تعود الى أكثر من مائة دولة(١) ، والأصول الثقافية لهم ترتبط بنحو ثمانين لسان(٢) ، ولذا يصعب ايجاد تآلف صناعى بين مختلف هذه الطبقات والطوائف والثقافات ، بل ان هناك من العوامل النشيطة ما يؤدى الى تفاعل هذا الصراع واحتدامه وتعميقه ، نذكر ـــ على سبيل المثال ـــ منها الصراع بـــين العرب واليهود داخل الأرض المحتلة •

وترتيبا على ما سبق فان نظرة أدباء العبرية الى مصريي الأرض المحتلة لا تتعدى أن تكون نظرة يهود الغرب الى يهود الشرق ، وهي نظرة — كما أسلفنا القول — تتسم بالتعالي والغرور ولذا فان صورة هؤلاء المصريين تتسم دوما بالسلبية ، ومن عجب أن هذه الصورة السلبية قد تعدت كل الحواجز والحدود المألوفة في الصراعات الانسانية حتى وصلت الى الساحة الدينية ، فسخرت من رجال الدين وتلاميذهم وطرق تعليمهم وغير ذلك من أمور تلقى الاحترام والتوقير من كل انسان بصرف النظر عن عقيدته وجنسه . أما عن النظرة العنصرية للجنس فحدث ولا حرج ، فالأدب العبرى ملىء بهذه النظرات اللاانسانية !

فها هي قصة جدعون تلفاز[٣] . גדעון תלפז

מי ורדים מפורט סעיד

« ماء الورد من بور سعيد »[٤] ، تصور المصرى باعتباره « خادما خائنا لا يستحق الا أن ينحنى ويركع دو ما ... »

وتدور القصة حول رحلة قامت بها أسرة يهودية من مدينة ملبورن فى استراليا الى فلسطين مرورا ببور سعيد ، حيث استقبلهم فيها السيد « عنتابى » وهو صديق قديم للأسرة كان يعمل — فترة شبابه — مساعدا « للجد » فى أعماله التجارية فى مدينة « صفد » فى فلسطين قبل أن ترحل الأسرة كلها الى استراليا مما اضطر « عنتابى » للهجرة الى بور سعيد حيث أقام فيها بصفة دائمة واستطاع أن يحقق نجاحا هائلا فى أعماله وأن يكون ثروة عظيمة مكنته من أن يعيش حياة الرفاهية . وقد كانت هناك قصة حب قديمة بين السيد « عنتابى » وبين الأم قبل أن تتزوج بآخر ، وبالرغم من أن الأم ترملت بعد ذلك الا أن عنتابى ظل محافظا على حبه لها ... فبعد أن مات الزوج قررت الأم وأولادها العودة الى فلسطين ، وفى أثناء عودتهم عرجوا على بور سعيد حيث تم اللقاء مرة أخرى بين الأم وعنتابى الذى استضافهم عدة أيام فى قصره فى

بور سعيد . اخبرته الأم خلالها أنها بصدد افتتاح لوكاندة فى القدس ، فأعرب عن استعداده لمساعدتها اذا أرادت ، ثم واصلت الأسرة رحلتها الى فلسطين عبر مدينة القنطرة •

وبالرغم من أن هذه الأسرة اليهودية لم تمكث فى بور سعيد الا قليلا . لكن المؤلف لم يشأ الا أن يصور مصر بالعديد من السلبيات ، بدءا من وصول الباخرة الى الميناء ورؤيتهم لمندوبى الفنادق والشركات السياحية والباعة الجائلين والغوغاء والحمالين « الذين أصابوهم بالذعر والخوف والاضطراب »[٥] ومرورا « بشوارع بور سعيد الكئيبة »[٦] « وبالخدم المصريين الذين يملأون قصر عنتابى . ولا يكفون عن الانحناء والركوع أمامهم »[٧] ونهاية بالرحلة الى فلسطين عبر القنطرة ، حيث استقلوا قطارا « قذرا ، يغطيه التراب ، ذا رائحة كريهة ، يستقله أناس يبعثون على الخوف والملل »[٨] •

وأخيرا تصل الأسرة الى القدس ، وتفتتح الأم لوكاندة ، ويعلم عنتابى فيرسل لها العديد من الهدايا بين الفينة والأخرى ، حتى كانت أعظم هداياه فى عيد ميلادها : عبدا مصريا اسمه « أحمد » يصفه الكاتب قائلا :

כושי תמיר וכה־
שחור, גלימתו הצחורה, הארוכה, מבהיקה כשנהב על שחור עורו.
על מותניו חגר אבנט ארגמני רחב, ועל פדחתו שמוט היה תרבוש (٩)
אדום־כהה בעל גדיל מפוז.

« زنجى طويل القامة ، لونه أسود داكن ، ذو جلباب أبيض طويل ، يتألق على جلده الأسود كأنه عاج ، يتمنطق حول خصره بحزام أرجوانى ويضع على جبينه طربوشا أحمر داكنا ذا جديلة تتراقص » •

وفى البداية قررت الأم أن تعيده ثانية الى السيد عنتابى ، ولكن تحت ضغط ابنتها وتوسلاتها أبقت عليه بعد أن وصفته ابنتها بقولها :

הביטי עליו, בריא כשור־הבר. (١٠)

إنظرى اليه ، انه معافى كالجاموس ••• » !

وبسرعة أصبح هذا « العبد الزنجي » ساعدها الأيمن . ثم تنتقل القصة الى الصراع المحتدم آنذاك بين اليهود والانجليز فى فلسطين . وتشير الى أن الابنة كانت تساعد منظمة الهجانا[11] ضد الانجليز وانها كانت تخفى لديها موادا متفجرة وحارقه بالاضافة الى كم كبير من الأسلحة ، وقد ساعدها أحمد فى اخفاء كل ذلك . ولكن يتضح بعد ذلك كله أن أحمد كان يبيع الفول السودانى فى الشارع فأحست الأم بأن هذا السلوك يعتبر اهانة شخصية لها فتقرر اعادته الى مصر . وشخصية « أحمد » فى القصة شخصية عبد ذليل ينحنى دائما اذا خاطب أى انسان ، شخصية تتردى فى ركن مهمل لا تغادره الا اذا طلب منها ذلك ، وهو « يقوم بتنظيف الأحذية »«وغسل أقدام الأسرة وتجفيفها » .. وبالرغم من أنه يحصل على مأكله ومشربه وملبسه الا أنه « يخون » الأسرة ويبيع الفول السودانى فى الشارع !

هذه هى احدى صور الانسان المصرى فى اسرائيل ، وهى من أحط الصور السلبية التى ذكرت بها مصر فى الأدب العبرى : والموضوع لا يحتاج منا الى تعليق ، خاصة وأن القضية قد باتت واضحة مكشوفة ، فهى قضية وجدان شكلته أوهام مضطربة ومتناقضة أثرت فى سلوكياتهم على امتداد التاريخ الانسانى كله ، وهى أوهام تناربت بين فكرة « شعب الله المختار » التى اكتظت بها عقولهم وبين فكرة المساواة التى ملأوا الدنيا عويلا من أجلها اثناء وجودهم فى أوروبا ، وبين فكرة « الجنس واللون » التى تقبع فى عقولهم وأفئدتهم والتى تهدم ادعاءاتهم من أساسها وتزيح الستار عن أخطر ما واجه الفكر الانسانى فى عصوره المختلفة .

أما قصة اليعازر سمولى[12] אליעזר שמאלי وعنوانها חלוף משמרות

« تمثيل لورديه » [١٣] فقد تعدت تلك الحواجز واجتازت كل ضوابط الفكر الانسانى ووصلت الى ساحة الدين التى يجلها كل انسان وينأى به عن أن تكون موضعا من مواضع الخصومة أو العداء أو طرفا من أطراف الصراع بين الانسان والانسان .

والقصة تدور حول اثنين من المدرسين يعملان فى فلسطين ، أحدهما مصرى والآخر يهودى ، وذات يوم قرر المدرس اليهودى أن يزور المدرس المصرى أثناء عمله فى الفصل الدراسى ، فاستقبله المدرس المصرى المصرى بالترحاب ، وحين دخل المدرس اليهودى فوجىء بأن الحجره غير صحيه على الاطلاق فهى « معتمة ، لا تدخلها الشمس ، خالية من كل أثاث » وأن الأطفال يفترشون الارض ، وان الحديث بين المدرس المصرى وبينهم لا يدور الا من خلال الجلد والسياط واللعنات ، ولذا فقد انبعثت منهم أصوات « تصم الآذان وتعصف بالأعصاب والأحاسيس أطفال أجسامهم عارية ، حفاة الأقدام ، أنوفهم ترشح بصفة دائمة ، يئنون من ذلك المدرس القاسى » ذلك المدرس « طويل القامة ، عريض المنكبين ، حافى القدمين ، يرتدى سترة طويلة ، ضخم الجثة ، يضع فوق رأسه طربوشا متهالكا ، ويمسك بعصا طويلة فى يده ويضرب بها ما يشذعن القطيع فيوقظ هذا ويوبخ ذاك ، ويلعن علانا ويلكز الآخر ، ويشوه وجه طفل ويفقد الآخر عينيه » والأطفال بدورهم لا يكفون عن الضجيج واثارة الشغب .

فالصورة العامة التى يذكرها المؤلف تتسم بالجهل والتخلف والكآبة، وكأنه ليس فصلا دراسيا لتعليم الدين ولكنه أرض قاحلة جرداء سيق اليها قطيع همجى من الأغنام يقوده راع متعجرف أحمق ، فالفصل سيىء والأطفال أسوأ والمدرس أكثر سوءا .. وبعد تسعة شهور من هذه الزيارة يلتقى المدرس اليهودى بالمدرس المصرى فى القطار عن طريق الصدفة . ويعرف منه أنه فى طريق العودة الى مصر ليقيم فيها بصفة دائمة ، لأن أهل القرية التى يعمل فيها قاموا ببناء مدرسة جديدة وأنهم استغنوا عنه ليأتوا بمدرس جديد أحاطوه بالرعاية والاهتمام بينما أحاطوه هو بالسخرية والازدراء ، مما يعد جحودا ونكرانا للجميل ،

خاصة بعد أن بذل عمره وأفنى صحته فى تعليم الأجيال المتعاقبة من مسلمى هذه القرية . ثم يلقون به فى نهاية المطاف خارج المدرسة ساخرين منه ، مما اضطر هذا المدرس أن يصفهم بأنهم « ذوو وجوه متحجرة » وأن « ايمانهم ضعيف » بل انهم « كفار ملحدون » لا يعرفون الرحمة ولا يخشون يوم لقاء الله !!

وهكذا لم ينج أحد من سلبية الصفات التى أطلقها المؤلف على الحجرة والمدرس والأطفال والآباء والعملية التعليمية ذاتها ، وحتى المدرس الجديد لم يسلم هو الآخر فهو « يغطى رأسه بشال كأنه عضو فى عصابة » .. ومهما بذل الكاتب منجهدليقنعنا أن الفكرة الرئيسية التى تدور حولها القصةهى ازاحة القديم من أجل الجديد ، الا أنه لم يستطع أن يخفف من غلوائه وتحقيره لصورة الانسان المصرى فى قصته ، ومن الغريب أن الكاتب يصور المدرس اليهودى بأنه رقيق القلب يعطف على المدرس المسلم بين الحين والآخر بينما يصف المسلمين الذين تعلموا على يديه بأن « قلوبهم متحجرة — كفار لا يعرفون الله » .. فالوصف الايجابى الوحيد فى القصة يتعلق بالمدرس اليهودى ، وأما ما دون ذلك فهى صفات سلبية سوداء تنبىء عن كراهية شديدة لمصر والمصريين بل العرب والمسلمين جميعا . ، ونظرا لأن القصة تتضح — فى كل سطر من سطورها — بالكثير من الصور السلبية ، لذا رأينا أن نترجمها كاملة ، لعل القارىء يقف معنا على الأبعاد الكلية والفرعية لفكر الكاتب ..

— تغيير الحراسة

بعيدا عن أعماق الوادى ، تبدو القرية العربية من فوق قمة الجبل جرداء خاوية،ولكن حين تسلقنا الجبل وصعدنا اليها ووقفنافىالنهاية عند حدودها ، حف بنا جو من الحيوية والازهار لم نكن نتوقعه . فاشجار التين والتوت والرمان تزدهر من حولنا وتتفتح أوراقهافيكسوهاالاخضرار والاحمرار فى آن واحد . وقد اسقطت أشجار المشمش والخوخ ثمارها على المنحدرات بغزاره . وينبوع يشق له طريقا بين الأحجار الضخمة القديمة ، فينساب بمائة الدافق الشفاف الى الوهاد (الممرات) الملتويه فيسحن الرمال ويفتتها .

جلسنا وأخذنا قسطا من الراحة فجددنا نشاطنا بعد جهد هائل بذلناه في الصعود والذى استمر قرابة الساعة . غسلنا أقدامنا بالماء البارد . واستمتعنا بما تراه أعيننا من ازهار وحيوية ، وفجأة وصلت الى أسماعنا صوت عذاب وصراخ لفيف من الاطفال ، صوت أنين ينبعث من مبنى كبير وقديم يقع فى مواجهتنا عند مدخل القرية .

الأطفال الدين اصطحبتهم ليتعرفوا على الجبل ونباتاته ، التفتوا مندهشين ومذعورين ونظروا حولهم بفضول .

ـ انها اصوات أطفال كتاب تنبعث من المدرسة العربية فى القرية ـ قلت ذلك بهدوء حتى أخفف من روعهم .

وأرادوا ـ من شدة غضبهم وحنقهم ـ أن يروا ـ رؤيا العين ـ تلك المدرسة العربية . فقررنا الذهاب اليها وزيارتها . وبعد دقائق معدودة وقفنا متجمعين بالقرب من بابها ونافذتها ننصت الى الأصوات الكثيرة التى تنبعث من داخلها كأنها مياه تتهدر من آبار ، أصوات تصم الآذان وتعصف بالأعصاب والأحاسيس .

بالقرب من مسجد القرية القديمه ذى القباب الضخمة ، تقع المدرسة ، بل تلتصق به وتجاوره ، والمدرسة أيضا قديمة ويعلوها قبة ؛ وتدور أحاديث الجلد والسياط بين جدرانها وجنباتها كأنها مخلوقات عاقلة .

أما الحجرة الكبيرة فقد غشاها الظلام . فبدت وكأنها خالية من كل أثاث ، وجلس عشرات التلاميذ على هيئة حلقات فوق حصير مفروش على الأرض . ومن بينهم أطفال حديثو السن بأجسامهم العارية وأنوفهم التى ترشح بصفة دائمة . ومن بينهم غلمان يرتدون العمامة ويرتدون ملابس طويلة ملونه ، وهناك أيضا فتيان تتألق الطرابيش فوق رؤوسهم وأصبحت شواربهم على وشك الظهور ، وأمام كل مجموعة وضعت كتب ضخمة فوق الحصير ، وجميعهم يتمايلون ويقرأون بأصوات

عالية . يصرخون ويزعقون ويغنون ... ويشرف عليهم جميعا المعلم ، وهو رجل طويل القامة عريض المنكبين حافى القدمين يرتدى سترة طويلة ، ضخم الجثة ويضع فوق رأسه طربوشا قديما يلفه شال أبيض ، منتصب القامة ، وقف متجها بظهره ناحية النافذة ووجهه الى الحجرة . يمسك بعصا طويلة فى يده ويضرب بها ما يشذ عن القطيع فيوقظ هذا ويوبخ ذلك ، ويلعن فلانا ويلكز القريبين منه بعصاه ، يشوه وجهه ويضيع ضوء عينيه ، يتحرك ناحية الضوضاء والضجيج ويسيطر على كل ما يحيط به .

وحين شعر بالضيوف غير المدعوين الذين يتجمعون عند البـــاب والنافذة ، نادى فى الأطفال بالصمت واسكت الضوضاء ، ثم خرج الينا عند باب الحجرة ورفع يده عند جبهته محييا ايانا بينما كان وجهه مبتسما فرحب بنا . كان هذا عربيا مصريا : رجلا عملاقا وضخم الجثة ، كله اسمر كما لو كان كتله من البرونز ، ويقترب عمره من الستين . وكان وجهـــه المستدير مليئا بمجموعات من الشعر الرمادى ، واكتست جبهته العريضة بالتجاعيد العميقة وتبرق عيناه السوداوان وتبتسمان — أنا مدرس — قلت معتذرا ومددت يدى اليه — من القرية المجاورة التى فى الوادى .

— مرحبا ياأخى ! — قال المضيف ومدلى يده ثانية وقال : أهـــلا وســـــهلا .

— سألته : « ما اسمك أيها المدرس ؟ »

— أجابنى مبتسما : أنا ابراهيم المصرى .

— وكيف حالك ياحاج ابراهيم ؟

— هأنذا أعلم يا اخى ... أعلم كما ترى بعينيك — أجاب بصـــوت أبح .

سألته مترددا ..

— هل تسمح لنا بزيارة مدرستك أثناء الدرس يا حاج ابراهيم ؟

أهلا ومرحبا بضيوفنا !

وقفنا بجانب حائط الحجرة . واتخذ المدرس مكانه الموقر بجانب النافذة ووقفت الى جواره كضيف شرف ارتفعت العصا كاشارة ثم بدأت بعدها الهمهمة والضوضاء تدوى فى الفضاء المعتم ، وأخذ الصياح يتزايد تدريجيا •

وقفت الى جانب مطحنة مائية تهتز وترمجر بقوة ، نظرت الى المدرسة ، لم يكن يصغى فقط الى جوقه المنشدين بل كان يستمع الى الضوضاء التى تحدثها كل مجموعة بمفردها فيكتشف الأخطاء التى تتفوه بهـا • ثم نادى المدرس وأشار بعصاه ناحية أحد التلاميذ :

ـ أنت ، أعد مرة ثانية !

ـ وأنتم ، أنتبهوا الى الآية الأخيرة ـ قال بغضب وهو ينظر ناحية تلميذ آخر •

ـ اللعنة على أبيك أيها الكسلان ـ قال ذلك وهو ينقض بعصاه على طفل صغير يجلس عند الطرف الآخر من الحجرة ـ الوقت ليس وقت تسميع !

وفجأة رفع الحاج ابراهيم يده وأمر الأطفال بالسكوت ، فاتجهت اليه كل الأنظـار •

ـ تقديرا لك يا أخى ـ سوف أجرى اختبارا للتلاميذ ـ قال لى بينما كان يضع يده على صدره ـ لكى تقف على ما نعلمه فى مدرستنا •

ـ أنت ـ قال وأشار بعصاة ، اتل فاتحة القرآن :

وقف طفل صغير يرتعد من الخوف ، وقف متوترا لأقصى درجة ، ونظر الى عينى المدرس مباشرة وبدأ يرتل بصوت منتحب : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، ملك يوم الدين ، اياك نعبد واياك نستعين ، اهدنا الصراط المستقيم •••• » •

وأنت ــ أشار الى طفل آخر ــ أسمع كلام البخارى !

قام غلام أسمر صغير ، استقام بجسده ، وألقى خلفه بأطراف الشال الذى يلف رأسه ، ثم بدأ يسمع شفاهة « جاء رجل الى رسول الله ــ عليه الصلاة والسلام ــ وقال : يارسول الله : من أحسن الناس بحسن صحابتى ؟ فقال : أمك . قال : ثم من ؟ قال : أمك . قال : ثم من ؟قال: أمك . قال : ثم من : قال : أبوك ... »

ــ وأنت ، أعد على كلمات ياقوت(*) .

وعلى الفور وقف غلام يضع على رأسه عمامة ، رفع رأســـــه ثم قـــال :

روى لى رجل قائلا : « قلت لرسول الله ــ عليه الصلاة والسلام ــ ما هو أول مسجد بنى على سطح الأرض ؟ قال : المسجد الحـــرام بمكة . قلت : وما هو المسجد الذى تلاه ؟ قال : بيت المقدس فى القدس الشريف .

ــ وأنت ، أيها الغلام الصغير ، أتل لنا ما يتيسر من قصة سيدنا سليمان والهدهد :

وقف طفل صغيرا جدا فى مكانه ، مسح أنفه بيمينه ويســـاره ، ثم سعل وبدأ يتلو شفاهة بصوت منفرد « جاء الهدهد ــ ذات يوم ــ الى سيدنا سليمان ، وكان يحمل فى فمه اناءذهبياءأحضره معه كهدية . قدم الهدهد الاناء ثم قال له : ها قد أحضرت لك هدية على قدر امكانياتى.. »

ــ عظيم جدا يا أبنائى ــ قال الحاج ابراهيم وهو ينظر نحـــوى فخورا متباهيا ــ خيرا ماطلبتم ... ــ ثم أخرج ساعته من جيب سترته الداخلى ونظر فيها ثم قال : حانت ساعة الظهر ، اذهبوا الى بيوتكم فى ســـــــلام .

(*) ياقوت الحموى .

اندفع التلاميذ الى الخارج محدثين ضوضاء وضجيجا ، ونحن وراءهم • حييت المدرس بسيجارة ، وجلسنا لنستريح ولندخن سويا فوق أحد الأحجار الضخمة تحت ظلال المدرسة •

ــ هل أنهيت عملك اليوم ياحاج ابراهيم ــ سألته وأنا ألتقط نفسا عميقا ــ والحمد لله ؟

ــ لا ياأخى ــ نفخ سيجارته وطرق بلسانه مستنكرا ــ هــــذا نصف العمل ، وبعد ساعة سنستأنف عملنا حتى المساء •

ــ العمل يستغرق اليوم كله ؟

ــ من الشروق حتى الغروب •

ــ أليس لك راحة أو أجازة ؟

ــ أيام العيد فقط •

ــ وشهور الصيف ؟

ــ لا ياأخى • انها ليست مدرسة حكومية • ولكنها مدرسة خاصة • مدرسة فى قرية •

ــ ومن يدفع لك أجرك ؟

ــ كل أب بمفرده •

ــ وماهى قيمة أجرك ؟

ــ مكيال من القمح فى السنة •

ــ ألايوجد لك مورد رزق ؟

ــ ارادة الله ــ أجاب مبتسما ــ ليس لى زوجة ولا أبناء ، جئت من مصر بمفردى وظللت بمفردى حتى اليوم •

ـــ ومتى جئت الى هنا ياحاج ابراهيم ؟

ـــ منذ عشرين عاما ياأخي ـــ ثم كرر متنهدا ـــ منذ عشرين عاما

جئت الى هنا صبيا معافي لكي أعلم أبناء القرية القرآن والاحاديث والوصايا ، وأدي عملي بأمانة والحمد لله تعالى • بذلت صحتي وقلبي في هذا المبنى المعتم ، ثم قال متلعثما : لقد بدأوا في تشييد مبنى جديدا للمدرسة • هل ترى أكوام الحجارة وشكائر الحصى الموضوعة بجانب البئر ـــ هناك تبنى المدرسة الجديدة •• بعد عشرين عاما بح فيها صوتي وسعل أثناءها صدري وخارت قواي وهلكت صحتي •

ـــ في الوقت المناسب ياحاج ابراهيم ـــ قلت له لأخفف عنـــه ـــ في النهاية سننتقل الى المبنى الجديد الذي ستدخله الشمس والهواء ، فعليك أن تسعد بهذا •

أجاب مستنكرا : يا أخي ـــ نحن كبار السن يطيب لنا القديم ونخاف من الجديد •• ليتني أواصل عملي حتى ولو لسنوات معدودةفي هذا المبنى الذي تشبع كلهبالأيات الكريمة المقدسة وبكلام الله ثم أموت بعد ذلك راضيا مطمئنا •

ـــ بالعكس ـــ قلت ـــ ففي المبنى الجديد ستجدد شبابك وتواصل عملك لسنوات طويلة •

ـــ يا أخي ـــ أجاب حزينا ثم مد لي يده وقال : الذي يبني بيتـــا جديدا يأتي له بامرأة جديدة ـــ وهذا مثل يقال في بلدنا ، وأنا قد بلغت من الكبر عتيا واشتعل رأسي شيبا وخارت قواي وبح صوتي •

ـــ هل ستأتي لتزورني في مدرستي ياحاج ابراهيم ؟ ـــ قلت لـــه وأنا أشير نحو الوادي الاسفل •

ـــ ان شاء الله ياأخي •

وبعد مرور تسعة أشهر كنت أستقل القطار المسافر الى حيفا ، وحين دخلت الى أحدى العربات واذا بى أجد الحاج ابراهيم المصرى ــ أخى فى المهنة . من القرية العربية القابعة فوق الجبل • يرتدى معطفه الثقيل ، يضع فوق رأسه عمامة كبيرة ويلف حول وسطه حزاما عريضا لونه أحمر ، يجلس مائلا فوق أحد المقاعد وقد وضع قدميه فوقه وحمل حذاءه فى يده وبجانبه كيس ضخم مكتظ مربوط بحبلين من أعلاه وأطرافه ، كما وضع بجانبه جرة فخارية جديدة يرشح الماء عن جوانبها . وعلى الرف الذى فوق رأسه حصيره قديمة متهالكة وبطانية ممزقة وكومة من الملابس القديمة البالية وزجاجة نرجيله ملونه يدخن فيها الطباق •

ــ سلام ياحاج ابراهيم المصرى : قلت وأنا أتقدم نحوه « كيف حالك ؟

انتفض ، ونظر لى طويلا ومتأملا ثم قال : أخى وصديقى المدرس: مرحبا ! ثم أنزل قدميه وأخلى لى مكانا على مقعده ، ومد نحوى يده محييا وقد أومأ برأسه عدة مرات •

ــ الى أين تتجه ؟

ــ الى مصر يا أخى •

ــ والله ؟ قلت مندهشا •

ــ والنبى •

ــ ربما لتزور أقاربك •

ــ لا ، ولكن لأقيم هناك بصفه دائمة ــ قال ذلك وهو يتبسم بمرارة وألم •

ــ كيف ذلك ياحاج ؟

ـ كما قلت لك منذ البداية .

ـ ماذا تعنى ياأخى ؟ قلت وكلى دهشة ـ لماذا تحدثنى بأمثال وألغاز ؟ سعل الحاج ابراهيم ثم بصق ، لكي ينقى صوته الأبح الـذى زادت خشونته خلال الشهور التسعة المنقضية ، ثم أشعل سيجارة كنت قد أعطيتها له ، وأخرج الدخان وتنهد تنهيدة طويلة وقال : اسـمع يا أخى ، سأحكي لك بالترتيب .

بمجرد أن بنوا الحوائط وأقاموا سقف المدرسة الجديدة بـدأت قواعدى تنهار . فالأطفال الذين كانت مخافتى تسيطر على وجدانهم بعد مخافة الله ورسوله ، بدأوا فجأة يتغطرسون فى مواجهتى ويسخرون منى ـ هؤلاء الكفار الملاعين ! عشرون عاما وأنا أرفع عصاى على آبائهم واخوانهم وعلمتهم وجعلتهم رجالا ، وفجأة يسخرون منى ويتغطرسون؟

كم من مرة رفعت يدى وهويت بها عليهم .. الطفل مثل الحمـار يا أخى المدرس ـ اذا ما ربطته وأحكمت اللجام حول فمه ينحنى لك برأسه ويرفعك فوقظهره ، واذا ما أطلقت له العنان يلكزك ويلقيك من فوق ظهره ويفر هاربا ومرسلا نهيقه .. ولقد ضربت وركلت على قدر ماوسعنى ، ولكنهم ثاروا ضدى واتخذونى هزوا . وأخرجوا لـى ألسنتهم وقالوا : فلتعلم أن أيامك فى قريتنا أصبحت معدودة أيهـا الزنجى ؟ فسوف يحل محلك مدرس جديد .

ـ ماذا ؟

ـ وحياة الله !

وفى الحقيقة فان هذا هو أساس الضجر ومبعثالفوضى . بدأت أبحث وأسأل ، وتوصلت فى الحقيقة الى هذا . دخلوا [illegible] الى هـ[illegible] المدرسة التى أفنيت فيها عمري ، كأنهم لصـ[illegible]ـوص فى بطن الليل والظلا[illegible] ... عند الساحة وعند كوم النفايات ، فى المسجد وعند الينبوع ، فى كل مكان يتهامسون حول هذا الموضوع ويتحدثون ويتناقشون حـول المدرس الجديدالذى سيأتى من طرف الحكومة .

على ما يبدو فهما (المدرسان) ليسا مزارعين صديقين في قرية واحدة ، ولو كان كذلك لانقسمت القرية على بعضها انقساما أبديا ولدبت النزاعات والمشاجرات ولانتشرت السرقات والتجاوزات ولارتفعت السكاكين والعصى ولسال الدم كالماء ••• ولكنهم بالنسبة لى اتحدوا جميعا •• مدرسة جديدة ومدرس جديد • شاخ الحاج ابراهيم وتقدمت به السن ! اختفى صوته وخارت قواه••والحكومة تتعهد بعهود الشيطان! اللغة الانجليزية . الجغرافيا ، كرة القدم . غرس الأشجار ، تربية النحل . ودود القز ، الى أخره • فهى لم تستبق شيئا الا وأعطته لكى تهمين على أرواح المؤمنين وتجعلهم عبيدا للشيطان •• والايمان ضعيف، وعينا الانسان طماعتان وجائعتان ، لا تعرفان الشبع أو القناعة •• وهل هناك من يقلق على الدين والطقوس ؟ كل انسان يسعى لمصلحته يا أخى ، لملىء الجيوب وتكديس الأموال ••

حاولت أن أهدد الآباء بعصاى ولكنهم انفجروا ضاحكين • توعدتهم بجهنم فسخروا منى،أحدثت ضجيجا فى المسجد فى أيام الجمعة وصرخت متحمسا على الايمان الاسلامى النقى الذى ينهار فى هذا البلد فاتهمونى بأننى مخبول ومجنون • ليس فى هذا البلد الله ياأخى ، واذا كان الأنبياء قد عاشوا فيها من قبل ، كما يحكى الخاشعون الذاكرون فى مؤلفاتهم فان الكفر يتسلل الى كل شىء •

لم أفعل شيئا يا أخى • بنيت المدرسة الجديدة وأغلق الباب فى وجهى • كرست نفسى عشرين عاما لهذه القرية ، وفجأة تنكروا لى ، وأصبحوا جميعا أعدائى • السخرية والتهكم من الأطفال ومن آبائهم ذوى الوجوه المتحجرة • ألست أول من علمهم الصلاة أول مرة ؟ ألست أول من صحح لهم الآيات التى تتناول الأخلاق الحميدة ؟ فليخرب الله بيوتهم ، الملحدين أبناء الملحدين ! حتى مكاييل القمح الخاصة بى لم يكن يريدون اعطائى اياها هذا العام ، ولكن بالصراخ والسباب حصلت عليها من أيديهم وأحيانا بالمشاجرات والمعارك • كنت أمر على الأبواب ، ثم أمر ثانية فى اليوم التالى ! بكيت من شدة الحزن ، هل تعيدونى بعد عشرين عاما من العمل والشقاء حافى القدمين عارى الجسد؟ أليس فى قلوبكم الله ؟ ألا تخشون يوم الحساب ؟

قررت فى نفسى أن أعود لوطنى ــ جئت هنابمفردى دونما أمرأ ولد . ومن ذا الذى سيطعمنى اذا ما مرضت ؟ من سيعد لى فنـ قهوة حين تخور قواى ؟

عشرون عاما مرت على تركى مدينتى وأهلى ، ولكنهم لم ينسو بمشيئة الله خرجت « الحاج ابراهيم » وسأعود « الحاج ابراهيـ يا أخى .

لم أستطع أن أبقى هناك أكثر من ذلك ، لم أدخر وسعا . فمـ أسبوع جاء المدرس الجديد . آه لو رأيته يا أخى ! انه يرتدى سـر قصيرا ومعطفا أشد قصرا (جاكت) ، يغطى رأسه بشال كأنه عضـو عصابة من اللصوص . سنه صغيره وبالتأكيد لا يعرف أن يقول بمـ فاتحة القرآن شفاهة . ويوميا ينتقل مع الأولاد الى الساحــة ويـ معهم كرة القدم . « وأقسم بالله » انه لا يفعل سوى هذاء وهـ تعلم بماذا زين حوائط المدرسة الجديدة ؟ ــ ليس بآيا تجليله القرآن ، وليس بأمثال من الكتب المقدسة الأخرى ــ ولكن علق علـ صورا لأجساد عارية فملعونــة أمه التى ولدتــه ! أجســاد مقطـ ومقصوصة .. تدنيس اسم الله وسب الدين .. ياأخى ــ همس الـ ابراهيم واختلطت كلماته بدموعه ــ وحين تقدمت بى السن ألقوا بى الخارج ، كالآنية الفخارية التى تحطمت .

* * *

هوامش الباب الاول

هوامش التمهيد والفصل الأول

1- נורית גוברין : מעברים בספרות העברית של הדורות האחרונים.
דפים למחקר בספרות. אוניברסיטת חיפה 1985, עמ' 260.

(٢) ارميا : ١١ : ٤

3 — Aubrey Selincourt : The Worad of Horodotus little Brown and Company . Boston, Toronto - 1962 pp. 217 .

(٤) نفتالى هيرش فيزل : ٥ : ١١ ــ ١٨٠٥

اديب عبرى يعتبره بعض النقاد مفتتح الادب العبرى الحديث، ولد عام ١٧٢٥ فى مدينة هامبورج ، وحين انتقل والده التاجر ليعمل فى كوبنهاجن رافقه الفتى فيزل الى هناك ، حيث تلقى تعليما يهوديا تقليديا ، ثم اعقبه بالتعليم العلمانى حتى الم بأربع لغات هى : الألمانية ، الفرنسية ، الدانماركية ، الهولندية ، ومع ذلك فان تعلم اللغات الأجنبية لم يكن محور اهتمامه ، بل الأهم من ذلك هو اقناع ابناء شعبه بحركة التنوير الجديدة (الهسكالا) .

ويشمل انتاجه مجالات التفسير والأخلاق واللغويات ، ولكن شهرته تستند اساسا الى الشعر والمقالات التى تتناول مشاكل الحياة اليهودية .

ورغم ان ابناء جيله قد بالغوا فى اطرائه كشاعر ذى مكانة مرموقة ، فان كثيرا من باحثى الأجيال التالية لم يتحمسوا له . ويمكن أن نصف شعره بأنه ذو طابع دينى غنائى ، ومن اهم اعماله ملحمة « قصائد المجد » التى نتناولها فى بحثنا هذا بالدراسة ، بالاضافة الى الكثير من قصائد المناسبات ، مثل قصائده فى مديح الامبراطور جوزيف الثانى وموشى مندلسون .. وله كتاب بعنوان امور السلام والحقيقة דברי שלום ואמת

قررت فى نفسى أن أعود لوطنى ـ جئت هنابمفردى دونما أمرأة أو ولد . ومن ذا الذى سيطعمنى اذا ما مرضت ؟ من سيعد لى فنجان قهوة حين تخور قواى ؟

عشرون عاما مرت على تركى مدينتى وأهلى ، ولكنهم لم ينسونى ، بمشيئة الله خرجت « الحاج ابراهيم » وسأعود « الحاج ابراهيم » يا أخى .

لم أستطع أن أبقى هناك أكثر من ذلك ، لم أدخر وسعا . فمنذ أسبوع جاء المدرس الجديد . آه لو رأيته يا أخى ! انه يرتدى سروالا قصيرا ومعطفا أشد قصرا (جاكت) ، يغطى رأسه بشال كأنه عضو فى عصابة من اللصوص . سنه صغيره وبالتأكيد لا يعرف أن يقول بمفرده فاتحة القرآن شفاهة . ويوميا ينتقل مع الأولاد الى الساحة ويلعب معهم كرة القدم . « وأقسم بالله » انه لا يفعل سوى هذاء وهل تعلم بماذا زين حوائط المدرسة الجديدة ؟ ـ ليس بآيا تجليله من القرآن ، وليس بأمثال من الكتب المقدسة الأخرى ـ ولكن علق عليها صورا لأجساد عارية فملعونة أمه التى ولدته ! أجساد مقطوعة ومقصوصة .. تدنيس اسم الله وسب الدين .. ياأخى ـ همس الحاج ابراهيم واختلطت كلماته بدموعه ـ وحين تقدمت بى السن ألقوا بى الى الخارج , كالآنية الفخارية التى تحطمت .

* * *

(٨) سفر اللاويين : ٢٦ : ١٣

(٩) سفر التثنية : ٥ : ١٥

(١٠) للمزيد حول هـذا الموضوع ارجع الى كتاب « علاقة الاسلام باليهودية ـ رؤية اسلامية فى مصادر التوراة الحالية • تاليف محمد خليفة حسن • دكتور • القاهرة • دار الثقـافة للنشر والتوزيع ١٩٨٦ ص ٦ وما بعـدها •

(١١) للمزيد من التفصيل ارجع الى محمد خليفة حسن • دكتور • نظرة نقدية فى قضية الأصل المصرى القديم لموسى وديانة • مجلة الدراسات الشرقية • العدد الثالث ديسمبر ١٩٨٥ ص ١٨٧ •

(١٢) سفر الخروج : ٩ : ٢٥ ، ٢٦

(١٣) سفر الخروج : ١٢ : ٣٨

(١٤) سفر الخروج : ١٦ : ٣

(١٥) سفر العدد : ١٦ : ٣

(١٦) سفر الخروج : ٦ : ٩

(١٧) سفر التكوين : ٤٥ : ٨

(١٨) زين العابدين محمود حسن • دكتور • سفر ارميا دراسـة وتحليل القاهرة ١٩٧٩ ص ١٢٨

(١٩) ول ديورانت • قصة الحضـارة • ترجمة محمد بدران • جامعة الدول العربية • الطبعة الثالثة ١٩٦١ الجزء الثانى من المجلد الأول ص ٣٢٦

20 — Robertson. On the tracke of the Oxodus. London 1936. pp. 24.

21 — Ibid. pp. 24.

22 — Pontet. C.P. The Ancient World . London 1912 pp. 2

(٢٣) عبد الوهاب المسيرى ، دكتور : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ، القاهرة ١٩٧٥ ص ٣٦٦

(٢٤) نعمات أحمد فؤاد ، دكتورة ، شخصية مصر ، القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥ ص ٢٦٣

25- קלוזנר, יוסף : היסטוריה של הספרות העברית החדשה . ירושלים 1975, כרך א , עמ' 118.

(٢٦) كلوزنر يوسف : الموجز فى تاريخ الأدب العبرى الحديث ١٧٨١ — ١٩٣٩ تعريب اسحق شموش عكا ١٩٨٦ ص ١٢

(٢٧) الحسيدية : حركة دينية يهودية صوفية بدات فى القرن الثامن عشر ثم اصبحت بعد ذلك عقيدة الأغلبية من الجماهير اليهودية ، ويرجع نجاحها الى اسباب اجتماعية وتاريخية عديدة ، فالجماهير اليهودية كانت تعيش فى بؤس نفسى وفقر شديد ، زادت من حدته التحولات الاقتصادية والاجتماعية التى كانت تخوضها مجتمعات شرق اوربا آنذاك ، وقد صاحب هذه الحركة تدنى فى الحياة الثقافية والدينية داخل الجتيو الى درجة كبيرة وصار اليهود فى شبه عزلة عن العالم .

28- לחובר,פ, תולדות הספרות העברית החדשה. תל-אביב. דביר 1965 כרך א, עמ' 142.

(٢٩) احمد حماد ، دكتور ، المدخل الى الأدب العبرى الحديث ، الجزء الأول القاهرة ١٩٨٠ ص ٤٨

30- نقلا عن קלוזנר, יוסף : היסטוריה של הספרות העברית החדשה, כרך א, עמ' 119

(٣١) كلوزنر يوسف : الموجز فى تاريخ الأدب العبرى الحديث ص ١٥

٣٣ - [illegible] ابراهيم عبد [illegible] . دكتوره . الشعر العبرى الحديث .

[illegible] ٣٢

[illegible] : כרך א, עמ' 122.

-34 ויזל. נפתלי הירץ : שירי תפארת. ברלין, פראג. 1789-1802 עמ' 7

-35 ויזל : שם עמ' 8.

-36 ויזל : שם עמ' 58.

(٣٧) فوطيفار اسم مصرى معناه « عطية اله الشمس » وهو رئيس شرطة فرعون وسيد يوسف (التكوين ٣٧ : ٣٦ ، ٣٩ : ١) وقد رفعه وجعله وكيله على بيته (التكوين : ٣٩ : ٤) الا أن زوجته راودت يوسف عن نفسه ، ولما فشلت محاولتها حملت زوجها على سجنه بتهمة كانت تعلم يقينا ان يوسف برىء منها .

(٣٨) يهودا ليف جوردون : يعد ابرز ادباء مرحلة الهسكالا من حيث شاعريته وجودة انتاجه الأدبى وعمقه . ولد فى فيلنا سنة ١٨٣٠ وتلقى فى طفولته تعليما يهوديا تقليديا ، وفى سن الرابعة عشر شرع فى تعلم اللغة الروسية ، واتصل بالمسكيليم (دعاة التنوير) اليهود فى مدينته وعلى راسهم آدم هكوهين الذى اثر على اشعاره ، ثم مضى بعد ذلك فى تعميق معارفه ولغته الروسية ، كما تعلم غيرها من لغات غرب اوربا . فى عام ١٨٥٦ نظم قصيدته الشهيرة דוד וברזלי داود وبرزيلاى ، كما ظهر كتابه الأول אהבת דוד ומיכל حب داود وميخل ، فى عام ١٨٥٩ نشر فى فيلنا كتابه الثانى משלי יהודה امثال يهوذا ، ثم انتقل فى العام الثانى للعمل فى التدريس . فى عام ١٩٦٥ انتقل الى مدينة « تلز » وهناك نشر كتابه שירי יהודה قصائد يهودا الذى يضم قصائد בין שני אריות بين أنياب السباع האשה וילדיה المراة وبنوها אסנת בת פוטיפרע اسنات بنت فوطيفار التى نتناولها فى الكتاب ، كما يضم قصيدتين من أشهر قصائده هما דרך בת עמי طريق ابنة شعب ، הקיצה עמי استيقظ ياشعبى ، والأخيرة كتبها عام ١٨٦٣ ولها اهمية

خاصة فى انتاج جوردون حيث ختمها بمقولته المأثورة ـ التى اصبحت ـ فيما بعد شعارا لحركة الهسكالا ـ كن يهوديا فى بيتك انسانا خارجه » ، وقد اثارت هـذه المجموعة اصداء قوية لدى جمهور القراء العبريين ، فاشتهر جوردون وعلت مكانته فى حقل الأدب رغم هجوم بعض المحافظين عليه واتهامه بالالحاد .. ولكنـه ـ لدى ازدهار حركة محبة صـهيون חיבת ציון صار اكثر ميلا للخط القومى اليهودى الذى تبنته هـذه الحركة . وقد توفى جوردون عام ١٨٩٢ .

(٣٩) كلوزنر يوسف : الموجز فى تاريخ الأدب العبرى الحديث ص ٥٤

40- גורית גוברין : עמ" 262.

41- גורדון, יהודה לב : כתבי יהודה ל"ב הוצאת דביר 1950 עמ" פז, פח.

42- שם ע"מ פח.

43- גורית גוברין : עמ" 263.

44- גורדון, י"ל : כל כתבי ע" פח.

45- שם עמ" כג.

46- גורית גוברין עמ" 262.

(٤٧) كلوزنر : الموجز فى تاريخ الأدب العبرى الحديث ص ٥٤

(٤٨) المرجع السابق ص ٥٤

49- גורדון : כל כתבי עמ" כמט

(٥٠) احاد هاعام هو التوقيع الأدبى للكاتب اليهودى اشير تسفى جينزبرج אשר צבי גינזברג ، وتعنى هـذه العبارة « واحد من الشعب » :

ويعد آحاد هاعام من اهم الكتاب والمفكرين فى الأدب العبرى الحديث ، وهو رائد التيار الروحى فى الصهيونية الحديثة ـ ولد عام ١٨٥٦ فى مدينة سكفيرا وهى احدى المقاطعات اليهودية فى اقليم كييف جنوبى روسيا . وقد نشا فى عائلة حسيدية متزمته ، فتلقى تعليما . يهوديا تقليديا حتى أن معلمه منعه من تعلم الأبجدية الروسية باعتبار ان ذلك ~~شرنيتش~~ الهرطقة والالحاد ، ولكنه ثقف نفسه بنفسه ، فدرس العلوم والفلسفة ، وقرأ أدب حركة الهسكالا ، والم بكثير من اللغات الأوربية مما ساعده على سعة ثقافته ، وتاثر بالفلسفة الوضعية فى روسيا وبنيتشه وداروين وهردر . وقد دفعته دراساته الجديدة الى هجر الحسيدية . استقر عام ١٨٨٤ فى أوديسا ، التى كانت آنذاك مركزا هاما للأدب العبرى فى روسيا ، انضم الى جماعة محبى صهيون ولكنه انتقدها فى احدى مقالاته تحت عنوان « ليس هذا هو الطريق » ، وهو اول انتاج آحاد هاعام ، وقد أحدث هذا المقال ضجة كبيرة فى الأوساط اليهودية مما اكسب آحاد هاعام الشهرة والصيت . اسس آحاد هاعام جمعية « بنى موسى » وحاول ـ من خلالها ـ نشر المثل القومية اليهودية التى تتفق مع فلسفته ، فى عام ١٩١٦ اصدر مجلة هشيلواح השלוח حيث اسهمت فى تطوير الأدب العبرى الحديث ، استقر فى لندن عام ١٩٠٨ ولعب دورا هاما فى الأحداث التى ادت الى وعد بلفور ، فى عام ١٩٢٢ هاجر الى فلسطين واستقر فى تل ابيب ، وهناك نشر انتاجه فى اربعة مجلدات تحت عنوان على פרשת דרכים فى مفترق الطرق ، كما جمعت رسائله فى ستة أجزاء ، وبقى آحاد هاعام فى تل ابيب حتى توفى عام ١٩٢٧ .

51- אחד העם : כל כתבי אחד העם. תל-אביב. דביר 1965 עמ' שמב.

52- שם עמ' שמב.

53- שם עמ' שמב.

54- שם עמ' שמג. والعبارة مستمدة من سفر الخروج ٢ : ١١

55- שם עמ' שמד. والعبارة مستمدة من سفر الخروج ٢ : ١٣

(٥٦) שם والعبارة مستمدة من سفر الخروج ٢ : ١٤

57- שם עמ" שםד. والعبارة مستمدة من سفر الخروج ٣ : ٦

58- שם עמ" שםד.

(٥٩) حاييم نحمان بياليك ، -هو ابرز شعراء الأدب العبرى الحديث ، ولم يقدر لأحد من الشعراء العبريين ان يتبوأ ما تبواه بياليك من مكانة ادبية واجتماعية أو اهتمام نقدى ، حتى انه لقب بـ « الشاعر القومى الاسرائيلى الحديث » .

ولد بياليك فى روسيا ـ لأبوين فقيرين ، توفى ابوه وكان حاييم مازال غلاما صغيرا ، فقام جده بتربيته ، وهكذا قدر للطفل الصغير ان يعرف الحزن والبؤس من سن مبكره ، بالاضافة الى أن جده كان محافظا شديد التزمت ، فاصطدم الطفل بما فى البيت من الصرامة والجمود الفكرى ، بل ان المعلمين الذين اوكل جده اليهم مهمة تعليمه لم يكونوا أقل منه شده وصرامة ،ولكنه استطاع ـ رغم ذلك كله ـ ان يطلع على بعض كتب الهسكالا ، ثم بدا يكتب الشعر فكانت اولى قصائده אל הצפור الى العصفور . فى عام ١٨٩١ ذهب الى اوربا ، حيث كانت آنذاك مركز الأدب العبرى الحديث ، وهناك التقى بآحاد هاعام الذى شجعه على الكتابة والنشر ، ولعل الموضوع الأسامى فى اعمال بأليك هو الشد والجذب بين القديم والحديث والبحث عن مخرج من الازمة المستحكمة ، وقد عبر فى شعره عن تطلعاته الصهيونية . وقد كتب بياليك قصائد للأطفال ، وترجم بعض الأعمال الأدبية العالمية الى العبرية ، وتوجد جائزة أدبية فى اسرائيل تحمل اسمه .

60- ביאליק : כל כתבי. הקדמה עמ" 14.

61- ביאליק : כל כתבי עמ" טז

(٦٢) الترجمة نقلا عن سيد يعقوب بكر . دكتور « من شعر بياليك » حوليات كلية الآداب جامعة القاهرة المجلد ٢٦ الجزء الأول مايو ٦٤ ص ٧

63- לחוברה, פ : ביאליק, חייו ויצירותיו. מוסד
ביאליק. דביר 1964, כרך ב, עמ" 401.

64- ביאליק : כל כתבי עמ" 56.

65- ביאליק : כל כתבי עמ" 56.

66- לחובר, פ : ביאליק חייו ויצירותיו עמ" 404.

67- ביאליק : כל כתבי עמ" מ ס.

(٦٨) كلوزنر . الموجز فى تاريخ الأدب العبرى الحديث ص ١٢٠

69- ביאליק : כל כתבי עמ" נ.

(٧٠) شاؤول تشير نيجوفسكى ١٨٧٥ ـ ١٩٤٣ ، يعتبر ـ هو وبياليك ـ قطبى البعث الأدبى العبرى فى روسيا ، ولكن تشير نيحوفسكى يختلف عن بياليك فى انه لم يكن نتاج الاستيطان اليهودى ، بل من روسيا « الجديدة » التى ضمت من بلاد الترك فى القرن التاسع عشر ، وكانت المنطقة التى يعيش فيها متحررة نسبيا من قهر قياصرة روسيا ، فكانت أسرته تستطيع الاتصال بغيرها من غير اليهود ، كما كانت تتحدث بالروسية ، ولم يكن يثقلها ظلم المنفى الرهيب الذى كان سائدا حينئذ فى بقية روسيا . وعلى عكس بياليك ايضا تلقى تشير نيحوفسكى تعليما علمانيا أوربيا منتظما حيث درس فى جامعات هايد لبرج ولوزان ، وقد أدى به ذلك الى ان يدخل الى الأدب العبرى الكثير من الأشكال الشعرية الأوربية ، وقد اعتبره النقاد شاعرا وثنيا لأنه بالغ فى اعلاء شان الوثنية السابقة على الكتاب المقدس ، غير أن تقديسه للطبيعة انطلق من فلسفة وحدة الوجود أكثر من ارتكازه على الوثنية حيث تأثر بنظرية نيتشه . وقد تغنى تشير نيحوفسكى بجمال الطبيعة ، فكتب العديد من القصص والقصائد والمقالات للكبار والصغار ، وترجم كثيرا من الأشعار الغربية الى العبرية . ويعدتشير نيحوفسكى شاعر الفن الخالص لذاته اكثر من أى شاعر عبرى آخر .

(٧١) أورى تسفى جرينبرج ١٨٩٤ ، شــاعر يكتب بالعبرية واليديشية ، ولد فى جاليسيا لعائلة حسيدية . وقد عاصر احداث ١٩١٨ فى بولندا وشاهد المذابح اليهودية هناك ، ثم هاجر الى فلسطين عام ١٩٢٤ حيث شارك فى تحرير جريدة دافار . وقد نادى جرينبرج بقيام دولة « اسرائيل العظمى » والبعد التام عن كافة الحضارات الأخرى ، وهاجم « سياسة الاعتدال » التى تتبعها القيادة الصهيونية ، وكانت كتاباته تحمل وجهة نظر دينية غيبية متعنتة وتعكس نفسـية مذعورة معقدة ، فهو يرى ان عالم اليهـود هو عالم لا تجدى فيـه العقلانية ، وان اليهود موجودون خارج نطاق التاريخ ، وأن اية محاولة لوضعهم داخل سياق التاريخ ستؤدى حتما الى كارثة مثل الابادة النازية لليهود . وقد لعب جرينبرج دورا هاما فى مقاومة السلطات البريطانية وتشجيع الحركات السرية ، كما كان عضوا فى أول كنيست ١٩٤٨ ـ ١٩٥١ عن حزب حيروت اليمينى المتطرف .

(٧٢) محمد الخطيب : جرينبرج شاعرا ، القاهرة ١٩٨٠ ص ١٦٩

هوامش الفصل الثانى (مصر فى صورتها الفرعونية)

(١) مرحلة الاحياء القومى هى المرحلة التى اعقبت مرحلة الهسكالا التى تحدثنا عنها فى الفصل السابق ، كما ان العوامل التى ادت الى فشل حركة الهسكالا هى نفس العوامل التى ادت الى نشاة التيار القومى بين اليهود وهـذه العوامل هى :

(ا) تعاظم قوة التيار القومى لدى الأمم الأوربية حيث وصل الى ذروة نضجه مع توحيد المانيا وثورة شعوب البلقان وسعيها للاستقلال عن الامبراطورية العثمانية ولذا سـمى هـذا القرن « قرن القوميات » ، فالقومية هى اهم ما يميز العالم المعاصر اذا ما عقدنا المقارنة بينه وبين العصور الوسطى التى تميزت بخاصتين تبدوان متناقضتين وهما العالمية من ناحية والانقسام الطبقى والطائفى من ناحية اخرى ، بيد ان هاتين الخاصتين اخذتا تذوبان مع اطلالة العصر الحديث الذى واكبه ظهـور الدول القومية الموحدة ، ولم تعد أوربا كيانات صغيرة داخل حدود سياسية معينة ، بل اصبحت مجموعة من الأمم لكل منها تراثها وطابعها وثقافتها الخاصة ، واخذت كل امة تعتقد اعتقادا جازما فى تفوقها وتميز ثقافتها وعمق تاريخها واصالتها ، وقد تاثر اليهود بهذا التيار تاثرا شديدا ، وراحوا يرددون ـ دون كلل ـ عناصر (قوميتهم) ودوافعهـا زاعمين « وحدة الشعب اليهودى » فى جميع انحاء العالم واحقيتهم فى العودة الى « ارض الآباء » .

(ب) انتكاس دعوة الهسكالا مما اصاب دعاتها بخيبة امل شديدة ، فبعد جهد هائل بذلوه على امتداد مائة عام ادركوا ان الشباب من اليهود قد تباعدوا عن شعبهم واندمجوا فى المجتمع الاوربى وتشبعوا بقيمه وتشيعوا الثقافة واصطبغوا بصبغته وباتوا بعيدين عن ذلك النموذج المثالى الذى داعب خيـال اولئك الدعاة الأوائل ، وهـو النموذج الذى كان يجمع بين العلمانية والدين فى آن واحد ، لقد سعى هؤلاء الشباب الى العلمانية سعيا كاملا ، وتركوا الدين ونسوا تقاليد اليهودية وموروثاتها ،

واصبحوا بمناى عن قضايا الجماعات اليهودية ، ولا شك ان ذلك كله قد شكل عاملا قويا فى طريق التراجع عن خط الهسكالا والامتثال لادعاتها ٠

(جـ) اضطهاد اليهود فى شرق اوربا ، حيث تزايدت الحملات المعادية لهم فى سبعينات وثمانينات القرن المنصرم وخاصة فى الامبراطورية القيصرية ، ولقد تخفت هـذه الحملات تحت ستار الوطنية والحرص على الدين ومصالح الكنيسة ، ولكن الدافع لها غالبا هو محاولة السلطات القيصرية الاستبدادية الهاء الجماهير المقهورة ، ولفت انظارهم بعيدا عن تعاستهم وبؤسهم ، وشغلهم عما يعانونه من التخلف والطغيان ، وكذلك محاولة اقسام من الطبعة البرجوازية الروسية التخلص من منافسة التجار اليهود ٠ ولقد وصلت هـذه الحملات الى ذروتها مع سلسلة المذابح الجماعية الموجهة ضد تجمعات اليهود واحيائهم المسماه « بوجروم » ، وكانت هذه المذابح دافعارئيسيا فى عودة المثقفين اليهود الى التقوقع داخل اليهودية مرة اخرى ، وبعث المثل العليا القديمة بصورة جديدة ٠ لقد قضت هـذه الحملات تماما على دعاوى الهسكالا التى طالما بشرت جماهير اليهود بان مجتمعاتهم سوف تتقبلهم وتمنحهم المساواة والأمان ، ولكن جاءت هـذه الموجات من العداد كرد فعل على مائة عام من الدعوة الى نشر الاستنارة املا فى تحقيق الخلاص من المجتمعات الأوربية ، ولذا انسحبت حركة الهسكالا من فوق المسرح بعد ان ثبت فشلها وعدم جدواها لتبدا مرحلة الاحياء القومى والبحث عن وطن يجمع شملهم ٠

(٢) يعقوب كاهان ١٨٨١ ـ ١٩٦٠ ٠ من اهم شعراء العبرية فى النصف الأول من القرن العشرين ، ولد فى روسيا البيضاء ، قضى طفولته وشبابه فى بولندا ، وتعلم فى جامعات برن وميونيخ وباريس ، وحصل على درجة الدكتوراه فى الفلسفة من جامعة برن عام ١٩١١ ، ونذر نفسه ـ اعتبارا من المؤتمر الصهيونى الأول ١٨٩٧ للعمل الثقافى اليهودى ٠ وقد نشر أول اعماله الأدبية وهو فى سن الثامنة عشر ٠ هاجر الى فلسطين عام ١٩٣٤ واستقر فى تل ابيب ، وفاز عام ١٩٣٩ بجائزة بياليك ، اشترك فى اصدار عدة دوريات ، كما ترجم الكثير من الأعمال الأدبية العالمية الى العبرية ، وقد عبرت اشعاره عن الحنين الجارف الى بعث الماضى اليهودى ، وقد نشرت اعماله فى اربعة عشر جزءا ٠

3 — Aubray Selincourt : The World of Herodotus little Brown and Boston , Toronto, 1962. p. 217.

(٤) انظر هوامش الفصل الأول رقم (٥٠) .

5- אחד העם : כל כתבי אחד העם. דביר, תל-אביב 1965 עמ' עג.

(٦) الاصلاحيون : حركة انبثقت من داخل « الهسكالا » التنوير ، وكان اتباع هذه الحركة يكرهون المشنا والتلمود ، وجعلوا المنبع الوحيد للتشريع يقتصر على الكتاب المقدس ، وكان عدوهم اللدود هو كتاب « شولحان عاروخ » الذى جمع فيه يهود الجيتو المتعصبين جميع الشرائع والأحكام والفتاوى الواردة فى المشنا والتلمود ، واصبح هو المعتمد عند المتحذلقين من اليهود . كان الاصلاحيون يعتبرونه رمزا للجمود والتاخر ، والعقبة التى تمنع بنى اسرائيل من السير فى طريق التقدم الانسانى . وكان اهم التغييرات التى احدثها الاصلاحيون :

(ا) انقاص الادعية والصلوات الى الحد الأدنى مع اباحة تلاوتها بلغات البلاد التى يعيشون فيها .

(ب) ترك الترانيم الشعرية العبرية والارامية القديمة .

(جـ) ادخال الآلات الموسيقية وفرق الانشاد الجماعى من الجنسين فى المعبد .

(د) انكروا فى اعتقادهم ان يكون الخلاص معناه اقامة دولة فى فلسطين ، وهم بذلك كانوا وما يزالون من الفرق غير الصهيونية ، فعندهم ان الخلاص يكون فى الدنيا بالحصول على المساواة فى الحقوق المدنية ولا ضرورة اطلاقا لربط ذلك بفلسطين او بغيرها من البلاد .

7- אחד העם : כל כתבי אחד העם עמ' עג.

8- שם עמ' עג.

9- נורית גוברין עמ' 263.

10- בן אור, אהרון : תולדות הספרות העברית החדשה. תל-אביב.
הוצאת יזרעאל כרך 4, עמ' 62.

11- בן אור : עמ' 62.

12- יעקב כהן : כל כתבי יעקב כהן, מחו... הוצאת דביר
תל-אביב. 1969, עמ' עמ'קה.

13- שם עמ' קה.

14- שם עמ' קי.

15- שם עמ' קיג.

16- שם עמ' קיד.

17- שם עמ' קד, קז.

18- שם עמ' קז.

19- שם עמ' קז.

20- שם עמ' קז.

(٢١) يهودا عميحاى : اديب اسرائيلى ولد عام ١٩٢٤ فى مدينة فيرتسبورج بالمانيا ، هاجر الى فلسطين عام ١٩٣٦ ، وتطوع فى الفيلق اليهودى الذى كان يساعد بريطانيا فى الحرب العالمية الثانية فاشترك فى حرب العلمين ، ومكث فى مصر لمدة عامين . كما انضم لجماعة البالماخ اليهودية أثناء حرب ١٩٤٨ . وقد بدأ ينشر شعره فى اواخر الاربعينات ، ويعتبر عميحاى رائدا للمدرسة الجديدة التى نشات بعد قيام الدولة ، فقد ادخل الى الشعر العبرى المصطلحات العصرية التى كان الشعراء يتحاشونها قبل ذلك . دواوينه الشعرية الأولى هى עכשו ובימים האחרים الآن وفى الأيام الأخرى ، במרחקי שתי תקוות أملان عن بعد ١٩٥٨ ، בבינה הצבורית فى الحديقة العامة ١٩٥٩ ، ثم جمع كل هذه الدواوين

فى ديوان واحد واضاف اليه قصائد جديدة ، وقد نشره تحت عنوان
שירים قصائد ١٩٦٢ ، ويتسم عالم عميحاى الشعرى بالاتساع والتنوع ،
فالشعر عنده تامل وتفسير وحوار يجريه الشاعر بين ذاته وذوات الاشياء
من حوله ، كما ان الشعر عنده مقترن بالانطباعات الخاصة « بالأنا »
وبعقائده وآرائه الشخصية .

وقد كتب عميحاى مجموعة من القصص من بينها לא עכשיו לא כאן
ليست فى هذا الزمان ولا فى هذا المكان ، ברוח הנוראה הזאת
بهذه الروح الرهيبة ، وهى المجموعة القصصية التى تضم قصة הסבר באסואן
سد اسوان التى نتناولها فى كتابنا ، מסע לנינוה رحلة لنينوى .

وقد حصل عيمحاى على جائزة برنر فى الأدب عام ١٩٦٩ ،
وعلى جائزة بياليك عام ١٩٧٦ ، وعلى جائزة اسرائيل فى الشعر عام
١٩٧٨ ، وقد ترجمت اجزاء كبيرة من انتاجه الشعرى الى الانجليزية .
وقد انضم الى « جماعة السلام الآن » منذ تاسيسها .

22- עמיחי, יהודה : הסבר באסואן. ברוח הנוראה הזאת. הוצאת שוקן 1975.

23- דן עומר : שיחה על יהודה עמיחי על עצמו ושירתו. במה מספר 25 ירחון 1978 עמ' 5'6.

24- שם עמ' 5.

25- שם עמ' 6.

26- עמיחי, הסבר באסואן עמ' 235.

27- שם עמ' 226.

28- שם עמ' 227.

29- שם עמ' 232.

30- שם עמ' 232.

31- נסים קלדרון : התרפטות סימן קריאה. ספטמבר 1972 עמ' 310.

32- עמיחי : הסבר באסואן עמ' 234.

(٣٣) كاتبة اسرائيلية عاشت فى مصر عام ١٩٢١ ٠

34- בחיה כהנה : ספינכס. ספרות עז ההוד. הוצאת השדה 1965 עמ' 77.

35- שם עמ' 77.

36- שם עמ' 77.

37- שם עמ' 77.

38- שם עמ' 77.

39- דבורה בארון : הגולים ספרית לעם, 1970 עמ' 42.

(٤٠) دافيد شمعونى : اديب عبرى من اصل روسى ، هاجر الى فلسطين عام ١٩٠٩ حيث عمل حارسا ومزارعا فى عدة مستوطنات يهودية ، ثم سافر الى اوربا مرة اخرى حيث درس الفلسفة وفقه اللغات السامية فى جامعات المانيا فى الفترة بين عامى ١٩١١ - ١٩١٤ ، ثم اراد ان يعود مرة اخرى الى فلسطين ولكن اندلاع الحرب العالمية الأولى حال دون ذلك ، فسافر الى روسيا حيث عمل فى بعض الأنشطة الصحفية حتى عام ١٩٢١ حيث عاد الى فلسطين بصفة نهائية ، وعمل مدرسا فى مدرسة هرتسيليا الثانوية حتى وفاته ٠

واهم اعماله שירים قصائد ١٩٢٥ ، שירי מסע قصائد الرحلات عام ١٩٣١ ، ספר האידיליות ديوان القصائد الوصفية ، בחשאי فى السر عام ١٠٥٥ ٠ كانت اشعاره فى المرحلة الأولى ذات طابع عاطفى يعبر عن الحزن بسبب الاحساس اليهودى العام بعدم الانتماء ، كما تصف هذه الاشعار - بحماس شديد - حياة الرواد الأوائل ، ولكنه كتب اشعارا هجائية بعضها موجه ضد الانتداب البريطانى والبعض الاخر موجه ضد العرب ٠

41- שמעוני דוד : שירים ספר ראשון, מהדורה שניה הוצאת "מסדה", תל-אביב, תשי"ד עמ' קד.

هوامش الفصل الثالث ـ مصر رمز للمنفى

(١) فى بداية العقد الثامن من القرن الماضى قامت السلطات القيصرية فى روسيا بغارات عنيفة على التجمعات اليهودية فأخذوا يقتلون منهم العديد وينهبون من اموالهم الكثير ، ولقد تخفت هذه الحملات القيصرية تحت ستار الوطنية والحرص على الدين ومصالح الكنيسة ، ولكن الدافع لها كان غالبا ، محاولة هذه السلطات الاستبدادية الهاء الجماهير المقهورة ، ولفت انظارهم بعيدا عن تعاستهم وبؤسهم ، وشغلهم عما يعانونه من التخلف والطغيان ، وكذلك محاولة اقسام من الطبقة البرجوازية الروسية التخلص من منافسة التجار اليهود لهم ٠

ولقد وصلت هذه الحملات الى ذروتها مع سلسلة المذابح الجماعية الموجهة ضد تجمعات اليهود واحيائهم والمسماه بوجروم ברגרר ☐ وهى كلمة روسية تعنى « تدمير » أو « هجوم » او « فتك » ، وكانت هذه المذابح دافعا رئيسيا فى اعادة المثقفين اليهود الى التقوقع داخل اليهودية مرة اخرى وبعث المثل العليا القديمة بصورة جديدة ٠

(٢) فى يناير عام ١٩١٥ قام الوالى العثمانى باصدار فرمان يحرم النشاط الصهيونى ، وبذلك ضيق الخناق على التجمعات اليهودية فى فلسطين ، فتدفق العديد منهم الى مصر ، وقد احسنت الحكومة المصرية استقبالهم واكرمت وفادتهم ونظمت اساليب مساعدتهم ٠ وتكونت فى معسكر اللاجئين اليهود بالاسكندرية عام ١٩١٥ نواة الفرقة اليهودية (راكبى البغال) التى خدمت قوات الحلفاء فى العمليات العسكرية فى جاليبولى ٠ وقد ساعدت جموع اللاجئين على انتشار الأخطار الصهيونية بين يهود الاسكندرية ، كما شجع وجودهم على توحيد النشاط الصهيونى فى مصر ٠ اذ وجدت الجمعيات الصهيونية نفسها مضطرة الى توحيد جهودها للسهر على راحة اللاجئين وتوفير اقامة ملائمة لهم ٠

(٣) فاض قلب هتلر بكراهية شديدة لليهود حتى اتخذ الانسان اليهودى عنده صورة المجرم والخائن والماركسى والماسونى ورجل البنك الدولى وحليف رجال الدين ، وكان مبعث هذه الكراهية عدة امور منها سيطرة اليهود على معظم مجالات الاقتصاد الالمانى ، ومنها ايضا أن اليهود يصنفون انفسهم باعتبارهم « امة سامية تؤكد على جمال الأخلاق فى مقابل الامم الاخرى التى تؤكد على اخلاق الجمال » مما اشعل الحقد فى قلوب الالمان خاصة وان هذه الفترة كانت فترة رواج فكرة القوميات حيث ذهب كل شعب يبحث عن عبقريته واصالته ،وكان الالمان انذاك يبحثون ايضا عن قوميتهم ، فحدث الصراع بين الفكر اليهودى والفكر الالمانى الذى كان يؤكد ان اليهود قد « افسدوا الدم الآرى النقى » وانهم السبب الرئيسى فى خراب المانيا ، وانهم طعنوا الشعب الالمانى فى ظهره اثناء الحرب الأولى ، ولذلك بدا ان التخلص من هذا العدو يعتبر المبرر الصحيح لاتجاه الحركة النازية ، وتنقسم فترة الاضطهاد النازى لليهود الى مرحلتين : الاولى من ١٩٣٣ حتى ١٩٣٩ حينما شن النازيون حملات على اليهود لاثارة مشاعر الكراهية والاحتقار ضدهم وتبدا المرحلة الثانية من عام ١٩٣٩ حتى نهاية الحكم النازى ، وهى مرحلة الابادة الجماعية لليهود والتى بلغت ذروتها فيما بين عامى ١٩٤١ ، ١٩٤٤ حيث قضى على اعداد غفيرة منهم . وقد تركت الابادة جرحا غائرا فى الوجدان اليهودى حتى ان التصورات اليهودية عن الخالق قد تعدلت بعض الشىء وصار كثير من اليهود يسالون عن مدى تدخل الخالق فى التاريخ ومدى مسئوليته ، كما ادت الابادة الى شعور الاوروبيين باحساس يطلق عليه « ازمة الضمير الأوروبى » وصارت اوروبا كلها تشعر بالرغبة فى التكفير .

(٤) ناثان الترمان ١٩٠١ – ١٩٧٠ : شاعر اسرائيلى ولد فى بولندا عام ١٩٢٠ ، ثم هاجر الى اسرائيل مع عائلته حين بلغ الرابعة عشر من عمره ، حيث عمل محررا ومترجما فى هآرتس منذ عام ١٩٣٤ حتى عام ١٩٤٣ ، ثم انتقل – بعد ذلك – الى صحيفة دافار العمالية . نشرت باكورة انتاجه الشعرى عام ١٩٣١ فى المجلة الأسبوعية كتوبيم والتى كان يحررها آنذاك الشاعر ابراهام شلونسكى . وقد اشتهر الترمان

كشاعر شعبى ساخر يستعمل العبرية الدارجة فى انتقاد الأحداث التى تدور من حوله ، ويعتبر واحدا من رواد الشعر العبرى الحديث . ومن اهم اعماله « كواكب فى الخارج » ، « فرحة الفقراء » ، « قصائد ضربات مصر » وغيرها . ويستخدم الترمان البالادا الأوروبية استخداما جيدا ، وتفيض بعض اعماله الابداعية بموضوعات الحب والموت التى افرزها العذاب الرومانسى ، فالعاشق الميت العائد هو غالبا عاشق مقهور ، والمراة المتقبلة ، والشاعر الجوال الذى ينظر الى الدنيا كمعبد أو حانه ، هى من الموتيفات التى تتكرر فى شعره .

5- אלי שביד : על שתי יצירות של אלתרמן עמ" 145.

6- דן מירון : ארבע פנים בספרות העברית בת ימינו, הוצאת שוקן. תשכ"ב עמ" 42.

- אלי שביד : על שתי יצירות של אלתרמן עמ" 145.
- נורית גוברין : מצרים בספרות העברית של הדורות האחרונים עמ" 271.
- نعيم عرايدى : نافذه على الأدب العبرى الحديث ص ٨٦ .

7- נורית גוברין : מצרים בספרות העברית של הדורות האחרונים עמ" 271.

8- נתן אלתרמן : כל כתבי נתן אלתרמן. שירים שמכבר , כרך 7 , הוצאת הקבוץ המאוחד. תל-אביב 1972 עמ" 223-227.

9- שם עמ" 229-230.

(١٠) نعيم عرايدى : نافذة على الأدب العبرى الحديث ص ٨٨ .

11- דן מירון : ארבע פנים בספרות העברית בת ימינו עמ" 46.

12- נתן אלתרמן : כל כתבי. שירים. כרך 7 עמ" 234-236-238.

(١٣) الناقد هو ميخالى ، والاقتباس نقلا عن ابراهيم البحراوى : الأدب الصهيونى فى بين حربين . حزيران ٦٧ وتشرين ٧٣ . المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ١٩٧٧ ص ٢٢ .

(١٤) ايهود بن عيزر (١٩٣٦ -) • كاتب اسرائيلى ولد فى بتاح تكفا عام ١٩٣٦ ، وهو حفيد باروح راب الذى شارك فى تاسيس قرية بتاح تكفا ، تلقى تعليمه الأولى فى قريته ، ثم التحق بالجامعة العبرية بالقدس • نظم الشعر وكتب القصص والمقالات الصحفية والأدبية والنقدية فى مجالات الأدب والفلسفة وقصص الأطفال • وقد نشرت روايته الشهيرة המחצבה (المنجم ـ المحجر) عام ١٩٦٣ • وفى عام ١٩٦٨ نشر روايته الثانية אנשי סדום رجال سدوم •

15- נורית גוברין : מצדים בספרות העברית של הדורות האחרונים עמ' 272.

16- איהוד בן עזר : אפרת, מחזור סיפורים.ספרית תרמל 1978 עמ' 87.

17- שם עמ' 88.

18- שם עמ' 95.

19- שם עמ' 89.

20- שם עמ' 91.

21- שם עמ' 91-92.

22- שם עמ' 93.

23- שם עמ' 93.

هوامش البـــاب الثـــانى

الفصـل الأول
مصر فى ادب الرحلات

---

(١) يهودا بورلا ١٨٨٦ ـ ١٩٦٩ : قصاص اسرائيل ولد فى القدس لعائلة من الحاخامات الشرقيين ، ولذلك تربى تربية دينية تقليدية متعصبة. وهو يعتبر اول كاتب بالعبرية الحديثة ينتمى لأصول شرقية . وقد خدم فى الجيش التركى ابان الحرب العالمية الاولى ، وعمل بعد ذلك مديرا للمدارس العبرية فى دمشق لمدة خمس سنوات ، وذهب الى امريكا اللاتينية عام ١٩٤٦ مندوبا عن الصندوق القومى اليهودى . وبعد قيام الدولة عمـل مدير لبعض دور النشر والصحافة .

وقد بدأ بورلا فى الكتابة منذ سن مبكر واكتشف ان ادب العبرية الحديث ينصب كله على حياة اليهود الغربيين فقرر ان يعالج حياة اليهود الشرقيين فى قصصه ، وكانت اولى قصصه לונא « لونا » تصويرا لقصة حب وقعت حوادثها فى القدس القديمة ، ومن اشهر قصصه « بدون نجم » «الزوجة المكروهة» ، كما كتب قصصا تاريخية منها قصة حياة يهودا هاليفى التى نتناولها فى كتابنا .

(٢) يهودا هليفى : اكبر الشعراء العبريين فى العصور الوسطى ، للقب ايضا بابى الحسن اللاوى ، ولد فى مدينة طليطله عام ١٠٨٠ ،ثم درس الطب . وكان اللاوى مولعا بالشعر فقرضه فى العديد من الأغراض كالمديح والغزل ووصف الطبيعة وكذا الاشعار الدينية ، وقد نظم اشعاره كلهـا على غرار الشعر العربى ، وهو ما فعله جميع ادباء العبرية فى العصور الوسطى تقريبا ، حيث عايشوا الشعر العربى هناك ابان الفتح الاسلامى للاندلس، فنقلوابحوره وأوزانه وقوافيه واخليته واغراضه ، وبات الشـعر العبرى آنذاك يشبه الشعر العربى الى حد كبير . ويمتاز شعر يهودا اللاوى بعمق العاطفة وقوة الخيال وسلاسة الأسلوب وجزالة اللفظ ، وهو مع ذلك

فيلسوف له دراية واسعة بفروع الفلسفة ، ويظهر ذلك جليا من مؤلف له فى الفلسفة عنوانه ספר הכוזרי وترجمته للعربية « الحجج والدليل فى نصر الدين الذليل » .

3- רבי יהודה הלוי מאת יהודה בורלא. הוצאת מסדה. תל- אביב 1968. עמ' 105-723.

4- נורית גוברין : מצרים בספרות העברית של הדורות האחרונים , עמ' 260.

(٥) عواطف عبد الرحمن . دكتورة : الصحافة الصهيونية فى مصر ١٨٩٧ ـ ١٩٥٤ . دار الثقافة الجديدة . القاهرة ١٩٨٠ ص ٣٢ ، ٣٣ .

6- נורית גוברין : עמ' 260.

7- ריקליס, י,ל : עם אהרונוביץ במצרים. הפועל הצעיר שנת שלושים ב 29-30. תרצ"ז.

(٨) يوسف أهارو نوفيتس : ١٨٧٧ ـ ١٩٣٧ . صحفى اسرائيلى ولد فى تل ابيب وهو مؤسس مجلة « العامل الفتى » ، وهو من اوائل من ساندوا الحركة العمالية فى فلسطين . تلقى فى طفولته تعليما تقليديا ، سافر الى اوديسا حين كانت مركزا للأدب العبرى . وهناك تلقى تعليما علمانيا وتعرف على اعضاء جمعية محبة صهيون وعلى أهداف هــذه الجمعية . كما اسس رابطة הלוצי ציון طلائع صهيون بهدف تشجيع الهجرة الى فلسطين والعمــل بها . اشــترك فى المؤتمرات الصهيونية والاتحادات العمالية .

(٩) دبورا بارون ١٨٩٦ ـ ١٩٥٦ : اديبة عبرية ولدت فى ليطا لعائلة يهودية متدينة ، حيث كان والدها حاخام المدينة ، وقد اثرت هذه البيئة المتدينة فيها تأثيرا كبيرا فى مفاهيمها وثقافتها ، وقد هاجرت الى فلسطين عام ١٩١١ حيث عملت رئيسا لتحرير الملحق الادبى للمجلة الاسبوعيـة هبوعيل هتسعير فترة طويلة من الزمن ، وقد عاشت فى مصر فى الفترة من ١٩١٥ حتى ١٩١٩ وبالتحديد فى الاسكندرية ، وقد نشرت قصصها الأولى فـى مجلة همليتس ، هشيلواح . وفاز كتابها קטנות « صغر » بجائزة بياليك عام ١٩٣٣ ، وتعتبر دبورا بارون من الأدباء الذين صنعوا الشكل

الفنى المتطور فى القصة العبرية الحديثة ، تتميز كتابتها بالاختصار والتكثيف وبساطة الأسلوب ، وتميل الى التصوير اكثر منه الى الحكاية ، الا انها لا تصور التفاصيل ، بل تركز على الخطوط العامة . وقد جمعت قصصها جميعا فى مجموعة واحدة بعنوان פרישות « قضايا » عام ١٩٥١ ، والى جانبها مجموعة « من الأمس » التى تعتبر تكملة لاحدى قصص المجموعة الأولى ، وتحتوى على ثلاث قصص ، منها قصة הגולים المنفيون التى نتناولها فى الكتاب .

10- גרדית גוברין עמ' 260.

(١١) فؤاد حسنين على . دكتور . من الأدب العبرى . القاهرة . معهد الدراسات العربية ١٩٦٣ ص ٢١١ .

12- גרדית גוברין עמ' 259.

13- שם עמ' 261.

14- שם עמ' 260.

(١٥) يوسف حاييم برنر : كاتب وناقد عبرى ، من مواليد اوكرانيا وهو أحد رواد اليهودية العمالية . تلقى فى بداية حياته تعليما تقليديا يهوديا ، ثم مال الى كتب الهسكالا ، ولقد تاثر – من سن مبكرة – بأفكار تولستوى الاشتراكية الانسانية . هاجر الى لندن فى بداية هذا القرن ، وارتبط بحزب عمال صهيون פועלי ציון ، وفى عام ١٩٠٦ اصدر مجلة معورير מעורר ، حيث كانت آنذاك المجلة العبرية الوحيدة ، ولكنها اغلقت بعد سنتين . فى عام ١٩٠٩ هاجر الى فلسطين . ومن اشهر اعماله פת לחם « لقمة خبز » ١٨٩٩ ، מעמק עכור الوادى العكر ١٩٠٠ בחורף فى الشتاء ١٩٠٣ בין מים למים بين ماء وماء » ، מכאן ומכאן «من هنا ومن هنا » . وفى قصص برنر يظهر عذاب الانسان الذى يتصارع مع نفسه وكذلك مع المجتمع المحيط به ، كما يظهر فى أجواء قصصه قدر كبير من الكآبة .

(١٦) استير راب : اديبة عبرية ولدت فى بتاح تكفا عام ١٨٩٩ ، كان عملها الأساسى مدرسة ، وبعد ان تزوجت عاشت فى مصر لمدة خمس سنوات من ١٩٢٠ حتى ١٩٢٥ حيث عادت مرة اخرى الى فلسطين . نشرت باكورة قصائدها عام ١٩١٢ ، كما نشر ديوانها الأول קמשונים « اشواك » عام ١٩٣٠ .

وشعر استير راب لاتهمين عليه تلك الروح التى هيمنت على الشعر العبرى فى الشتات من حيث نظرته الى ابناء الشعوب الأخرى او الى اليهودى واليهودية ، كما انها لا تنتمى الى احد التيارات الأدبية الحديثة فى اسرائيل ، بل لا يمكن تصنيفها باعتبارها منخرطة فى احد هذه التيارات ، حيث يغلب على اسلوبها طابع الكلاسيكية التى لازمت انتاجها الأدبى كله سواء فى ديوان שירת אסתר ראב « شعر استير اب » الذى صدر عام ١٩٦٣ والذى يتضمن باكورة انتاجها الشعرى ⁶ او فى كتابها الأخير תפילה אחרונה « صلاة اخيرة الذى صدر عام ١٩٧٤ ، ولقد تاثرت استير راب كثيرا بمناظر الطبيعة فى فلسطين ومصر ، ولذا جعلتها ركنا اساسيا فى اشعارها العاطفية القصيرة ، بل جعلت تلك الطبيعة رمزا للحب .

17- גנרית. גוברין. עמ' 264.

18- שם עמ' 264.

19- ברנר. י"ח ז"כל כתבי יוסף חיים ברנר. הוצאת הקבוץ המאוחד, הוצאת דביר. תל-אביב 1960, עמ' 287-288.

20- שם עמ' 264.

21- שם עמ' 289.

22- שם עמ' 289.

23- שם עמ' 289.

24- ברנר, יוסף חיים: ממצרים. הפועל הצעיר . שנה ה, גליון 8, 11/1/1915.

25- שם

(٢٦) انظر هامش رقم ٩ من هذا الفصل .

(٢٧) انظر هامش رقم ٨ من هذا الفصل .

(٢٨) هناك رسائل من اهارو نوفيتس الى صديقه يهودا ليف ركلس ז"ל רקליס والى يوسف شفر ينتسك والى يوسف حاييمبرنر ، وقد نشرها الاخير ضمن كتاباته ، كما ان هناك كتبا للسيرة كتبها بعض يهود الاسكندرية ، تناولوا فيها علاقاتهم مع دبورا بارون واهارو نوفيتس منها على سبيل المثال ما كتبه دافيد يودلفيتس דוד יודילביץ تحت عنوان גולי ארץ ישראל במצרים« المنفيون الاسرائيليون فى مصر » ، وما كتبه يهودا ريكلس بعنوان עם אהרונוביץ במצרים مع اهارو نوفيتس فى مصر » .

(٢٩) نعيم عرايدى : نافذة على الادب العبرى الحديث . دار المشرق . فلسطين المحتلة ١٩٨٤ ص ٣٩ .

(٣٠) לחובר פ : ראשונים ואחרונים עם 395.

31- נורית גוברין עמ" 200.

32- דבורה בארון : הגולים. ספריה לעם, הוצאת עם עובד תל-אביב, 1970, עמ" 41.

33- שם עמ" 41.

34- שם עמ" 65.

35- שם עמ" 65.

36- שם עמ" 65.

37- שם עמ" 65.

38- שם עמ" 93-94.

39- שם עמ" 50.

40- שם עמ" 52.

41- שם עמ" 56.

42- נורית גוברין : מגמות בספרות העברית של הדורות האחרונים, עמ" 267.

43- שם עמ" 267.

44- אסתר ראב : גן שחרב : מבחר ספורים, שבעה שירים. ספרית תרמיל, 1983, עמ" 193-196.

45- אסתר ראב : גן שחרב עמ" 187.

46- שם עמ' 187.

47- אסתר ראב : תחת האקליפטוס בהדואן . תדפ"ל,1983 עמ' 193.

48- שם עמ' 198.

49- אסתר ראב : תחת האקליפטוס בהלואן , עמ' 192-193.

50- עמיחי, יהודה : הסבר באסואן. הרוח הנוראה הזאת. הוצאת שוקן 1973
עמ' 228.

51- שם עמ' 228.

52- שם עמ' 236.

53- קווים לשירת עמיחי, על המשמר, המוסף לספרות 5/9/1969 עמ' 10.

54- עמיחי, יהודה. שירים 1948-1962.שוקן, ירושלים תשל"ז עמ' 95.

55- עמיחי : הסבר באסואן עמ' 227.

(٥٦) اسحق بن نير/ יצחק בן נר : كاتب اسرائيلى ولد فى قرية يهوشع ، نشر قصته الأولى הנווד הזקן « المشرد العجوز » عام ١٩٥٤ بتوقيع مستعار (ران نوف ראן נוף נגב) ثم بدأ يوقع باسمه الحقيقى على قصصه عام ١٩٥٩ حيث نشر قصته המגדל « البرج » ، وفى عام ١٩٦٤ قصة אלקסנדר הגדול « الاسكندر الأكبر » نشرت قصصه فى صحف هآرتس ، كيشت ، سيمان הארץ, קשת, שמן وصدرت له مجموعات قصصية عديدة منها : שקיעה כפרית « غروب ريفى » وهى تحتوى على ثمان قصص كتبت بعد حرب ١٩٦٧ ، ثم اعقبها بمجموعة اخرى تحت عنوان אחרי הגשם « بعد المطر » ، وفى عام ١٩٨١ نشر مجموعة ארץ רחוקה « ارض بعيدة » وهى تحتوى على ست قصص تدور جميعها حول معاهدة السلام المصرية الاسرائيلية وما يترتب عليها من نتائج ، وقد تناولنا احداها فى هذا البحث .

كما صدرت له مجموعة من كتب الأطفال ، وقد ترجمت قصصه وكتبه الى العديد من اللغات مثل الانجليزية والفرنسية والأسبانية والايطالية واليابانية . يعمل صحفيا ومعدا اذاعيا وناقدا سينمائيا فى اسرائيل .

57- יצחק בן נר : דוד אוגוסט. פברואר, ארץ רחוקה, הוצאת כתר, ירושלים 1981 עמ' 105.

58- שם עמ' 123.

59- שם עמ' 122.

60- שם עמ' 131.

61- שם עמ' 107.

62- יוסל שה לבן : יצחק בן נר. הוצאת אור עם 1983 עמ' 9.

هوامش الفصل الثانى
مصر كموطن للميلاد

(١) شارك اليهود فى الحياة السياسية المصرية ، بيد ان مشاركتهم اقتصرت على الأدوار الفردية ، حيث برزت بعض الشخصيات اليهودية التى انضمت الى الحركة الوطنية بعد الحرب العالمية الأولى ، وادت هذه الشخصيات ادوارا متعددة داخل مجلسى الشيوخ ولنواب ، او كوزراء او كموظفين فى القصر . منهم على سبيل المثال ليون كاسترون ، المحامى اليهودى الذى وفد من تركيا الى مصر بعد الحرب العالمية الأولى ، واستطاع ان يحظى بثقة سعد زغلول ، بل ورافقه فى مفاوضاته فى لندن بل أن منهم من تولى مسئوليات رئيسية فى السلطة التنفيذية مثل يوسف قطاوى باشا الذى شغل منصب وزير المالية فى حكومة سعد زغلول عام ١٩٢٤ ، ثم عين وزيرا للمواصلات فى حكومة احمد زيوار باشا عام ١٩٢٥ ، وغير ذلك من الشخصيات اليهودية التى برزت فى الحياة السياسية المصرية.

(٢) عواطف عبد الرحمن . الصحافة الصهيونية فى مصر ١٨٩٧ ، ١٩٥٤ . دار الثقافة الجديدة . القاهرة ١٩٨٠ ص ١٠ .

3 — H. Aurain A : Minorities in Arab World. London 194(pp. 41 .

نقلا عن عواطف عبد الرحمن . ص ١٣ .

4- גרדית גרברין עמ" 272.

5- רחל מכבי : מצרים שלי. ספרית פועלים, 1968 עמ" 12.

6- שם עמ" 13.

7- שם עמ' 8-9.

8- שם עמ' 24.

9- שם עמ' 24.

10- שם עמ' 38.

11- שם עמ' 28.

12- שם עמ' 28.

13- שם עמ' 13.

14- שם עמ' 57.

15- שם עמ' 75-76.

(١٦) اند هارئيل داجان .

شاعرة اسرائيلية ولدت فى القاهرة عام ١٩٣٤ ثم هاجرت الى فلسطين مرورا بفرنسا عام ١٩٤٩ ، تلقت تعليمها الثانوى فى مستعمرة مشمار هاعيمق ، ثم درست الادب العبرى فى جامعة تل ابيب ، كما درست الادب الفرنسى فى جامعة السوربون ، وتعمل الآن مدرسة للفلسفة ،ومن اشهر

اعمالها ديوان מים רבים مياه غزيرة عام ١٩٧٢ ، אברהם היה كان ابراهيم موجودا عام ١٩٧٤ ، פואמה קהירית قصيدة قاهرية ١٩٨١ .

17- אנדה הראל-דגן : פואמה קהירית. הוצאת עקד תל-אביב 1981.

18- שם עמ' 5.

19- שם עמ' 1.

20- שם עמ' 3.

21- שם עמ' 6.

(٢٢) جاكلين كاهانون : اديبة اسرائيلية ، ولدت فى القاهرة فى ١٩١٧/٥/١٨ ،تلقت تعليمها الاول فيها ثم عملت فيها فترة من الزمن،وفى عام ١٩٤٠ تزوجت وسافرت الى الولايات المتحدة الأمريكية حيث التحقت بجامعة كولومبيا : بعد تخرجها فى الجامعة عملت فى الولايات حتى عام ١٩٥١ حيث سافرت الى باريس وظلت تعمل هناك حتى ١٩٥٤ وهو نفس العام الذى هاجرت فيه الى فلسطين · وتتركز اعمالها الأدبية فى القصص والمقالات ، ولها دراسات فى علم النفس ، وقد نشرت باكورة انتاجها باللغة الانجليزية ، ولكنها بدات تنشر بالعبرية منذ عام ١٩٥٦ · ومن أهم مؤلفاتها סיפורים אפריקאים בני זמננו القصص الافريقية المعاصرة عام ١٩٦٣ ، ממזרח שמש ، من مشرق الشمس ١٩٧٨ ، דור הלבטנים

جيل الشرقيين ، وهى تميل الى الكتابة عن البلاد الشرقية .

23- זקלין כהנוב : ממזרח שמש. הוצאת ספרים 1978. ילדות במצרים ופסח במצרים.

24- זקלין כהנוב : ילדות במצרים עמ" 11.

25- שם עמ" 12.

26- שם עמ" 12.

27- שם עמ" 13.

28- שם עמ" 13.

29- זקלין כהנוב : פסח במצרים עמ" 21.

30- שם עמ" 21.

31- שם עמ" 21 .

(٣٢) اسحق جور مزانو : اديب اسرائيلى ولد فى مصر عام ١٩٤١ وهاجر الى فلسطين عام ١٩٥١ .

33- גורן, יצחק גורמזאנו : קיץ אלכסנדרוני, ספריה לעם עובד 1978.

34- שם עמ' 9.

35- שם עמ' 9.

36- שם עמ' 20.

37- שם עמ' 15.

38- שם עמ' 9.

39- שם עמ' 17.

40- שם עמ' 82.

هوامش الفصل الثالث
مصر فى الأرض المحتلة

(١) مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بجريدة الأهرام : المجتمع الاسرائيلى · التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ١٩٨٠ الجزء الثانى ص ٨٩ ·

(٢) المرجع السابق ص ٨٩ ·

(٣) جدعون تلفار : اديب اسرائيلى من جيل الصابرا ، ولد فى قرية بتاح تكفا عام ١٩٣٦ ، انهى تعليمه الجامعى فى جامعة القدس عام ١٩٦١ ، بدأ فى نشر انتاجه الأدبى حين بلغ السابعة عشر من عمره ، وبالتحديد فى عام ١٩٥٣ ، من اهم اعماله مجموعة قصصية بعنوان שכונת תאף « حى حاب » وقد نشرت عام ١٩٦٦ ، وتحتوى على سبع قصص قصيرة ·

4- תלפז, גדעון : מי ורדים מפורס סעיד. הוצאת אבודת שלם, ירושלים תשל"ב.

5- שם עמ' 25.

6- שם עמ' 26.

7- שם עמ' 28.

8- שם עמ' 28.

9- שם עמ' 28.

10- שם עמ' 29.

(١١) الهجاناه : منظمة عسكرية صهيونية استيطانية تأسست فى القدس عام ١٩٢١ ، وقامت بالعمل المسلح ضد العرب ، كما شاركت فى عمليات الاستيطان وتشجيع الهجرة اليهودية الى فلسطين ، وقد تعاونت

هذه المنظمة مع بريطانيا لسحق الثورة العربية فى فلسطين عام ١٩٣٦ ، وعلى الرغم من ذلك التعاون الوثيق بينهما ، فقد جاءت فترات اتسمت بالصراع بين الطرفين وخاصة بعد انتصار قوات الحلفاء على النازى وتعاظم المد الثورى داخل فلسطين ، مما كان يضطر الحكومة البريطانية للاعتراف الجزئى بحقوق الشعب الفلسطينى ، ولعل اهم فترات الصراع هى السنوات الأخيرة فى الحرب حينما هاجمت الهجانا القوات البريطانية لتضطر الحكومة البريطانية لسحب الكتاب الابيض لعام ١٩٣٩ .

(١٢) اليعارر سمولى:اديب عبرىولد عام ١٩٠١ فى مقاطعة اوكرانيا اصدر العديد من المؤلفات الادبية للاطفال والشباب . تلقى تعليمه الاولى فى اوديسا ، هاجر الى فلسطين عام ١٩٢٠ ، فى ١٩٢٣ انهى دراسته فى مدرسة المعلمين الدينيين فى القدس ، ثم عمل مدرسا لمدة اربعين سنة فى منطقة الجليل وتل ابيب . فى عام ١٩٣٤ سافر الى برلين حيث درس العلوم الطبيعية فى جامعتها . اهتم فى قصصه بتصوير حياة الفلاحين والطلائع والمحاربين والمهاجرين الجدد،كما صور بهاء الطبيعةفىفلسطين.

نشر قصته الأولى הרועה הנאמן الراعى المخلص فى مجلة עומר عام ١٩٢٧ . احدثت روايته الطويلة אנשי בראשית «شخصيات التكوين» دويا هائلا فى الأوساط الأدبية العبرية ، حيث كانت اطول قصة كتبت للأطفال فى فلسطين حتى ذلك الوقت ، وكان سمولى متاثرا فيها – الى حد كبير – بما ورد فى كتاب العهد القديم ، وقد ترجمت هذه الرواية الى العديد من اللغات الأجنبية .

وقد كتب سيرة حياته تحت عنوان שמואלי בישראל سمولى فى اسرائيل ، ونشر هذا الكتاب عام ١٩٧٠ ، ومن اهم اعماله ايضا
אור בגליל نور فى الجليل ، בצל אילן « فى ظل شجرة »
החלוצים الطلائع ، בין זריחה לשקיעה بين الشروق والغروب وهى المجموعة القصصية التى اقتبسنا احداها فى كتابنا .

13- שמואלי, אליעזר : חילוף משמרות, בין זריחה לשקיעה, הוצאת יבנה 1956.

قائمة المصـــادر والمراجع

أولا ـ باللغـــة العربية :

ـ ابراهيم البحراوى ، دكتور : الأدب الصهيونى بين حربين ، حزيران ٦٧ وتشرين ٧٣ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ١٩٧٧ .

ـ أضواء على الأدب الصهيونى فى المعاصر (كتاب الهلال ـ سلسلة ثقافية شهرية ، العدد ٢٥٧) القاهرة ١٩٧٢ .

ـ احمد حماد ، دكتور : المدخل الى الأدب العبرى الحديث ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٨٠ .

ـ أحمد سوسة ، دكتور : العرب واليهود فى التاريخ ، الطبعة الثانية العربى للاعلان والنشر ، دمشق (بدون تاريخ) .

ـ السيد يس : الشخصية العربية بين المفهوم العربى والمفهـــوم الاسرائيلى ، القاهرة ١٩٧٣ .

ـ الفت محمد جلال ، دكتور : الادب العبرى القديم والوسيط ، مطبعة جامعة عين شمس ١٩٧٨ .

ـ الكتاب المقدس (اى كتب العهد القديم والعهد الجديد) .

ـ جمال حمدان ، دكتور : شخصية مصر ، دراسة فى عبقرية المكان ، اربعة اجزاء ، القاهرة ، عالم الكتب ١٩٨٤ .

ـ حسن ظاظا ، دكتور : الفكر الدينى الاسرائيلى ، اطواره ومذاهبه القاهرة ١٩٧٥ .

ـ رشاد الشامى ، دكتور : لمحـات من الأدب العبرى الحديث مع نماذج مترجمة ، مكتبة سعيد رافت ، جامعة عين شمس ١٩٨٤ .

ـ رشاد الشامى ٠ دكتور : الأسير العربى والعجز الاسرائيلى عن الحسم الاخلاقى فى قصة الاسير لساميخ يزهار ٠ مجلة الدراسات الشرقية العدد الثانى ٠ يوليو ١٩٨٤ ٠

ـ سيد يعقوب بكر٠ دكتور : منشعر بياليك ٠ حوليات كلية الآداب جامعة القاهرة ٠ المجلد ٢٦ ٠ الجزء الأول ٠ مايو ١٩٦٤ ٠

ـ صابر عبد الرحمن طعيمة : اليهود بين الدين والتاريخ ـ دراسة للجوانب العقائدية والتاريخية عند بنى اسرائيل ٠ مكتبة النهضة المصرية٠ القاهرة ١٩٧٢ ٠

ـ عبد العزيز صالح ٠ دكتور : حضارة مصر القديمة ٠ القاهرة ١٩٦٥ ٠

ـ عبد الوهاب المسيرى ٠ دكتور : الأقليات اليهودية بين التجارة والادعاء القومى ٠ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ٠ معهد الدراسات العربية ٠ القاهرة ١٩٧٥ ٠

ـ عبد الوهاب المسيرى ٠ دكتور : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ٠ مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ٠ القاهرة ١٩٧٥ ٠

ـ عطية القوصى ٠ دكتور : اليهود فى ظل الحضارة الاسلامية ٠ القاهرة ١٩٧٨ ٠

ـ عواطف عبد الرحمن ٠ دكتورة : الصحافة الصهيونية فى مصر ١٨٩٧ ـ ١٩٥٤ ٠ دار الثقافة الجديدة ٠ القاهرة ١٩٨٠ ٠

ـ غسان كنفانى : فى الأدب الصهيونى ٠ منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث ٠ بيروت ١٩٦٧ ٠

ـ فاروق جودى ٠ دكتور : الصهيونية واحياء اللغة فى العصر الحديث ٠ دار النشر العربى ٠ القاهرة ١٩٧٧ ٠

فاروق جودى . دكتور : الصهيونية واللغة . دار الثقافة للطباعة والنشر . القاهرة ١٩٧٧ .

ـ فهمى وليم : الهجرة اليهودية الى فلسطين المحتلة . القاهرة١٩٧١

ـ فؤاد حسنين على . دكتور : الأدب اليهودى المعاصر . المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . معهد البحوث والدراسات العربية . القاهرة ١٩٧٢ .

ـ فؤاد حسنين على . دكتور : من الأدب العبرى . معهد الدراسات العربية . القاهرة ١٩٦٣ .

ـ كلوزنر يوسف : الموجز فى تاريخ الأدب العبرى الحديث ١٧٨١ ـ ١٩٣٩ تعريب اسحق شموش . عكا ١٩٨٦ .

ـ محمد جمال امام : هتلر والصهيونية . القاهرة ١٩٧٨ .

ـ محمد خليفة حسن . دكتور : الحركة الصهيونية . طبيعتها وعلاقتها بالتراث الدينى اليهودى . القاهرة دار المعارف ١٩٨١ .

ـ علاقة الاسلام باليهودية . رؤية اسلامية فى مصادر التوراة الحالية . دار الثقافة للنشر والتوزيع . القاهرة ١٩٨٦

ـ : نظرة نقدت فى قضية الأصل المصرى القديم لموسى وديانته مقال نشر فى مجلة الدراسات الشرقية . العدد الثالث . ديسمبر ١٩٨٥ .

ـ مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بجريدة الأهرام . القاهرة المجتمع الاسرائيلى التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية . الجزء الأول والثانى ١٩٨٠ .

ـ معين بسيسو : نماذج من الرواية الاسرائيلية المعاصرة . الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر . القاهرة ١٩٧٠ .

ـ نازك ابراهيم عبد الفتاح ٠ دكتور : الشعر العبرى الحديث ٠ اغراضه وصوره ٠ القاهرة ١٩٨٠ ٠

ـ نعيم عرايدى : نافذة على الأدب العبرى الحديث ٠ دار المشرق ٠ فلسطين المحتلة ١٩٨٤ ٠

ـ نعمات احمد فؤاد ٠ دكتورة : شخصية مصر ٠ القاهرة ٠ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥ ٠

ـ ول ديورانت : قصة الحضارة ٠ ترجمة محمد بدران ٠ جامعة الدول العربية ٠ الطبعة الثالثة ١٩٦١ الجزء الثانى من المجلد الأول ٠

ـ قاموس الكتاب المقدس ٠

رسائل جامعية غير منشـــورة :

ـ السيد اسماعيل السروى : دافيد شمعونى شـاعرا اسرائيليا ٠ رسالة ماجستير ٠ جامعة القاهرة ١٩٨٦ ٠

ـ زين العابدين محمود حسن : المقال عند احادها عام ٠ رســـالة دكتوراه ٠ جامعة القاهرة ١٩٨٢ ٠

ـ محمد أحمد محمود حسن : مصر فى العهد القديم ٠ رسالة دكتوراه جامعة القــاهرة ٠

ـ محمد محمد الخطيب : جرينبرج شاعرا ٠ رسالة ماجستير ٠ القــاهرة ١٩٨٠ ٠

ـ عبد الخالق عبد الله جبة : يهودا عميماى ٠ حياته وشعره ٠ رسالة ماجستير ٠ جامعة القاهرة ١٩٨٥ ٠

ـ علاء عبد المجيد القنصل : خروج بنى اسرائيل من مصر ٠ رسالة ماجستير ٠ جامعة القاهرة ١٩٧٩ ٠

ثانيا ـ باللغـة العبرية :

- אחד העם : כל כתבי אחד העם. תל-אביב. דביר. 1965.

- אטינגר, שמואל : תולדות ישראל בעת החדשה. תל-אביב. דביר תשכ"ט.

- אלתרמן , נתן : שירי מכות מצרים הוצאת מחברות לספרות 1944.

- בארון, דבורה : " הגרלים" ספריה לעם, עם עובד 1970.

- בורלא , יהודה : מסעי רבי יהודה הלוי. הוצאת עם עובד 1959.

- ביאליק , חיים נחמן : כל כתבי ביאליק . תל-אביב דביר

- בן אור, אהרון : תולדות הספרות העברית החדשה, כרך "ג", הוצאת יזרעאל תשי"ט .

- : תולדות הספרות העברית בדורנו . יזרעאל תל-אביב 1968 .

- בן נר, יצחק : האיש משם , ספריה לעם, עם עובד 1967.

- : דוד אוגוסט, קהיר , פבואר . ארץ רחוקה , הוצאת כתר 1981 .

- בן עזר , אהוד : ליל שמורים אחד , אפרת , מחזור ספורים. הוצאת תרמיל 1978 .

- ברנר , יוסף חיים : עצבים. כתבים. כרך "א" 1900- 1911.

: במצרים . הפועל הצעיר. שנה ז . גליון 3 תרע"ה.

: כל כתבי יוסף חיים ברנר. הוצאת הקבוץ המאוחד
תל-אביב . דביר 1956.

- גוברין, נורית : מחקרים בספרות העברית של הדורות האחרונים. דפים
למחקר בספרות. אוניברסיטת חיפה . כרך 2. 1985.

- גורדון, יהודה לב: כתבי יהודה לייב גורדון. אסנת בת פוטיפרע.
הוצאת דביר . תשכ"ו

- גורן, יצחק (גורמזנו): קיץ אלקסנדרוני . ספריה לעם. עם עובד
. 1978

- גרינברג , אורי צבי: אימה גדולה וירח . ספר פואמות הדים תרפ"ד.

- גרץ , צבי : דברי ימי ישראל. 6 כרכים. הוצאת יזרעאל. תל-אביב
תשט"ו .

- דובנוב, שמעון : דברי ימי עם עולם. כרכי ג'-ד'. דביר. תל-אביב
תשכ"ב.

- הלקין , ש : דרכי שירה צעירה בשנים האחרונות. עקד. ירושלים תשי"ב.

- הראל דגן, אנדה : פראיםה קהירית. הוצאת עקד, ירושלים 1962.

- הרצל-נפתלי הרץ : שירי תפארת, ברלין-[illegible] 1902.

- טשרני חובסקי- שאול : שבחי שירים , דביר. תל-אביב תשל״ג.

-יוסף שה לבן: יצחק בן נר, הוצאת אור עם 1983.

- כהן, יעקב : כתבי יעקב כהן, כתבים דראמטיים, ליד הפירמידות. הוצאת דביר. תל-אביב 1939.

- כהנא, בתיה : ספינכס . בפרות עץ ההדר. הוצאת משפה 1965.

- כהנוב, זקלין : ילדות במצרים. קשת. שנה א . 1959.

- : ממזרח שמש. הוצאת ספרים 1978.

- : פסח במצרים. הוצאת ספרים 1978.

- לחובר, פ : תולדות הספרות העברית החדשה, דביר, תל-אביב 1965.

- : שירה ומחשבה (מסות ומאמרים), דביר תל-אביב, תשי״ב.

- : ביאליק חייו ויצירותיו, מוסד ביאליק, דביר 1964.

-לחובר, פ : ראשונים ואחרונים. מסות ומאמרים על סופרים. דביר תל-אביב תשכ״ו.

- לקויר , זאב : תולדות הציונות. שוקן ירושלים, 1973.

- מירון , דן : ארבע פנים בספרות העברית בת ימינו. הוצאת שוקן. ירושלים 1962.

- בבבי, רחל : מצדים שלי. הוצאת ספרית פועלים 1968.

- עוזם, בן : עדותו של יהודה עמיחי על עצמו ושירתו. פרוזה
כספר 25 , יולי 1978..

- עמיחי , יהודה : הסבר באסואן, הרוח הנוראה הזאת. הוצאת שוקן
ירושלים , 1973.

- : שירים 1948_1962. שוקן ירושלים ותל-אביב, תשל"ז.

- קורצוויל, ברוך : ספרותנו החדשה, המשך או מהפכה. הוצאת שוקן,
ירושלים ותל-אביב תשל"א.

- קלוזנר , יוסף : קצור היסטוריה של הספרות העברית החדשה (שני
כרכים) ירושלים 1954.

- קרלס, ג : לכסיקון הספרות העברית בדורות האחרונים, ספרית פועלים.

- ראב, אסתר : "גן שחרב" , "תחת האקליפטוס בחילואן ריבת שושניה"
מבחר סיפורים ושבעה שירים. הוצאת הדביל 1983.

- ריקלוס, י"ל : עם אהרונוביץ בשדים. הפועל הצעיר שנת
30, גל 29-30 . תרצ"ז .

- שאנן, אברהם : מלון הספרות החדשה, יבנה 1978.

- שאנן, אברהם: הספרות העברית החדשה לזרמיה, מסדה. תל-אביב. 1966.

- שביד, אלי : על שתי יצירות של אלתרמן. הוצאת עם עובד 1971.

- שטאלי, אליעזר : חילוף משמרות, בין זריחה לשקיעה הוצאת יבנה 1950.

- שמעוני, דוד : שירים ספר ראשון, מהדורה שניה, הוצאת מסדה, תל-אביב תשי"ד.

- שקד, גרשון : גל חדש בספרות העברית. ספרית פועלים, תל-אביב 1971.

- : המחזה העברי ההיסטורי בתקופת התחייה, הוצאת מוסד ביאליק 1970.

- תלפז, גדעון : מי ורדים מפורס סעיד, הוצאת אגודת עלם. תשל"ב.

- תנ"ך : תורה נביאים כתובים.
- כתב עת "מוזנים". "פרוזה".
- האנציקלופדיה העברית.
- האנציקלופדיה המקראית.
- לקסקון האישים של ארץ ישראל, עם עובד 1963.

ثالثا ـ باللغة الانجليزية :

— Aubray, Selincourt : The world of Herodotus. Little and Campany . Boston, Toronto 1962 .

— Aurain. H. A. : Minorities in Arab World. London 1947.

— Halkin, Simon : Modern . Hebrew Literature From Enlli-ghten ment to the Birth of state of Israel. Schochen Books inc. New York 1970

— Landa. J.L. Short Lectures on Modern Hebrew Literature, Edward Goldston L rd. London 1938.

— Pontet. C. P : The Ancient World - London 1912.

— Rena Lee kofman : In Egypt, In Exill : Studies in Two works of Yish a gr Ben Ner. Hebrew Studies 1983.

— Robertson : On the travke of the Oxodus - London 1936.

— Roth Cecil : A short History of the Jewish People London. East and West Liberary 1949 .

— Waxman Mayer : Ahistory of Jewish Literature New York 1941 .

— The Universal Jewish Encyclopedia . New York 1948.

— Encyclopedia Americana .

— Encyclopedia Britanica .

رابعا ـ المعـــاجم :

- מלון בן שושן 8 כרכים
- אוצר ראשי תבות הוצאת ראובן, ירושלים תשל"ח. איהוד בן יהודה.
- דוד וינשטין : מלון אנגלי ערבי, ערבי אנגלי 1971.
- דב בן אבא : מלון ערבי אנגלי, אנגלי ערבי.

- قاموس قوجمان • عبرى ـ عربى • مكتبة المحتسب• ١٩٧ •
اللغات والترجمة • جامعة الازهر • القاهرة ١٩٨٥ •
- شعبان محمد سلام • دكتور : قاموس المختصرات العبرية •
- قاموس سغيف • عبرى ـ عربى • اربعة اجزاء •

الفهـــرست